



كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش

ⵜⴰⵎⴰⵔⴰⵏⵜ ⴰⵏ ⵓⵔⴰⵎ ⵏ ⵔⴰⵙⴰⵏⵜ ⵏ ⵔⴰⵙⴰⵏⵜ - ⵎⴰⵔⴰⵕⴰⵚ

Faculté des Lettres et des Sciences Humaines - Marrakech

مركز دراسات الدكتوراه - Centre d'Etudes Doctorales

تكوين الدكتوراه

مدارك الاجتهاد في المستجدات الإنسانية المعاصرة

أصروحة جامعية

لنيل شهادة الدكتوراه في موضوع:

# أسس التفسير ومقاصده في القرآن المبين

تحت إشراف: الأستاذ الدكتور:

حميد الصولي

من إعداد: الصائب الباحث:

محمد بوضاهر

الموسم الجامعي: 2022/2023م





# كلمة شكر وتقدير

الحمد لله الوافي نعمه، المجزل لشكره ، المزيّد عطاؤه، والصلاة والسلام على خير من شكر ربه فوفاه، قال تعالى - وهو أفضل القائلين - : ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كما عند ابن الأثير معزوا لأبي موسى [من لا يشكر الناس لا يشكر الله] . ومن هذا المنطلق، أقول : تتسابق الكلمات، وتتزاحم العبارات، لنظم عقد الشكر الذي لا يستحقه إلا الفضلاء وأهل العلم الذين لهم قدم السبق في ركب العلم والتعليم، ومهما شكر الطالب شيخه وأستاذه فإنه يبقى لدينا بفضل شيخه عليه، فإليك مني - يا من بذلت ولم تنتظر العطاء - عبارات الشكر والتقدير، أستاذي وشيخي المشرف على عملي هذا، الذي لم يكن يرد طلبا، بل وجدت فيه معاملة الأخ لأخيه، قبل معاملة الأستاذ لطالبه، زان علمه وفكره أدبه وحلمه، إنه الدكتور حميد الصولبي الذي لا أملك أن أقول لكم كما قال الشاعر:

|                              |     |                              |
|------------------------------|-----|------------------------------|
| إن قلت شكرا فشكري لن يوافيكم | *** | حقا، سعيتم فكان السعي مشكورا |
| إن جف حبري عن التعبير يكتبكم | *** | قلب به صفاء الود             |
| تعبيرا                       |     |                              |

كما أتوجه بالشكر لكل من ساندني وقدم لي يد المساعدة من قريب أو بعيد، حتى خرج هذا العمل على هذه الحلة، فلكم مني جزيل الشكر وخالص الامتنان..

{ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِفَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ }

[سورة الرعد، الآية: 12]

# مقدمة

مقدمة، وفيها:

– أهمية الموضوع

– دوافع اختيار الموضوع

– إشكالية البحث

– بعض الدراسات السابقة

– المنهج المتبع في البحث

– منهجية عرض المادة

– خصة البحث

## مقدمة

الحمد لله الذي أضاء الكون بنور الإسلام، وأنزل الكتاب على خير الأنام، كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تتريل من الحكيم العلام، وبعث رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم برسالة خالية من الخطأ والزيغ والأوهام، متصفة بالتألف والوئام. والصلاة والسلام الأتمان على خير البرية ومصلح البشرية، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، صفوة الإنسانية وخير الخلائق خلقا وخلقا وسجية، مؤول القرآن الكريم بسنته القولية والفعلية، ومفسر الأحكام بجوامع كلمه النبوية، وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به واتبعوا هديه المبين، وتمسكوا بدينه واعتصموا بحبله المتين، ودافعوا عن شريعته بكل غال وثمين، وشددوا النكير على التزاع والخلاف بين المؤمنين، ورفعوا راية الإسلام في المشارق والمغارب، ثم على ورثتهم من العلماء المجتهدين المخلصين، الذين "ينفون عن الشريعة تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين"<sup>1</sup> يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، صرفوا أعمارهم لخدمة الشريعة، فأبانوا عن أسسها ومقاصدها، "فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه؟ وكم من ضال تائه قد هدوه؟ فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم!"<sup>2</sup>.

أما بعد.

إن شريعة الإسلام شريعة حكيمة ورسالة خالدة، وإن من أصدق تجليات خلودها وحكمتها انطوائها على أسس كلية تستمد من نبعها الهداية، وتقتبس من نورها مشاعل الحضارة والعمارة، وتؤخذ من ثناياها البراهين الساطعة كلما تراكمت

<sup>1</sup> مسند البزار (ت: 292هـ)، 247/16، مسند أبي حمزة أنس ابن مالك، والإبانة الكبرى لابن بطة (ت: 387هـ)، باب ذكر الأخبار والآثار التي دعتنا إلى جمع هذا الكتاب وتأليفه، 198/1

<sup>2</sup> درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية (ت: 728هـ)، 1/18 و 221

الشبهات، وحاكت في النفوس الوسوس، فهذه الشريعة ليست صالحة لكل زمان ومكان فحسب، بل الزمان والمكان لا يصلحان ولا يستقيمان إلا مع اندراجهما تحت ظلها الوارف، وهذا ما يتناسب مع الفطرة البشرية ويوافقها كل التوافق، ومتى صدف الإنسان عنها آل حاله إلى بؤس وشقاء، ولن يغني عنه أي حبل من حبال الإصلاح والتغيير شيئا إلا حبل الله المتين، مصداق ذلك قول الله تعالى: {طَبَّ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْفُرْعَانَ لِيُشْفَى<sup>1</sup>}، وقول الله تعالى: {كِتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴿١﴾ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ<sup>2</sup>}، وهل هناك حبل ينجي ويغني غير حبل الله المتين؟.

مع إهماله لجوانب متعددة في النفس والمجتمع، هذا المنهج عكف ودعا بكل قوة ووثوقية إلى كان للتغيير في كل زمان حبلان أساسيان: الحبل الأول: هو حبل الله المتين يرتقي بالفرد والأسرة والمجتمع والأمة والإنسانية تدريجيا إلى أعلى درجات السمو والرفعة، وهذا الاتجاه خط القرآن المجيد منهجه، ووضع له أسسا وقواعد، وجعل له غايات وأهدافا ومقاصد. والحبل الثاني: يمثله المنهج المادي الذي يتجه بالإنسانية نحو الاهتمام بتحصيل اللذة والمظهر.

، وقبل أن يتم الله النعمة على البشرية بتزول القرآن الكريم، كان الناس في جهل تام، قبائل متناحرة يتقاتلون فيما بينهم، يسفكون الدماء وينهبون الأموال، وسعيهم الحثيث هو جمع المال وبلوغ المتعة واللذة والعلو في الأرض، وشرب الخمر، وفعل المنكرات، وقطيعة الأرحام، وواد البنات، {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ

<sup>1</sup> سورة طه، الآية: 1

<sup>2</sup> سورة إبراهيم، الآية: 1 - 2

مُسَوِّدًا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ<sup>1</sup>، وهكذا هيأ الله الأسباب واختار لحكمته هذه الأمة لتحمل راية الإصلاح والتغيير، انطلاقاً من هذا الكتاب المبين الذي { لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْتٍ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ۖ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ<sup>2</sup> }، يجسد هذه الحقيقة قول جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي: "أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه؛ من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة، وصلة الرحم وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، قال: فعدد عليه أمور الإسلام، فصدقناه وآمنا، واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده ولم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من

<sup>1</sup> سورة النحل، الآية: 58 — 59

<sup>2</sup> سورة فصلت، الآية: 41

سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك...<sup>1</sup>، فبعد أن كانوا يتقاتلون على الناقة والشاة صاروا — كما وصفهم القرآن الكريم — {وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}<sup>2</sup>، وكانوا يقطعون الأرحام فصاروا {يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ} أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ<sup>3</sup>، وبعد أن كانوا يئدون البنات ولا يعتبرونهن شيئاً، أكرموهن وأعلوا قدرهن وورثوهن، قال الله تعالى: {وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا}<sup>4</sup>، وصاروا أعز قوم بعد أن كانوا أذلة، كما قال عمر رضي الله عنه: "كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله"<sup>5</sup>، فرسم لهم القرآن طريق السعادة في الدنيا والآخرة، بما حواه من أسس التغيير وقوانين الإصلاح بعدما كانوا يعيشون على هامش الحياة، فبنى لهم الدولة ومكنهم من السيادة والريادة، فغدوا خير أمة لها وزن وعلم وقيمة وحضارة وهيبة.

إذن فهذه الأسس التي وضعها القرآن الكريم، هي التي تجعل التغيير ناجحاً؛ إن على مستوى الفكر والعقيدة والتصور، أو على مستوى السلوك والتربية، والسياسة والاقتصاد وغيرها، إن تم التمسك بها وترجمتها إلى واقع، فيتحقق التوازن والانسجام

<sup>1</sup> مسند أحمد، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الذهلي (ت: 241هـ)، 266/3، مسند أهل البيت رضوان الله عليهم

أجمعين، حديث جعفر بن أبي طالب، رقم الحديث: 1740

<sup>2</sup> سورة الحشر، الآية: 9

<sup>3</sup> سورة الرعد، الآية: 23

<sup>4</sup> سورة النساء، الآية: 7

<sup>5</sup> المستدرک علی الصحیحین، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم (ت: 405هـ)، كتاب الإيمان، حديث سمرة بن جندب، رقم

الحديث: 207



الفكري والنفسي على جميع المستويات: الفردية والاجتماعية والعالمية، ولا بد لهذه الأسس أن تؤتي ثمارها في الحياة.

والقرآن الكريم لم يرسم مخططا لكل جزئيات هذا الموضوع بتفاصيله، وإنما حدد الأسس والمنطلقات والمسارات العامة، ثم حض على التمسك بها، لذلك كان لزاما علي أن أتبع مواطن التغيير في القرآن الكريم، وأقف على أسسه ومقاصده، والتزمت بعنوان البحث وفق اقتراح أستاذي المشرف: (( أسس التغيير ومقاصده في القرآن المجيد )).

## أهمية الموضوع

من المواضيع القيمة الجديرة بالبحث والدراسة تلك التي لها علاقة بخدمة كتاب الله العزيز ولو من جانب واحد، مثل موضوع التغيير والكشف عن أسسه والوصول إلى مقاصده وغاياته، فلا شك أنه موضوع واسع الأكناف، متشعب الأطراف، جامع لمباحث التفسير وما يقترن بها من علوم، كاللغة والفقه وأصوله، ومقاصد الشريعة وغيرها، يكاد يتيه في شعابه الخريت، ولا يفي بحقه إلا من أوتي حظا غير قليل من الفهم، وقسطا غير يسير من العلم والاطلاع.

وإني على الرغم من قصر باعي في هذا الميدان، وعدم أهليتي لارتياذ وخوض غمار بحث هذا حجمه، أحببت أن أطرق بابه وأرد هذا المورد، لأجمع ما تناثر منه في ثنايا القرآن الكريم، وأرى أن هذا الأمر خليق بأن أهتم به للأمور الآتية:

—— موضوع التغيير يعد من المحاور الأساسية التي اهتمت بها الشريعة عموما، والقرآن الكريم خاصة.

\_\_\_\_\_ جدة الموضوع وحداثته، إذ لا يخلو زمان من حديث الناس عن التغيير، ومن حاجتهم إليه، خصوصا في الآونة الأخيرة، لذا تحتمت دراسته وتأصيله دراسة تتناغم مع الواقع ولا تتباعد عن الأصول.

\_\_\_\_\_ موضوع التغيير له جذور عميقة في شرعنا الحنيف المتمثل أصالة في الكتاب العزيز، وهو مطلب فردي وجماعي، ولا تستقيم الحياة إلا بالوقوف على أسسه ومعانقة أهدافه ومقاصده.

\_\_\_\_\_ التغيير في كتاب الله لا بد أن يفهم ويسمع، وهو مسلك يجب أن يقتفى ويتبع، والاشتغال باستنباط أسسه ومقاصده واجب شرعي قبل أن يكون مطلبا إنسانيا، دعت إليه الشريعة الحنيفية التي يلزم من التمسك بها النهوض بالأمة والفرد والمجتمع من براثن التيه ودركات الشقاء إلى أرقى درجات السعادة والكمال الإنساني.

\_\_\_\_\_ هذا النوع من الدراسة يتوافق بشكل كبير وروح العصر، ويجلي باهتمام مدى إعجاز القرآن الكريم، وأنه صالح لكل زمان ومكان، بل الزمان والمكان لا يصلحان إلا به، ولا يستقيمان بدونه، فرغم ما يحدث في حياة البشرية من قضايا ونوازل تحتاج إلى المعالجة والحلول، فإن القرآن الكريم لها بالمرصاد، يواكب الجديد، ويحفظ على الإنسانية الأصل، ويصونها من أن تنسلخ من إنسانيتها، وهذا من عالمية القرآن وربانيته.

## لموافع اختيار الموضوع

سبيان رئيسان جعلاني أختار البحث في هذا الموضوع، أحدهما ذاتي، وثانيهما موضوعي.

أما الذاتي فيمكن إجماله في الآتي:

\_\_\_\_\_ أتطلع بهذا العمل أن يجعله الله من العلم الذي ينتفع به بعدي، وأن يكون لي زادا بعد مماتي زمن انقطاع أعمالي الصالحات.

\_\_\_\_\_ رغبتى الشديدة لتكليل مسيرتي الدراسية الأكاديمية بشهادة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية، عسى ربي أن ينفعني بها حيناً من الدهر في معاشي ومعادي.

\_\_\_\_\_ محبتي للقرآن الكريم وعلومه، ورغبتى الجامحة في الاستزادة منها، ولذلك لما أتيت لي هذه الفرصة، ولحت عيني هذا الموضوع بين المواضيع المقترحة من السادة الأساتذة والعلماء بهذه الكلية العامرة حرسها الله، لم أتردد في اقتناصه واختياره، وهو مظنة الاغتناء بالفوائد، والفرائد العلمية والفقهية والأصولية والمقاصدية والتاريخية والاجتماعية واللغوية وغيرها.

وأما الموضوعي، فبعد توفيق الله وإرادته التي كانت وراء اختيار هذا الموضوع، تيسر الأمر وتوجهت الهمة بالكتابة فيه باعتباره موضوعاً يعالج المشكلة الأساسية للإنسان والحياة، فكان الداعي لهذا البحث:

\_\_\_\_\_ رغبتى الشديدة في دراسة هذا الموضوع، لما ينطوي عليه؛ من شرف خدمة كتاب الله تعالى وأثرها في خدمة المسلمين بل والإنسانية جمعاء.

\_\_\_\_\_ بيان أن التغيير يرتكز على أسس متينة لا ينبغي إهمالها، أو التقصير بجانب من جوانبها، والتمسك بكتاب الله في هذا الموضوع تمسك بجبل قوي يوصل إلى المطلوب.

\_\_\_\_\_ حاجة المسلمين إلى طرح شرعي وواقعي يعينهم على أداء واجبهم تجاه القرآن الكريم، ويجعلهم يسعدون به في دنياهم وأخراهم.

\_\_\_\_\_ إبراز دور القرآن الكريم في علاج قضايا الأمة المستجدة، وإيجاد الحلول لها.

## إشكالية البحث

ستتناول هذه الدراسة أسس التغيير التي سطرها القرآن الكريم ومقاصده المستهدفة، وذلك من خلال الإجابة عن السؤال الإشكالي الأم: (كيف عالج القرآن الكريم موضوع التغيير)؟ وعن الأسئلة المتفرعة عنه الممثلة في الآتي:

- \_\_\_\_\_ ما مفهوم التغيير في القرآن المجيد؟
- \_\_\_\_\_ وما هي الأسس التي ترسم معالم التغيير في القرآن الكريم؟
- \_\_\_\_\_ وما هي أساليب القرآن الكريم في التغيير؟
- \_\_\_\_\_ وما هي المجالات التي أناطها القرآن الكريم بالتغيير؟
- \_\_\_\_\_ وما هي المقاصد التي يتغياها التغيير القرآني ويستهدفها؟

## الدراسات السابقة

من الذين ألفوا في التغيير وأناطوه بالقرآن الكريم:

- 1\_\_\_\_\_ أحمد فريد صالح أبو هزيم: أستاذ التفسير بالجامعة الأردنية، قسم أصول الدين بكلية الشريعة، كتب في الموضوع بعنوان: "منهج القرآن الكريم في التدرج وأثره في التغيير"، حاول الكاتب إبراز وبيان كيفية تحقق التغيير من الضلال إلى الهدى، وذلك عن طريق وضع خطة متمثلة في القيام بإجراءات، وتحديد أهداف، مثل الوقوف على معاني القرآن الكريم وفهمه، وتحويل تلك المعاني إلى سلوك، وترجمتها إلى واقع

معيش، وترسيخ المبادئ والقيم، وغرس العقيدة الصحيحة وتثبيتها في النفوس، والحرص على التربية السليمة.

كما حاول بيان منهج القرآن الكريم في التدرج في عملية التغيير، حيث نزل منجما ولم يتزل جملة واحدة، وذلك لمقاصد وغايات.

غير أن الباحث لم يلمس أسس التغيير ومعاله بشكل بين في كثير من جوانبه، وإنما ركز على جانب التدرج وأطنب فيه دون غيره.

2 ————— جودت سعيد<sup>1</sup> له: "حتى يغيروا ما بأنفسهم" قدم له مالك بن نبي.

قام فيه بتفسير وتحليل قول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ}<sup>2</sup>، مبينا من خلال هذه الآية أن تغيير ما بنفس الإنسان هي وظيفة الإنسان نفسه، وأن هذا التغيير تحكمه قوانين كونية، تتجلى في سنن الله في الأنفس وفي المجتمعات، فاقصر على آيات قرآنية محدودة.

3 ————— عمر بن محمد بن عبد الله المديفر، أستاذ بجامعة طيبة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنبوع، له بحث بعنوان: "التغيير ووقعه على النفوس كما يصوره القرآن الكريم"، تحدث فيه الباحث عن مفهوم التغيير وضرورته وأهميته، وأن تغيير ما يقوم رهين بتغيير ما بأنفسهم، وأن ذلك من السنن الإلهية الثابتة، فركز الباحث على الوقع الذي يكون للتغيير على النفوس، يقصد الوقع السلبي للتغيير، ولذلك دعا لتهيئة النفوس لأي تغيير.

<sup>1</sup> جودت بن سعيد بن محمد، مفكر سوري من كبار المفكرين الإسلاميين، ولد في سورية سنة 1931م درس بالأزهر الشريف، توفي بإستنبول بتركيا بداية سنة 2022م.

<sup>2</sup> سورة الرعد، الآية: 12.

وحسب اطلاعي وفي حدود تقديري فإنني لم أجد من ألف أو بحث في الموضوع بهذا العنوان: (أسس التغيير ومقاصده في القرآن المجيد).

## المنهج المتبع في البحث

اعتمدت هذه الدراسة على المناهج البحثية الآتية:

\_\_\_\_\_ المنهج الاستقرائي؛ وذلك بجمع الآيات القرآنية وتصنيفها.

\_\_\_\_\_ المنهج الوصفي؛ وذلك بالوقوف على جملة من التعريفات التي من شأنها ضبط حدود المصطلحات التي يعتمد عليها في بيان التصور العام لها قبل إصدار الحكم عليها.

\_\_\_\_\_ المنهج التحليلي؛ وذلك بتتبع الآيات وتفسيرها حسب حاجة الموضوع، وبيان دلالاتها على أسس التغيير وأهدافه، في المحاولة للوصول إلى المعاني التي يحملها ويحتملها النص القرآني.

\_\_\_\_\_ المنهج الاستنباطي؛ وذلك بالاعتماد على الآيات في استنباط أسس التغيير ومقاصده وضوابطه وخصائصه، وتحقيق مناطها في الإنسان؛ فردا ومجتمعاً، على المستوى الفكري والعقدي، وعلى المستوى التربوي والسلوكي، والاجتماعي والاقتصادي والسياسي.

\_\_\_\_\_ المنهج التاريخي؛ وذلك بالوقوف على الأحداث والحقائق في سياق عصرها، واستخلاص النتائج العامة التي لا تقف فائدتها عند فهم تلك الأحداث، ولكن تتعداها إلى واقعنا المعاصر وما بعده إلى الأبد.

## منهجية عرض المادة

أما فيما يخص منهجية عرض المادة العلمية، فقد سلكت في عرضها الخطوات التالية:

\_\_\_\_\_ جمع المادة العلمية مع محاولة استقصاء كل ما ورد في القرآن الكريم من دلالات التغيير؛ سواء ما جاء منها بطريق التصريح، أو ما لاح منها عن طريق الإشارة والتلويح.

\_\_\_\_\_ قراءة المادة العلمية قراءة متأنية، وتحليلها واستنباط المعاني التي سأعرج عليها في هذا البحث.

\_\_\_\_\_ ترجمة بعض الأعلام المغمورين قدر الإمكان من مصادرها الأصلية، والإحالة على ذلك في الهامش.

\_\_\_\_\_ عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها من كتاب الله؛ بذكر السورة والآية.

\_\_\_\_\_ تتبع تفسير الآيات القرآنية من كتب التفسير القديمة والحديثة، مع التركيز على الدلالات ذات البعد الإنساني والاجتماعي.

\_\_\_\_\_ اطلعت على ما تيسر لي من الدراسات والأبحاث القرآنية المرتبطة بالموضوع، سواء ما كتب في علم الشريعة، أو في علم الاجتماع، أو في غيرهما مما له صلة بموضوع البحث.

\_\_\_\_\_ تخريج الأحاديث الواردة في متن البحث، والإحالة عليها في الهامش؛ وذلك بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث، وإذا تعددت مصادر الحديث اكتفيت بتخريج واحد أو اثنين مع تقديم ما قدمه أهل العلم في الباب كالبخاري ومسلم؛ لأن المقصد يتم بذلك، ولا أزيد إلا إذا كانت الزيادة تفيد زيادة معنى.

\_\_\_\_\_ إذا ورد الحديث في مصدر من مصادره في أكثر من موضع (الحديث المكرر) اكتفيت بالإحالة على الموضع الأول لأن في ذلك وفاء بالمقصود، وتجنبنا لإثقال الهوامش بذلك.

\_\_\_\_\_ عند تكرار المصدر أو المرجع في الصفحة نفسها بشكل متتابعي أكتفي بكتابة: (المصدر نفسه) أو (المرجع نفسه) مع ذكر الجزء والصفحة.

\_\_\_\_\_ جعلت التوثيق في الهامش بذكر المصدر وصاحبه في أول مرة، ثم بعد ذلك أكتفي بذكر المصدر وحده، إلا أن يكون العنوان نفسه لمرجعين أو أكثر فإني أبين ذلك بذكر صاحبه دائما تجنبنا للبس، وأحلت في فهارس المصادر والمراجع على باقي معلومات المصدر كدور النشر وتاريخ الطبعة والتحقيق تجنبنا لإثقال الهوامش بذلك.

\_\_\_\_\_ رجعت إلى كتب اللغة والمعاجم للوقوف على معاني الألفاظ التي تحتاج إلى بيان.

## خطة البحث

استدعت طبيعة البحث وصورة الإشكالية السابقة تقسيم البحث إلى مقدمة ومدخل تمهيدي وأربعة فصول وخاتمة.

**أما المقدمة** فقد تم التطرق فيها إلى أهمية الموضوع، وبواعث اختياره، كما قمت بعرض إشكالية البحث، ثم أردفت ذلك بالحديث عن بعض الدراسات السابقة، لأعرف بعدها بالمنهج المتبع في البحث، ثم منهجية عرض المادة، ثم خطة البحث.

**أما المدخل التمهيدي** فقد كسرتة ثلاثة مباحث



المبحث الأول: مفهوم التغيير في القرآن العبيد وفيه خمسة  
مصالب

المصلب الأول: التغيير ومدلوله اللغوي والإصلاحي

المصلب الثاني: التغيير واشتقاقاته في القرآن الكريم

المصلب الثالث: التغيير والإصلاح في القرآن الكريم

المصلب الرابع: التغيير والتجديد في القرآن الكريم

المصلب الخامس: التغيير وعلاقته بالتبديل في القرآن الكريم

المبحث الثاني: تحدث فيه عن حاجة البشرية إلى التغيير في  
القرآن العبيد، وفيه ثلاثة مصالب:

المصلب الأول: حال العرب قبل نزول القرآن الكريم

المصلب الثاني: حال الأمم غير العربية قبل نزول القرآن الكريم

المصلب الثالث: العصر الحاضر وسؤال التغيير بالقرآن الكريم

المبحث الثالث: المنهج المستمد من القرآن وعلاقته

بالمنهجين: الأرسطي والتجريبي، وفيه ثلاثة مصالب:

المصلب الأول: المنهج المستمد من القرآن العبيد وموقفه من

المنطق الأرسطي

المصلب الثاني: المنهج التجريبي وعلاقته بالمنهج المستمد

من القرآن الكريم

المصّلب الثالث: مفهوم المقاصد في القرآن العبيد  
الفصل الأول: معالم التغيير الفكري والعقدي في القرآن الكريم،  
وفيه خمسة مباحث  
المبحث الأول: أصالة التوحيد في الإنسان وللائله في الأنفس  
والآفاق، وفيه أربعة مصالب  
المصّلب الأول: التوحيد والنداء القصر  
المصّلب الثاني: آيات الله في خلق الإنسان  
المصّلب الثالث: آيات الله في خلق الكون: ﴿ السماء - الأرض  
- الشمس - القمر - الليل - النهار - النجوم - الرياح  
- السحاب - المص - النبات ﴾  
المصّلب الرابع: آيات الله في خلق الحيوان  
المبحث الثاني: معالم التغيير الفكري والعقدي في الرسالات  
السماوية، وفيه خمسة مصالب  
المصّلب الأول: منهج نوح عليه السلام في التغيير العقدي  
والفكري  
المصّلب الثاني: منهج إبراهيم عليه السلام في التغيير العقدي  
المصّلب الثالث: منهج يوسف عليه السلام في التغيير العقدي  
والفكري

المصّلب الرابع: منهج موسى عليه السلام في التغيير العقدي والفكري

المصّلب الخامس: منهج عيسى عليه السلام في التغيير العقدي والفكري

المبحث الثالث: معالم التغيير في منهج خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم، وفيه أربعة مصالِب

المصّلب الأول: كيف أثبت القرآن المجيد صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم؟

المصّلب الثاني: شهادة اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة

المصّلب الثالث: مشركو العرب بين مباربة التغيير والشهادة بالصدق والأمانة

المصّلب الرابع: الإعجاز البياني في الرسالة الخاتمة

المبحث الرابع: التغيير في القرآن المجيد وعلاقته بالسنة الكونية، وفيه خمسة مصالِب

المصّلب الأول: السنة الكونية وسؤال المفهوم والحقيقة

المصّلب الثاني: خصائص السنة الكونية في القرآن الكريم

المصّلب الثالث: السنة الكونية وحورها في التغيير

المصـلب الرابع: سنة الأسباب والمسببات

المصـلب الخامس: سنة التدافع والتغيير

المبحث الخامس: أساليب القرآن الكريم في الدعوة إلى التغيير

الفكري والعقدي وفيه ستة مصـالـب

المصـلب الأول: أسلوب الحوار في القرآن العبيد

المصـلب الثاني: أسلوب السؤال والجواب

المصـلب الثالث: أسلوب عرض البراهين العقلية

المصـلب الرابع: أسلوب ضرب المثل

المصـلب الخامس: أسلوب الجدال

المصـلب السادس: أسلوب الترغيب والترهيب

الفصل الثاني: التغيير الأخلاق في القرآن الكريم، وفيه ثلاثة

مباحث

المبحث الأول: علاقة الأخلاق بالعقيدة في القرآن العبيد،

وفيه أربعة مصـالـب

المصـلب الأول: مكانة التغيير الأخلاقي في القرآن الكريم

المصـلب الثاني: أثر العقيدة في النفس قبل السلوك

المصـلب الثالث: حكمة الاعتقاد وأثره في السلوك

المصـلب الرابع: بين العقيدة والأخلاق

المبحث الثاني: العبادات والتغيير الأخلاقي، وفيه خمسة  
مصالب

المصلب الأول: الصلاة والتغيير الأخلاقي

المصلب الثاني: الزكاة والصفحة النفسية

المصلب الثالث: الصيام وتقويم السلوك

المصلب الرابع: الحج مدرسة أخلاقية

المصلب الخامس: العبادات بين المقصد والوسيلة

المبحث الثالث: القرآن العبيد والتغيير بالقوة، وفيه ثلاثة  
مصالب

المصلب الأول: أهمية القوة في عملية التغيير

المصلب الثاني: محمد صلى الله عليه وسلم وإحياء الإنسانية  
بالقرآن

المصلب الثالث: رسول الله صلى الله عليه وسلم والصفوة

الفصل الثالث: التغيير الاجتماعي في القرآن العبيد، وفيه خمسة  
مباحث

المبحث الأول: صناعة الفرق بالقرآن الكريم، وفيه خمسة  
مصالب

المصلب الأول: بناء الفرق في علاقته بربه في القرآن الكريم

المصـلب الثاني: بناء الفرد في علاقته بنفسه في القرآن العبيد  
المصـلب الثالث: علاقة الفرد بأقاربه في القرآن العبيد  
المصـلب الرابع: علاقة الفرد بالمجتمع في القرآن العبيد  
المصـلب الخامس: علاقة الفرد بالكون والبيئة في القرآن الكريم  
المبحث الثاني: التغيير الأسري في القرآن العبيد، وفيه أربعة  
مـصـالـب

المصـلب الأول: الزواج رحمة وبناء اجتماع  
المصـلب الثاني: الزواج عهد وميثاق، أم رغبة نفسية؟  
المصـلب الثالث: المعاشرة الزوجية في القرآن العبيد  
المصـلب الرابع: النشور والصلاق وعلاقتهما بالتغيير في القرآن  
الكريم

المبحث الثالث: التغيير الاقتصادي في القرآن العبيد، وفيه  
خمسـة مـصـالـب

المصـلب الأول: مكانة المال في القرآن الكريم  
المصـلب الثاني: الاقتصاد في القرآن الكريم  
المصـلب الثالث: كسب المال وتنميته في القرآن العبيد  
المصـلب الرابع: من معيقات التنمية: - الغش - الرشوة - الربا  
المصـلب الخامس: التجارة والتغيير الاقتصادي في القرآن العبيد

المبحث الرابع: الحرية والتغيير في القرآن العبيد، وفيه أربعة  
مصالب

المصلب الأول: حرية الإنسان الاعتقادية في القرآن العبيد

المصلب الثاني: الحرية المدنية والتغيير في القرآن الكريم

المصلب الثالث: الرق والتغيير في القرآن العبيد

المصلب الرابع: منابع الرق قبل نزول القرآن الكريم

المبحث الخامس: التغيير السياسي في القرآن العبيد، وفيه ثلاثة  
مصالب

المصلب الأول: العدل ونظام الحكم في القرآن العبيد

المصلب الثاني: الشورى ونظام الحكم في القرآن العبيد

المصلب الثالث: مسؤولية الحاكم وصناعة الرعية في القرآن  
العبيد

الفصل الرابع: العلاقات الدولية والتغيير في القرآن العبيد، وفيه  
ثلاثة مباحث

المبحث الأول: الكيان الدولي لأمة الإسلام في القرآن العبيد،  
وفيه ثلاثة مصالب

المصلب الأول: الجملاء علاقة سلام أم علاقة حرب؟

المصلب الثاني: المعاهدات الدولية في القرآن العبيد

المصّلب الثالث: الوفاء في العلاقات الدولية في القرآن العبيد  
المبحث الثاني: القرآن الكريم وأهل الكتاب، وفيه أربعة مصالِب  
المصّلب الأول: منهج القرآن الكريم مع أهل الكتاب  
المصّلب الثاني: موقف اليهود من القرآن العبيد باعتباره كتاب  
تغيير

المصّلب الثالث: موقف النصارى من القرآن الكريم باعتباره  
كتاب تغيير

المصّلب الرابع: أهل الكتاب في ظل الإسلام: حقوقهم  
وواجباتهم

المبحث الثالث: القرآن الكريم ومشركو العرب، وفيه ثلاثة  
مصالِب

المصّلب الأول: مشركو العرب والإسلام في القرآن العبيد  
المصّلب الثاني: علاقة المسلمين بالمشرّكين في القرآن العبيد  
المصّلب الثالث: تحقيق السلام العالمي في القرآن العبيد  
خاتمة: تضمنت أهم النتائج والخلاصات التي توصل إليها  
الباحث.

الفهارس التقنية:

فهرس الآيات القرآنية



فهرس الأءامث والآثار  
فهرس الأءلام المترءمفر  
فهرس الموءوعات

# المدخل التمهيدي

المدخل التمهيدي وفيه ثلاثة مباحث

— المبحث الأول: مفهوم التغيير في القرآن المجيد

— المبحث الثاني: حاجة البشرية إلى التغيير في القرآن المجيد

— المبحث الثالث: المنهج المستمد من القرآن الكريم وعلاقته

بالمناهجيين: الأرسطي والتجريبي

## المبحث الأول: مفهوم التغيير في القرآن المجيد

تعتبر الدراسات المصطلحية لألفاظ القرآن الكريم بابة كبرى، يصل عبرها الباحث إلى ضبط أي مصطلح قرآني يروم دراسته ومعرفة حقيقته الدلالية، وإدراك حدوده وخصائصه، وما يتولد عنه من اشتقاقات في إطار حقله الدلالي، يتعلق الأمر في هذا المبحث بمصطلح التغيير الذي جاء في القرآن الكريم بصيغ متنوعة يحمل دلالات مختلفة باختلاف سياقات ورودها، ولمعرفة دلالة لفظ التغيير في الاصطلاح القرآني، لابد أن يمهّد لذلك أولاً بضبط مدلول هذا اللفظ في لغة العرب.

### المصطلح الأول: التغيير ومدلوله اللغوي والاصطلاحي

يراد بالتغيير — باعتباره لفظاً مستعملاً دالاً — الإحداث، كما يراد به التحول، وفي لسان العرب: "إحداث شيء لم يكن قبله، ويقال: تغير الشيء عن حاله: تحول، وغيره: حوله وبدله كأنه جعله غير ما كان، أو انتقل الشيء من حالة إلى حالة أخرى"<sup>1</sup>، وعليه فالتغيير يدور حول الإحداث والتبديل، والتحول والانتقال.

### التغيير في اصطلاح القرآن الكريم

ورد مصطلح التغيير في القرآن الكريم في مواضع أربعة بصيغ مختلفة، في سور كلها مدنية.

الموضع الأول: في سورة النساء؛ وذلك قوله تعالى: {وَأَلْمَرْنَهُمْ فَلَيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ

اللَّهِ<sup>2</sup>} والمقصود بالتغيير هنا ما يقوم به الناس من تغيير خلق الله بإضلال الشيطان وإغوائه لهم، فبتكوا آذان الأنعام وغيروا خلق الله.

<sup>1</sup> لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور (ت: 711هـ)، مادة (غير)

<sup>2</sup> سورة النساء، الآية: 118

الموضع الثاني: في سورة محمد، قال الله تعالى: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ

فِيهَا أَنهَرُ مِمِّ مَاءٍ غَيْرِ آسٍ وَأَنهَرُ مِمِّ لَبَسٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ} <sup>1</sup>، وذلك في معرض الحديث عما أعده الله لعباده المتقين في جنته.

الموضع الثالث: في سورة الأنفال، وذلك قول الله تعالى: {ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ

مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} <sup>2</sup>، تشير الآية إلى أن الله تعالى لا يغير نعمته على عباده بإزالتها عنهم حتى يغيروا ما بأنفسهم بكفرها وعدم شكرها.

الموضع الرابع: في سورة الرعد، وذلك قوله تعالى: {إِنِ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ

حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ} <sup>3</sup>، أي تغيير ما بأنفس القوم إلى الأفضل على أحد قولي علماء التفسير.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن التغيير الوارد في هذه المواضع الأربع من القرآن

الكريم على ضربين:

أحدهما: تغيير صورة الشيء والاحتفاظ بذاته.

ثانيهما: تبديل الشيء صورة وذاتاً؛ بمعنى تبديل الشيء بغيره، وهو المعبر عنه بـ

"تبديل العناصر الفاسدة في المجتمع، ثم تعقبها عملية أخرى، هي تنمية هذه الجوانب ودعمها" <sup>4</sup>.

<sup>1</sup> سورة محمد، الآية: 16

<sup>2</sup> سورة الأنفال، الآية: 54

<sup>3</sup> سورة الرعد، الآية: 12

<sup>4</sup> التغيير الاجتماعي في الفكر الإسلامي الحديث، لحنان محمد عبد المجيد، ص: 36

هذا وإن التغيير الوارد في هذه المواطن الأربع من القرآن الكريم تغيير سلبي أصالة، لكن لا مانع أن يحمل أيضا على المعنى الإيجابي ليعني عملية تتمثل في إصلاح حال الإنسان من سيء أو أسوأ إلى حسن أو أحسن، وهو تغيير إيجابي يهدف إليه الوحي وينادي به، سواء تعلق الأمر بالكتب السماوية السابقة، أو تعلق الأمر بالكتاب المهيمن عليها: القرآن الكريم، وهو موضوع البحث أصالة، فقد أخذت قضية التغيير حيزا ليس باليسير في القرآن الكريم، وفي السنة النبوية الشريفة، حتى ربط القرآن الكريم خيرية هذه الأمة بمهمة التغيير، فهي خير الأمم؛ لأنها تسعى إلى التغيير الإيجابي، قال الله عز وجل: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ} <sup>1</sup>، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جوهر التغيير الإيجابي الذي بني عليه الإسلام، وحث عليه القرآن الكريم.

## المصلب الثاني: التغيير واشتقاقاته في القرآن الكريم

جاءت مادة (غ ي ر) في القرآن الكريم بالاشتقاق الآتية:

— يَغْيُرُنَّ في سورة النساء.

— يَغْيُرُ في سورة الرعد.

— يَغْيُرُوا في موضعين: في سورة الرعد، وفي سورة الأنفال.

— يَتَغَيَّرُ في سورة محمد.

ومن خلال التأمل في موارد لفظ التغيير في القرآن الكريم يمكن الاهتداء إلى جملة

من المعاني والدلالات للتغيير في القرآن الكريم.

<sup>1</sup> سورة آل عمران، الآية: 110

الدلالة الأولى: تغيير خلق الله، قال الله تعالى: {وَلَا مَرْتَنَهُمْ فَلْيَغْيِرْ خَلْقَ اللَّهِ} <sup>1</sup>، والآية هنا جاءت في معرض الحديث عن إغواء الشيطان للإنسان وإضلاله له، ومن ذلك أمره لهم بتغيير خلق الله، وذلك بتبتيك آذان الأنعام، فهو تغيير للصفات الحسية للخلق.

الدلالة الثانية: تغيير نعمة الله، قال الله تعالى: {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} <sup>2</sup>، والمراد بالنعمة كل ما يكون فيه الإنسان من سعة الرزق والتمكين والرفاهية، وتغيير ذلك يكون بإزالة ذات النعمة، أو بإزالة صفاتها؛ فقد تذهب النعمة رأساً، وقد تضعف وتقل، كل ذلك بسبب تغيير القوم ما بأنفسهم من الشكر والاستقامة إلى الكفران والعصيان، حيث "قابلوا النعم بالكفر والفسوق والعصيان، فلا جرم استحقوا تبديل النعم بالنقم، والمنح بالحن"، <sup>3</sup> وقال ابن عطية رحمه الله: "تغيير ما أمروا به من طاعة الله، تغيير إما منهم وإما من الناظر لهم، أو ممن هو منهم بسبب، كما غير تعالى بالمنهزمين يوم أحد بسبب تغيير الرماة ما بأنفسهم" <sup>4</sup>، وقال الطاهر بن عاشور: "فتغيير النعمة إبدالها بضدها وهو النقرة وسوء الحال؛ أي: تبديل حالة حسنة بحالة سيئة... والمراد بهذا التغيير تغيير سببه، وهو الشكر بأن يبدلوه بالكفران" <sup>5</sup>، وأخرج ابن أبي شيبة من طريق وهب بن منبه قال: "أوحى الله إلى بعض أوليائه: إني لم أحل رضواني لأهل

<sup>1</sup> سورة النساء، الآية: 118

<sup>2</sup> سورة الأنفال، الآية: 54

<sup>3</sup> غرائب القرآن ورغائب القرآن للحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: 850هـ)، 14/10

<sup>4</sup> المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت: 542هـ)، 303/3

<sup>5</sup> التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن محمد ابن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، 45/10

بيت قط، ولا لأهل دار قط، ولا لأهل قرية قط، فأحول عنهم رضواني حتى يتحولوا من رضواني إلى سخطي، وإني لم أحل سخطي لأهل بيت قط، ولا لأهل دار قط، ولا لأهل قرية قط، فأحول عنهم سخطي حتى يتحولوا من سخطي إلى رضواني"<sup>1</sup>

الدلالة الثالثة: تغيير ما بأنفس القوم، قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} <sup>2</sup>، وهذه الآية جاءت بعد ذكر إحاطة علم الله بعباده، وأن الله تعالى جعل لهم ملائكة معقبات يحفظونهم.

وأغلب المفسرين على أن معنى الآية أن الله لا يغير ما هم فيه من النعم بإنزال النقم حتى يغيروا ما بأنفسهم من الشكر والاستقامة إلى كفران النعمة والعصيان، قال ابن تيمية: "هذا التغير نوعان:

أحدهما: أن يبدلوا ذلك فيبقى قولاً وعملاً يترتب عليه الذم والعقاب.

الثاني: أن يغيروا الإيمان الذي في قلوبهم بضده من الريب والشك والبغض، ويعزموا على ترك فعل ما أمر الله به ورسوله، فيستحقون العذاب هنا على ترك المأمور، وهناك على فعل المحذور، وكذلك ما في النفس مما يناقض محبة الله، والتوكل عليه والإخلاص له والشكر له، يعاقب عليه؛ لأن هذه الأمور كلها واجبة، فإذا خلا عنها القلب واتصف بأضدادها استحق العذاب على ترك هذه الواجبات، وبهذا التفصيل تزول شبه كثيرة، ويحصل الجمع بين النصوص، فإنها كلها متفقة على ذلك"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> المصنف لأبي بكر عبد الله بن أبي شيبه (ت: 235هـ)، 229/7، باب ما قالوا في البكاء من خشية الله، رقم الحديث: 35568

<sup>2</sup> سورة الرعد، الآية: 12

<sup>3</sup> مجموع الفتاوى، لابن تيمية، 109/14

## المصطلب الثالث: التغيير والإصلاح في القرآن الكريم

ورد مصطلح الإصلاح في القرآن الكريم مصدرا للفعل المتعدي بالهمز: (أصلح)، أما الإصلاح فهو مصدر (صلح) اللازم، ويراد بالصلاح كون الشيء صالحا في نفسه، وأما الإصلاح فمعناه تحويل الشيء من حالة إلى أخرى أفضل منها، قال الله عز وجل: {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا}<sup>1</sup>، وهذه هي نقطة التلاقي بين مصطلحي التغيير والإصلاح؛ إذ كل منهما يحمل دلالة التحويل من حالة إلى أخرى أفضل، ولا ينافي ذلك ما بينهما من عموم وخصوص، فالتغيير أعم من الإصلاح؛ لأن التغيير يحتمل تحويل الشيء من سيئ إلى حسن أو أحسن، أو من حسن إلى أحسن، وهو التغيير الإيجابي الذي يعني الإصلاح، كما يحتمل تحويل الشيء من حسن إلى سيئ وهو التغيير السلبي. والإصلاح أخص من التغيير؛ لأنه يعني فقط تحويل الشيء تحويلا إيجابيا، أي؛ تحويل الشيء من حالة إلى حالة أفضل منها، ولا عكس، فكل إصلاح تغيير، وليس كل تغيير إصلاحا، ويرى الأستاذ الدكتور الحسني في كتابه: (مفهوم الإصلاح): أن الإصلاح "قبل أن يكون مفهوما علميا يبينه الباحث ويشكله في سياق ما يبتكره من نظريات وما يتوصل إليه من قوانين وآراء، هو أولا وقبل كل شيء مفهوم قرآني سيق في مقامات مختلفة، وينطوي على كنوز من المعاني التي لا يحيط بها إلا الله عز وجل"<sup>2</sup>، وكان مفهوم الإصلاح محل نقاش عبر التاريخ.

فمن سنن الله تعالى في بني آدم أن جعل فيهم المصلحين والمفسدين، وجعل الصراع قائما بين الفريقين ما بقي الليل والنهار، ولما أخبر الله تعالى الملائكة أنه

<sup>1</sup> سورة الأعراف، الآية: 55

<sup>2</sup> مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم دراسة في أسبابه ومظاهره، للأستاذ الدكتور إسماعيل الحسني، ص: 23



مستخلف في الأرض بشرا خاف الملائكة وتوقعوا حدوث الفساد في الأرض على يد البشر الذي سيستخلف فيها، كما قال الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ} <sup>1</sup> فأجابهم الله تعالى بقوله: {إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} <sup>2</sup>، ففي جواب الله تعالى الملائكة — بنسبة العلم المطلق إليه سبحانه — دليل على أن في سعي أهل الإصلاح بالصلاح والإصلاح في الأرض ما يفوق فساد أهل الفساد المتوقع منهم.

### المصلب الرابع: التغيير والتجديد في القرآن الكريم

التجديد مصطلح يدل على معنى الجدة، والجدة نقيض الخلق، قال الراغب الأصفهاني: "جد: قطع الأرض المستوية" <sup>3</sup>، وفي المقاييس: جادة الطريق أي سواؤه وكأنه قطع عن غيره، وجد: البئر حيث تقطع الأرض <sup>4</sup>.

فالتجديد يجعل صاحبه منقطعا عن حالته الأولى ليسلك طريقا جديدا وينهج منهجا جديدا واضحا مستويا، أو هو عملية تغيير لما خلق وبلي من الأفكار بسبب جمود وتعصب، أو هو تجديد فهم وتغيير لما لم يعد صالحا لتغير الظروف والأحوال، طالما أن نصوص الشريعة عموما، ونصوص القرآن على الخصوص، حمالة الأوجه وصالحة لكل

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية: 29

<sup>2</sup> السورة نفسها، الآية: 29

<sup>3</sup> المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت: 502هـ)،

مادة (ج د)، ص: 187

<sup>4</sup> معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت: 395هـ)، مادة (جد) 1/ 408

زمان ومكان، تجديد يجعل الشيء المحدّد في حلة جديدة مع الاحتفاظ بالجوهر ومكوناته الثابتة الأصيلة.

لفظ التجديد لم يرد في القرآن الكريم، وإنما ورد فيه لفظ جديد؛ فقد ذكر في القرآن الكريم ثماني مرات، قال الله تعالى: {أَبْعَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ}<sup>1</sup> وقال تعالى: {إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ}<sup>2</sup>، وقال سبحانه: {أَذَّا كُنَّا تُرَابًا إِنَّا لَعِبْ خَلْقٍ جَدِيدٍ}<sup>3</sup>.

هذا وإن القرآن الكريم رسالة سماوية، من مرتكزاتها التجديد والتغيير، فقد مارس القرآن الكريم عملية التجديد بأساليب متنوعة وطرق متعددة، وقاوم العقائد الفاسدة والعادات السيئة، وعمل على إماتة الرذائل وإحياء الفضائل، وأعلن الحرب على الجُمُود والتقليد الأعمى للأمم السابقة، وذم ذلك في أكثر من موضع، قال الله تعالى: {فَالْتَوُوا يَمُوسَىٰ إَجْعَلْ لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ}<sup>4</sup>.

فالتغيير تجديد دعا إليه القرآن وطبقه الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم وفق متطلبات الظرف الراهن، جددوا نعم وغيروا، لكن دون أن يحدوا عن منهج القرآن الكريم، فهو منهج شامل يسع كل زمان ومكان، ويسع كل ما يستجد من قضايا ونوازل في كل أنحاء الحياة، فهو يخاطب المتزل إليهم في تفاصيل عيشهم وحياتهم؛ من مأكلاتهم وملبسهم ومسكنهم وعاداتهم وسلوكياتهم، حتى يتأطر الدين الجديد بإطاره الخاص، فحين خاطب القرآن النبي صلى الله عليه وسلم

<sup>1</sup> سورة ق، الآية: 15

<sup>2</sup> سورة إبراهيم، الآية: 22

<sup>3</sup> سورة الرعد، الآية: 5

<sup>4</sup> سورة الأعراف، الآية: 138

بقول الله تعالى: {وَتِيَابَكَ فَطَهَّرْ}<sup>1</sup>، كان ذلك أنسب في مجتمع عادة كبرائه الخيلاء، فهو خطاب تجديد ودعوة للتغيير؛ بنذ ما كان سيئا متجاوزا من القديم، وقبول واستقبال الجديد المشرق، كما خاطبهم القرآن بقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ، بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ}<sup>2</sup>، لأنهم اعتادوا رفع الصوت في خطابهم، ولم يكونوا يعدون ذلك عيبا أو نقصا أو سوء أدب في التعامل مع القيادة المتمثلة في رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسورة الحجرات على الجملة، جددت جوانب ليست باليسيرة فيما يخص العلاقات الاجتماعية في المجتمع المسلم، فقد رسمت منهاجاً جديداً في التعامل الإنساني الراقي المتحضر، حتى لقبت عند العلماء بسورة الأخلاق، وأنزل الله تعالى: {وَاتُوا الْبُيُوتَ مِن أَبْوَابِهَا}<sup>3</sup>، تغييرا لعادة سيئة ألفوها، وهي إتيان البيوت من غير أبوابها، وهكذا جاء القرآن الكريم بالتجديد الشامل والتغيير المستمر، فجاء ليخلص الناس من عادات ألفوها، ومن معتقدات أشربوها، ومعاملات وقوانين ضالة أبرموها، فحرم الظهار، وحارب التبني ومنعه، وحافظ على علاقات الرحم، فحرم الزواج من المحارم، والجمع بين الأختين، كما حرم شرب الخمر والتعامل بالربا، والزنا وواد البنات، فجاء بقيم ومبادئ جديدة لم يألفها المجتمع، ومظاهر وسلوكيات لم يعهدها، فخطط لحياة جديدة، وغير بإبقاء الصالح وتقويم المعوج وإصلاح الفاسد، فأتى بمنهج جديد متكامل، يساير حياة الناس ويؤطرها عبر الزمان والمكان، منهج كفيل بإسعاد البشرية دنيا وأخرى بإيجاد حلول جذرية وواقعية لما يطرأ على حياة الناس، شريطة إعادة النظر في فهم منهج القرآن الكريم في التغيير.

<sup>1</sup> سورة المدثر، الآية: 4

<sup>2</sup> سورة الحجرات، الآية: 2

<sup>3</sup> سورة البقرة، من الآية: 188

## المصـلب الخامس: التـغير وعلاقته بالتبـديل في القرآن الكريم

إذا كان لفظ التغير في القرآن الكريم مترددا بين المعنى الإيجابي تارة والمعنى السلبي تارة أخرى — وهو الأصل فيه — فإن لفظ التبديل إنما ورد في القرآن الكريم بمعنى التغير السلبي فحسب؛ مثل تبديل شكر النعمة إلى كفرانها، قال الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا<sup>1</sup>، أو تبديل حال حسنة هادئة إلى حال فزع وهول، قال الله تعالى: {يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ<sup>2</sup>، والمؤمنون رجل سلم لرجل، وما عداهم فهم شركاء متشاكسون، قال الله تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا<sup>3</sup> أَلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ<sup>4</sup>.

هذا وإن التبديل والتغير السلبي منذ نزول القرآن الكريم على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، إنما هو من فعل الإنسان، قال الله تعالى في سورة يونس: {وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا إِنِّي بِفُرْعَاءٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدَّلُهُ فُلٌ مَّا يَكُونُ لِي أُنَبِّئُهُمْ مِّنْ تَلْفَاءٍ نَّفْسِي إِنِ اتَّبِعَ إِلَّا مَّا يُوجِيءُ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ<sup>4</sup>، فالقرآن الكريم هنا حدثنا عن من ذهبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وطلبوا منه طلبين: أحدهما: أن يأتي بقرآن غير هذا القرآن.

<sup>1</sup> سورة إبراهيم، الآية: 30

<sup>2</sup> سورة إبراهيم، الآية: 50

<sup>3</sup> سورة الزمر، الآيات: 28

<sup>4</sup> سورة يونس، الآية: 15

الثاني: أن يبدل هذا القرآن.

ومن المؤكد أن مدلول التغيير هنا مختلف تماما عن مدلول التبديل، بدليل ورود لفظ (أو) بين الطلبين، فهم ذهبوا إليه صلى الله عليه وسلم، وطلبوا منه أن يأتيهم بقرآن غير هذا القرآن، أو أن يرده إلى ربه ويأتي بقرآن آخر بديل له، فرد عليهم القرآن بقول الله تعالى: {قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبَدِّلَهُ مِنْ تَلَفَآتِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنَّنِي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} <sup>1</sup>، فأمر الله تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن يخبرهم بأن التبديل ليس بيده صلى الله عليه وسلم، وأن القرآن وحي متبع، فبقيت مساحة التغيير فألحوا وأكثروا الطلب فيه، وهنا لا بد من الرجوع إلى سورة الإسراء لاكتمال الصورة وتمام القصة، قال الله تعالى: {وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِينَا إِلَيْكَ لِيَتَفَتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَةٌ وَإِذَا لَاتَتَّخِذُوا خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُضُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا فَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذَا لَأَذْنُوكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا} <sup>2</sup>، فألحوا في الشق الثاني من الطلب وهو التغيير السلبي؛ بأن يفتری رسول الله على ربه بتغيير القرآن، وقد كادوا يصلون إلى بعض ما أرادوا في هذه الفتنة — لولا تثبيت الله لرسوله صلى الله عليه وسلم — حيث عرضوا عليه أن يتخذوه خليلا إن هو غير، لكنه صلى الله عليه وسلم ما بدل وما غير، وما كان ليفعل، وهذه الآية من كبريات دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم.

<sup>1</sup> سورة يونس، الآية: 15

<sup>2</sup> سورة الإسراء، الآية: 73 — 75

## المبحث الثاني: حاجة البشرية إلى التغيير بالقرآن العبيد

منذ ما يزيد على أربعة عشر قرنا نزلت آخر رسالة من الله — تبارك وتعالى — إلى الأرض على قلب الرسول الأمين محمد — صلى الله عليه وسلم — لإنقاذ البشرية من براثن الشرك والضلال والفساد، وتأخذ بأيدي الناس إلى طريق الهداية والاستقامة والصلاح، ولتؤكد أن حاجة البشرية إلى الوحي الإلهي فوق كل حاجة، والضرورة إليه أعظم من ضرورة البدن إلى روحه، والعين إلى نورها، والروح إلى حياتها، "فلا سبيل إلى السعادة والفلاح إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث من القول والفعل — على التفصيل — إلا من جهتهم، ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم"<sup>1</sup>.

فالكائن البشري حيث كان، وفي أي بقعة من بقاع الأرض يعيش، عريبا كان أو أعجميا، هل أسعدته تجاربه؟ هل استمتع بحياته بالفعل؟ أم أن ذلك كله أدى به إلى باب مسدود فبقي حائرا في فكره ضالا في عقيدته، منكوس الفطرة، متزوع الكرامة؟ فكان بذلك بحاجة إلى تدخل الوحي لإصلاح حاله.

دراسة أحوال المجتمعات البشرية: العربية وغير العربية قبل نزول القرآن الكريم، ليس هذا البحث محل تفصيل القول فيها، ولكن حسبي أن أذكر من ذلك ما يدل على حاجتهم الملحة إلى التغيير الوحيي بمبادئه السامية، وأخلاقه الفاضلة، وأحكامه العادلة، لما وصلوا إليه من اضطراب واختلال على كل المستويات.

<sup>1</sup> زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، (ت: 751هـ)، 68/1

## المصـلب الأول: حال العرب قبل نزول القرآن الكريم

بعد تأمل أحوال العرب قبل نزول القرآن الكريم وبعثة النبي الأمين محمد — صلى الله عليه وسلم — يمكن أن نتساءل: هل كان المجتمع البشري — عموماً — باعتباره مستهدفاً برسالة القرآن، والمجتمع العربي خاصة باعتباره منطلق رسالة القرآن الكريم، — في حاجة إلى تدخل الوحي لتدارك أوضاعهم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها بالحلول الجذرية؟ وهل كانوا فعلاً على مشارف الهلاك والدمار النهائي على مستوى الأفكار والعقائد والعادات والأخلاق؟

لقد كان المجتمع العربي — فعلاً — مهياً لقبول رسالة التغيير التي جاء بها القرآن المجيد بعد ما التوت به السبل، وتاه في ظلمات الجهل والتخلف والانحيار على كل المستويات: الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها.

## الوضع الاجتماعي للعرب قبل نزول القرآن الكريم

يمكن تقسيم سكان الجزيرة العربية قبل نزول القرآن الكريم قسمين: بدو وحضر، وإن كان البدو هم الأكثر عدداً وأوسع أرضاً.

أما البدو فقد كانوا بسطاء في عيشتهم وأحوالهم المادية، بعيدين كل البعد عن أساليب الحضرة في العيش؛ من صناعة وتجارة، وإنما كان عيشتهم على لحوم ماشيتهم وألبانها، يرحلون بها في موسم الشتاء، يبحثون عن منابت الكأ، ويلبسون من أصوافها وأوبارها، ويتخذون منها مساكن، كما يعيشون على الصيد، بل وعلى الغارة والسلب، فكثيراً ما تندلع الحروب بين قبيلتين منهم لأتفه الأسباب، فتغير إحداهما على الأخرى فيأخذون بعض ما بأيديهم، ويسبون من دراريهم ونسائهم.

وأما العرب الحضر فقد كانوا ——— كما قال أحمد أمين ——— "أرقى من ذلك كثيرا: يسكنون المدن ويقرون فيها، ويعيشون على التجارة أو الزراعة، وقد أسسوا قبل الإسلام ممالك ذات مدنية كاليمن والغساسنة في الشام واللخمين في العراق"<sup>1</sup>، ولا يعني هذا أن العرب الحضر قد بلغ بهم ذلك الرقي أن يستغنوا به عن رسالة السماء، وإنما يعتبرون أرقى باعتبار ما عليه إخوانهم البدو، وإلا فالعرب كلهم بدوهم وحضرهم، قد وصلوا مرحلة اضطراب وفساد وتدهور اجتماعي؛ سواء على مستوى الفكر والعقيدة، أو على مستوى الأخلاق والسلوك.

وكان مجتمع العرب عموما مجتمعا طبقيا بامتياز؛ تحكمه روابط القرابة والدم، فكانت فيهم طبقة الأحرار؛ وهم الذين يجمع بينهم الدم، ويشتركون في النسب، وتضمهم قبيلة واحدة، وفيهم طبقة تدعى طبقة الموالى؛ وهم الذين يلتحقون بالقبيلة وينضمون إليها ولم يكونوا من أبنائها، وإنما يتم ذلك عن طريق الجوار أو الحلف أو العتق، ثم طبقة الأرقاء وهم عبيد وإماء يتم جلبهم عن طريق الشراء أو أسرى الحرب، ولكل طبقة من هذه الطبقات حدود وقانون يحكمها لا تتعدها، كما أن كل فرد داخل طبقة من هذه الطبقات لا يخرج عن نظامها وقانونها الذي يحكمها، بل يعتبر الفرد جزءا من قبيلته يعيش لها قبل أن يعيش لنفسه، يصيب إن أصابت ويخطئ إن أخطأت، حتى قال قائلهم: دريد بن الصمة<sup>2</sup>:

وهل أنا إلا من غزية إن غوت ... غويت وإن ترشد غزية أرشد<sup>3</sup>

<sup>1</sup> فجر الإسلام، لأحمد أمين (ت: 1954م)، ص: 18

<sup>2</sup> دريد هو: دريد بن الصمة، بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان. ويكنى أبا قرّة. وهوازن أخو سليم بن منصور، قتل يوم حنين في من قتل من المشركين. ينظر الشعر والشعراء لابن قتيبة، 737/2.

<sup>3</sup> ديوان دريد بن الصمة، ص: 62



وإذا تصرف فرد تصرفاً سيئاً به إلى قبيلته مما يعتبر خروجاً عن قانونها نبذته وتخلت عنه وأهدرت حقوقه عليها، فلم يجد للعيش سبيلاً إلا أن يحتمي بحمي قبيلة غير قبيلته، ويلتجئ إليها ليصير مولى من مواليتها، أو يخرج إلى الفياقي والصحاري فيعتمد على قوته، ويجعل النهب والسلب وقطع الطريق وسيلته للعيش<sup>1</sup>.

وأشوأ حالاً في هذه الطبقات طبقة العبيد؛ إذ ليسوا عرباً، فقد كانوا مسلوبى الحقوق الإنسانية، وعاشوا حياة الذل والتهميش الاجتماعى، فلا رأى لهم يسمع، ولا شأن لهم يرفع، بل لا يتزوج الواحد منهم إلا بإذن سيده، فإن أذن له فبأمة مملوكة مثله، والأعمال والمهن عند العرب منها ما هو شريف ومنها ما هو خسيس وضع، فالقيام برعى المواشى والحجامة والحدادة وشبهها مما يستنكف العربي من القيام به، تسند إلى العبيد ليقوموا بها.

وأما طبقة الموالى فقد كانوا يتمتعون بحسن الجوار، ويعاملون بنوع من التكرم والتقدير؛ إذ هم جيران وحلفاء، وقد لخص قانونهم الذي يحكم علاقة الجوار هانى بن مسعود سيد بني شيبان حيث قال للنعمان بن المنذر — وقد أجاره — : "قد لزمى زمامك وأنا مانعك مما أمتع منه نفسي وأهلى وولدى ما بقى من عشيرتي الأدين رجل"<sup>2</sup>، وكانت علاقة الجوار عندهم ترم في شأنها عهد وموائق، فيقول الرجل لحليفه أو لمن يجيره: "دمى دمك وثأرى ثأرك وحربى حربك وسلمى سلمك ترثنى وأرثك وتطلب بى وأطلب بك وتعقل عني وأعقل عنك"<sup>3</sup>، ويشهد على هذا الميثاق ملاء من الناس، وكانت حمى الجاهلية سائدة فيما بينهم، ويرون ما يتواضعون عليه دينا يجب

<sup>1</sup> ينظر مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، لأحمد إبراهيم الشريف، ص: 45

<sup>2</sup> الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني (ت: 356هـ)، 126/2

<sup>3</sup> لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (ت: 741هـ)، 369/1

الانصياع إليه، وأمرنا لا حق لأحد في مناقشته، وبقي هذا التمايز بين الطبقات أمراً مقررًا لا يخالف.

أما عن علاقة الرجل العربي بالمرأة فكانت علاقة تحكم واستبداد، وكانت تعامل معاملة خالية من الرحمة والتكريم، وكانت علاقة النكاح كما تروي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: "إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء: منها نكاح الناس اليوم: يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو بنته فيصدقها ثم ينكحها. والنكاح الآخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها: أرسلني إلى فلان فاستبضعي منه، فإذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد، فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع. ونكاح آخر يجتمع الرهط مادون العشرة فيدخلون على المرأة، كلهم يصيبها، فإذا حملت ووضعت ومر عليها ليل بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم، فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد ولدت فهذا ابنك يا فلان: تسمي من أحبت باسمه فيلحق به ولدها، ولا يستطيع أن يمتنع به الرجل. والنكاح الرابع يجتمع الناس الكثير فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها وهن البغايا: كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها جمعوا لها ودعوا القافة<sup>1</sup>، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاطه<sup>2</sup> ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك"<sup>3</sup>.

هكذا كان الوضع الاجتماعي للمرأة العربية؛ وضع سيئ بكل المقاييس، فقد عاشت أنواعا من الظلم، فكان الواحد منهم يطلق زوجته فإذا أشرفت عدتها على

<sup>1</sup> وهو الذي يعرف شبه الولد بوالده بالآثار الخفية

<sup>2</sup> بمعنى استلحقه

<sup>3</sup> صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب من قال: لا نكاح إلا بولي، رقم الحديث: 5127

الانتهاء راجعها، لا لأنه يرغب فيها، وإنما يفعل ذلك تطويلاً للعدة وتوسيعاً لمدة الانتظار ضراراً بها واعتداءً عليها، قال تعالى: {وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَاراً لِّتَعْتَدُواْ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ} <sup>1</sup>، كما كانوا يمنعونها من أن تتزوج بمن شاءت؛ فإذا مات الرجل عن زوجته كان أولياؤه أحق بها من نفسها وأقاربها، فإذا رغب فيها أحدهم تزوجها وإلا زوجها ممن شاءوا أو منعوها، فهي تحت رحمتهم لا رأي لها في نفسها وكأنها متاع <sup>2</sup>، فأنزل الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَحِلُّ لَكُمُ أَن تَرِثُواْ النِّسَاءَ كَرِهًا} <sup>3</sup>، تعاسة وظلم واعتداء من نوع أفضع يستقبلون به الأنثى في أول أيام حياتها، يقضون عليها بالقتل شر قتلة، بدعوى الدفاع عن الشرف والخوف من العار، ولك أن تتصور أيضاً حال المرأة العربية ووضعها النفسي إبان حملها، وهي موقنة أن مصير وليدها إن كانت أنثى الوأد والقتل، وكانوا يذهبون في وأدهن وقتلهن مذاهب شتى، من ذلك: أنهم كانوا إذا بلغت بنت الواحد منهم ست سنين أمر أمها فزيتها وطيبتها، فيأخذها إلى الصحراء وقد حفر لها هناك حفرة، فيقول لها انظري فيها فيدفعها من خلفها ثم يهيل عليها التراب، حتى يغيبها ويسوي الحفرة بالأرض، ومن صور وأد البنات عندهم: ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كانت الحامل إذا قربت ولادتها حفرت حفرة فمخضت على رأس تلك الحفرة، فإذا ولدت بنتاً رمت بها في الحفرة، وإذا ولدت ولداً حبسته" <sup>4</sup>، وقد صور القرآن الكريم حالهم النفسية مع

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية: 229

<sup>2</sup> المحرر الوجيز، 26/2

<sup>3</sup> سورة النساء، الآية: 19

<sup>4</sup> معالم التنزيل في تفسير القرآن، لأبي محمد الحسين البغوي (ت: 510هـ)، 216/5

البنات، فقال تعالى: {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ} (٥٨) يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ ۚ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ} <sup>1</sup>، هكذا كانت المرأة في العصر الجاهلي تقاسي ألوانا من التعاسة وصنوبا من الشقاء، فلئن أسيء إليها وهي أم وأسيء إليها وهي زوجة وأسيء إليها وهي مطلقة، فقد أسيء إليها أول ما فتحت عينيها في الدنيا؛ حيث تعرض للقتل بأبشع الطرق، فجاء القرآن الكريم فأنصفها بقول الله تعالى: {وَإِذَا الْمَوْءُدَةُ سُيِّتَتْ} (٥٩) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ} <sup>2</sup>، سؤال إنصاف لا سؤال محاسبة وعتاب.

## الوضع السياسي

كانت الجزيرة العربية قبل نزول القرآن الكريم عبارة عن جماعات غير منتظمة يسودها الطابع القبلي، ويتحاكم أفرادها فيما يستجد لديهم من قضايا إلى عرف القبيلة وسلطانها، وكان ذلك يمثل قوة اجتماعية وسياسية فيهم؛ حيث كان من حق هذه القوة ومن صلاحياتها المخولة إليها أن تضرب على يد المعتدي وتوقفه عند حده؛ لما ترى في ذلك من صيانة كيانها، وحفظ مصالح أفرادها، بيد أنهم كانوا في الوقت نفسه أحرارا لا يقبلون الانحناء لأحد، كما قال ابن حزم: "قوم لقاح لا يقرون بملك، ولا يطيعون لأحد، ولا ينقادون لرئيس، قد سرى الفخر والعزة والنخوة والكبر والظلم والأنفة في طباعهم" <sup>3</sup>، ولم يكونوا يعرفون نظاما سياسيا منظما لتحكم عصبية الجاهلية والترعة القبلية فيهم، فسرعان ما تنقض قبيلة على أخرى لتستولي على مواردها المتمثلة في

<sup>1</sup> سورة النحل، الآية: 58 — 59

<sup>2</sup> سورة التكاوير، الآية: 8 — 9

<sup>3</sup> الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم الأندلسي (ت: 456هـ)، 230/2



النَّاسِ مِنْ حَوْلِهِمْ<sup>1</sup>، وقال تعالى: {قَلِّعُوا رُبَّ هَذَا أَلْبَيْتِ ۖ} ۝ أَلَذَّةِ  
أَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوعٍ ۖ ۝ وَأَمَّنَّهُمْ مِّنْ خَوْفٍ<sup>2</sup>.

هكذا بقيت مكة القلب النابض للجزيرة العربية، تتمتع بالسلطة والتنظيم، وقسمت  
المناصب على كبريات العائلات بمكة؛ كالحاشميين وبني عبد الدار وبني مخزوم وغيرها،  
فكانت السقاية في يد الهاشميين، وخصت بنو عبد الدار بالسدانة والحجابه والندوة  
واللواء، وكان لبني عدي السفارة، أما جباية المال فكانت في يد بني سهم، وكانت  
السقاية لبني مخزوم، وكان العقاب لبني أمية، والديات لبني تيم، والرفادة لبني نوفل.  
وكان في مكة ما يسمى بدار الندوة، وكانت بمثابة البرلمان، فيها يتدارسون  
قضاياهم، وكانوا لا يقبلون في عضويتها من غير قريش إلا من بلغ سن الأربعين فما  
فوق، إلا أن تكون له ميزة تؤهله لذلك فيقبل، وأغلب أعضاء دار الندوة كانوا من  
الطاعين في السن، ومن الشعراء وكبار التجار، وكانت قرارات دار الندوة تحظى  
بالاحترام لدى الجميع<sup>3</sup>.

أما عن يثرب فقد كانت منقسمة نتيجة الحروب الدموية التي كانت بين الأوس  
والخزرج رغم ما بينهما من العمومة، وكان لليهود في ذلك يد سوداء، يوقدون نار  
العداوة بين القبيلتين، ويحركون القلاقل والفتن، ليكونوا في مأمن على أنفسهم  
وأهليهم، متفرغين لجمع المال، في الوقت الذي اشتغل عرب المدينة بالحروب، وساد

<sup>1</sup> سورة العنكبوت، الآية: 67

<sup>2</sup> سورة قريش، الآية: 3 — 5

<sup>3</sup> ينظر نشأة الدولة الإسلامية، لأمين سعيد (ت: 1967م)، ص: 4

المدينة نوع من الرعب وغياب الأمن، ولم يعد الرجل قادرا على الخروج من حيه معتبرا ذلك مغامرة بالنفس<sup>1</sup>.

هكذا كانت المدينة تعيش ألوانا من الفوضى ممزقة الأوصال، حتى صارت الحياة فيها أمرا لا يطاق، فحرموا الأمن والاستقرار، وشغلتهم الحروب، وأثرت على كل أوضاعهم بما فيها الوضع الاقتصادي.

## الوضع الاقتصادي

بلغت وضعية العرب الاقتصادية قبل الإسلام إلى حد يمكن وصفه بأنه آيل إلى الانهيار، فقد ساهمت السيطرة والانتهازية كثيرا في إثراء القوي وإفقار الضعيف، وكان بينهما تفاوت فاحش.

وفي مقابل هذا الغنى الفاحش جموع من الموالي والفقراء ممن لا يملكون قوت يومهم، وما يسترون به سوءاتهم، فكانوا يحملون بذلك في صدورهم لهؤلاء الأثرياء حقدا وعداوة، وكان منهم من يكونون عصابات وجماعات خطيرة، يقطعون الطريق على تجارة الموسرين، فاتخذوا النهب والسلب طريقا للانتقام من مجتمع يرى الحق للقوي، ولا يرى للضعيف مكانا، ولم تكن تلك العصابات لتظهر لولا ما وصل إليه المجتمع في الجزيرة العربية من التعسف والانتهازية، إضافة إلى الربا الذي اتخذوه وسيلة لكسب الثروة، حتى إنه ليفوق أحيانا أصل القرض أضعافا مضاعفة، فيضيع المدين ويغرق في ديون وفقر دون ما رحمة أو عطف.

<sup>1</sup> ينظر تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، للمستشرق الألماني: جوليوس فلهاوزن (ت: 1918م)، ترجمة عبد الهادي أبو ريده، ص: 7

وكانوا يبيعون السلع قبل وصولها<sup>1</sup>، كما كانوا يبيعون الثمار والمحاصيل الزراعية قبل بدو صلاحها بوقت ليس باليسير، مما كان يترتب عليه إفلاس بعض التجار وإثراء الآخرين، كما كان السدج من البدو يتعرضون للغبن من قبل المحتالين، وكان البيع بالمجازفة سائدا فيما بينهم رغم وجود الوزن والكيل، وكانت المناجشة والمخادعة أمرا لا يناقش، وكانوا يبلون الطعام ليكثر كيله، ويخفون الرديء داخل الجيد، وكلها معاملات لا تخدم مصلحة الاقتصاد بقدر ما تدمره وتؤدي بمتعاطيها إلى الإفلاس؛ لذلك تولى الإسلام تحريمها<sup>2</sup>.

## الوضع الديني والفكر

لم يكن وضع العرب الفكري والعقدي أحسن حالا من الأوضاع الأخرى؛ السياسية والاجتماعية والاقتصادية، بل إن فساد كل الأوضاع راجع إلى غياب دين يضبط القلوب والنفوس، وشرعة تحكم أفعالهم وأقوالهم وتفرض عليهم سلطاتها. ما هي إلا بقايا من دين إبراهيم عليه السلام، لكنها لم تجد شيئا وضاعت في أمواج الجهالات التي استحسنوها بأهوائهم تارة، وبشهواتهم تارة أخرى، وكانت الجزيرة العربية تعج بالديانات المختلفة، لكنها لم تستطع أن تعطي المعنى الحقيقي للإله الحق سبحانه، فانقلب تعظيم الله عندهم إلى تعظيم الأصنام والحجارة، ويزعمون أن عبادتهم إياها تقربهم إلى الله، قال الله تعالى: {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيَفَرَّבוْنَا إِلَى اللَّهِ رَبِّنَا} <sup>3</sup>، قال الخضرى: "لما كثروا — يقصد العرب — واحتاجوا لمبارحة مكة والانتشار في

<sup>1</sup> فيه الجهل بالمشمون وهو أمر سيحرمه الإسلام فيما بعد؛ لما فيه من الغرر على المشتري

<sup>2</sup> ينظر مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، ص: 219 وما بعدها

<sup>3</sup> سورة الزمر، الآية: 3



أرجاء الجزيرة كانوا يأخذون معهم شيئاً من حجارة الحرم أو الكعبة، ليكون معهم أثر من آثار بركتها، فيعظمون هذا الحجر تعظيمهم للكعبة، فانتشر لذلك تعظيم الحجارة والتقرب بها إلى المعبود الأعظم<sup>1</sup>، ويعتبر عمرو بن لحي<sup>2</sup> أول من نقل الأوثان من الشام إلى الحرم، فوجد عند العرب — بسبب تعظيمها الحجارة — استعداداً لتقبلها، بل والإعجاب بها فعبدوها<sup>3</sup>.

وفي كتاب الأصنام لابن الكلبي<sup>4</sup> أن "عمرو بن لحي مرض مرضاً شديداً، فقبل له: إن بالبلقاء من الشام حمة إذا أتيتها برأت، فأتاها فاستحم بها فبرأ، ووجد أهلها يعبدون الأصنام، فقال: ما هذا؟ فقالوا: نستسقي بها المطر، ونستنصر بها على العدو، فسألهم أن يعطوه منها، فنقلها وقدم بها مكة، ونصبها حول الكعبة<sup>5</sup>. غير أنهم لم يكونوا ينكرون وجود الله عز وجل، إذ كانوا يعترفون بخلق الله لهم وللكون أجمع، قال الله تعالى: {وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَاسْخَرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولَنَّ اللَّهُ قَابَئِي يَوْفَكُونَ}<sup>6</sup>، وكانوا يغضبون على آلهتهم إذا لم يظفروا بمرادهم من عبادتها والتقرب إليها، وذكر ابن الكلبي أنه "كان لكنانة صنم يقال له (سعد) بساحل جدة، فأقبل رجل بإبل له ليوقفها عليه يتبرك بذلك، فلما أدناها منه وكان عليه أثر دماء،

<sup>1</sup> محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، لمحمد الخضري بك (ت: 1345هـ)، ص: 74.

<sup>2</sup> هو عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو بن عامر الأزدي، من قحطان، أول من غير دين إسماعيل ودعا العرب إلى عبادة الأوثان.

كنيته أبو ثمامة. انتهى من الأعلام للزركلي بتصرف، 84/5 — 85

<sup>3</sup> سيرة ابن هشام 77/1

<sup>4</sup> هو أبو المنذر هشام بن أبي النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو، الكلبي النسابة الكوفي توفي سنة أربع ومائتين، وقيل سنة

ست، والأول أصح، والله أعلم بالصواب. انتهى باختصار من وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لابن خلكان، 82/6

<sup>5</sup> كتاب الأصنام لابن الكلبي (ت: 204 أو 206هـ)، ص: 8

<sup>6</sup> سورة العنكبوت، الآية: 61



{وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ<sup>1</sup>، وقال تعالى: {سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ<sup>2</sup>، وكانت العرب تبالغ في تعلقها بالآلهة المعبودة من دون الله، إلى حد قتل الولد وإراقة دمه كقربان للآلهة، هذا عبد المطلب بن هاشم كان قد نذر إذا بلغ بنوه عشرة أن يقدم واحدا منهم قربانا للآلهة، فلما تحقق له الشرط الذي علق به نذره قام ليذبح ابنه عبد الله وفاء بنذره، فلما رأى بعض أصحابه عزمه على ذبح ولده أشاروا عليه بضرب القداح بينه وبين الفداء من الإبل، إرضاء لآلهته، وإبقاء لفلذة كبده حيا يرزق، ولم يزل يضرب القداح ويخرج سهم عبد الله حتى بلغت الإبل مائة فذبحها قربانا لآلهته، وفداء لابنه<sup>3</sup>، قال الله تعالى: {وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْذُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ قَدْ زُهِمُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ<sup>4</sup>، وكان في العرب — إلى جانب عبادة الأوثان — ملل ونحل أخرى، وذلك مثل الصابئة، وكان أتباعها يعبدون النجوم والكواكب، وكانت هذه الديانة منتشرة في اليمن والعراق وحران، وقد حدثنا القرآن الكريم عن عبدة الكواكب في مملكة بلقيس بسبأ، وذلك في معرض الحديث عن قصة سليمان عليه السلام

<sup>1</sup> سورة النحل، الآية: 35

<sup>2</sup> سورة الأنعام، الآية: 149

<sup>3</sup> ينظر سيرة ابن هشام (ت: 218هـ)، 155/1

<sup>4</sup> سورة الأنعام، الآية: 138

مع الهدهد، وما خصه الله به من ملك عظيم، وسعة علم، قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا} <sup>1</sup>، ومع ذلك لم يستغن عن الهدهد والدور الذي قام به؛ إذ جمع بين خلق الاعتذار — مع حصول ما يغنيه عنه — وبين القيام بدور الداعية المشارك في هم الدعوة نشرًا، وصيانة لها من أن يتطرق لها شرك، قال الله تعالى: {... أَحَاطَتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِءَ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿١٢﴾ إِنِّي وَجَدْتُ لِامْرَأَةٍ تَمْلِكُهُمْ وَاءْتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَعْبٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَجَدْتُهَا وَفَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ بِهِمْ لَا يَهْتَدُونَ} <sup>2</sup>.

وكانت عبادة الكواكب في قوم إبراهيم عليه السلام، كما في سورة الأنعام، قال الله تعالى: {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْإِفْلَاقَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الْفَجْرَ بَارِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٨﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَفْقَهُمُ إِنَّ بَرِءًا مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٩﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلدِّينِ بِرَأْسِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} <sup>3</sup>، وكانت عبادتهم للكواكب قائمة على ثلاث يتكون من القمر والشمس ونجم الزهراء <sup>4</sup>.

<sup>1</sup> سورة النمل، الآية: 15

<sup>2</sup> سورة النمل، الآية: 22 — 24

<sup>3</sup> سورة الأنعام، الآية: 77—80

<sup>4</sup> ينظر دراسات في تاريخ الشرق القديم، لأحمد فخري، ص: 129

وأما عبادة النار فقد كانت كثيرة الانتشار في البلدان التي كانت تخضع لحكم الفرس، وكانوا يزعمون أن النار هي العنصر الشفاف ويعودونها رمزا للخير، وأنه سينتصر على قوى الشر، كما كانت عبادة النار شعار ديانة (الزرادشتية)<sup>1</sup>.

أما الأديان السماوية فقد كانت في الجزيرة العربية من ذي قبل، فقد دخلت إليها النصرانية على يد الدولة الرومانية الشرقية خلال القرن الرابع الميلادي، وكانت العلاقة بين العرب والبنزنيين وطيدة، فتأثر العرب بالمسيحية، كما انتشرت في الجنوب على يد الحبشة، وفي الشمال عن طريق سورية وشبه جزيرة سيناء، وكانت النصرانية في ذلك العهد منقسمة إلى فرق عدة، دخل الجزيرة العربية منها فرقتان: النسطورية التي كانت منتشرة في الحيرة، واليعقوبية التي كانت في غسان وفي الشام<sup>2</sup>.

أما اليهودية فقد دخلت إلى الجزيرة العربية من جهة الشمال، ويرجح أن تكون بداية ذلك في القرن الأول قبل الميلاد، عن طريق القوافل.<sup>3</sup> وكانت اليهود قد طردوا من قبل اليونانيين والسريانيين، فرحب بهم بنو إسماعيل، وقهود الكثير منهم تأثرا بكتب اليهود القديمة وما فيها من تعظيم الله عز وجل، وهو عين التوحيد الذي دعا إليه الخليل عليه السلام، فاشتهرت اليهودية في الجزيرة العربية وضواحيها؛ كخير ويثرب وقريظة والنضير، وفي قبائل اليمن بعد ما نقلته التبابعة إلى ممالكهم ما بين القرن الثالث والخامس بعد الميلاد.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> ينظر تاريخ الديانة الزرادشتية، لعبد الله مبلغى العبداني، ص: 41

<sup>2</sup> ينظر تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، لحسن إبراهيم حسن، 61/1

<sup>3</sup> ينظر دراسات في تاريخ الشرق القديم، ص: 128

<sup>4</sup> ينظر خلاصة تاريخ العرب للمستشرق الفرنسي: لويس سيديو (ت: 1292هـ)، ص: 40

ويرى بعض الباحثين أن اليهود الذين استقروا بالجزيرة العربية إنما نزحوا إليها من بلاد فلسطين، بعد الحروب التي شنتها عليهم الرومان بالشام، والتي انتهت بتشتتهم في أنحاء مختلفة، فترح بنو النظير وبنو قريظة إلى شبه الجزيرة العربية، وهناك استقروا حتى نزحت إليهم قبائل الأوس والخزرج من اليمن بسبب سيل العرم الذي ذكره القرآن الكريم في قوله تعالى: {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ} <sup>1</sup>، <sup>2</sup>.

وكانت العداوة بين اليهودية والمسيحية على أشدها، ولعل قصة أصحاب الأخدود مشهد من مشاهد تلك العداوة التي جعلت كل فريق يتربص بالآخر ليذيقه أشد العذاب.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الديانتين: اليهودية والنصرانية لم يتمكنوا من فرض أنفسهما في جزيرة العرب رغم ما بذل في سبيل الدعوة إلى كل منهما، فلم يعتنقهما إلا القليل من عرب الجزيرة العربية، وساهم في ذلك فيما يخص الديانة اليهودية اعتقادهم أنهم شعب الله المختار، وأن غيرهم من الشعوب يجب أن يكونوا في خدمتهم. وأما المسيحية فقد تعددت مذاهبها، وتشعبت فرقها، وشابها التعقيد من كل جانب، ولم يكن بوسع العقلية العربية استيعاب تلك التعقيدات، ثم إن الإنسان العربي يعتبر الديانتين شيئاً دخيلاً عليه في حياته التي عهدها، وأعرافه التي نشأ فيها، إذ كان مجبولا على حب الفخر والاعتزاز بالقبيلة والنسب، وكانوا ينتظرون دينا يوافق تطلعاتهم، يحملونه في وجدانهم ويفدون به دمائهم، واقفين به في وجه فارس والروم، قال الله تعالى: {وَأَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِ

<sup>1</sup> سورة سبأ، الآية: 16

<sup>2</sup> ينظر قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد، لمحمد جمال الدين سرور (ت: 2016م)، ص: 49

إِخْدَى الْأُمَمَ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٥٧﴾ إِسْتَكْبَارًا فِي الْأَرْضِ  
وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ} <sup>1</sup>.

هكذا بقيت عبادة الأصنام الدين المنتشر في أنحاء الجزيرة العربية، يمثل السذاجة  
الفكرية، وتنكب الجادة، والانحراف عن سواء السبيل، كما وقفت عقول البعض منهم  
عند حدود الملموس، فأنكروا الغيب وكفروا بوجود الإله الحق سبحانه، وقالوا —  
كما حكى القرآن — : {مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا  
إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ} <sup>2</sup>، ويسمون بالدهرين نسبة  
لمقولتهم هذه التي حكاها القرآن، وقالوا: "إن هي إلا أرحام تدفع وأرض تبلع" <sup>3</sup>  
وهؤلاء أبعدهم عن الطريق المستقيم.

وقلة قليلة كانت على بقايا دين إبراهيم عليه السلام، ويسمون الحنفاء، قال الله  
تعالى: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا  
كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} <sup>4</sup>، وقال تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا  
وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} <sup>5</sup>.

<sup>1</sup> سورة فاطر، الآية: 42 — 43

<sup>2</sup> سورة الجاثية، الآية 23

<sup>3</sup> ينظر تفسير المراغي (ت: 1371هـ)، 58/22

<sup>4</sup> سورة آل عمران، الآية: 66

<sup>5</sup> سورة النحل، الآية: 120

رغم وجود هذه القلة التي تحمل التزعة إلى الحنيفية الإبراهيمية، فإن الوضع السائد في الجزيرة العربية هو الاضطراب الفكري، كما أضحت الخرافة والأوهام مكونا أساسيا لعقيدتهم وفكرهم، وذلك مثل الغيلان والهامة والأرواح الشريرة.

هكذا وصلت الجزيرة العربية قبل مجيء رسالة القرآن الكريم إلى قمة الاضطراب والفوضى على جميع المستويات، فاختفت فيهم معالم الحنيفية التي دعا إليها الخليل إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام، لكن مع ما هم عليه من الضلال والفساد الفكري، فإنهم لما جاءتهم رسالة التغيير: القرآن الكريم، واختارهم الله ليكونوا أول من يقوم باعتناق الرسالة العالمية وحملها وتبليغها للبشرية، كانوا أحق بها وأهلها، كما كانت بيئتهم الصحراوية المعروفة بانطلاق أهلها من قيود أي نظام مهيمن أو سلطة قاهرة، عاملا أساسيا في عشقهم الحرية، وحبهم المغامرة، ونبذ البلادة التي تجعل صاحبها يسمع ما يهين شرفه ولا يتحرك، بل كانت الحرية شعارهم، والإباء عنوان مجتمعهم، لا يخافون الموت مادام في عز وكرامة، ولا يبالون من يقاتلون، يقدم الواحد منهم حياته فداء لقبيلته، أو من احتفى به واختار جواره، فضلا عن أن يقبل أن يهان في نفسه، أو يمس في شرفه وكبريائه، فكان المجتمع العربي عموما يمتاز عن غيره من المجتمعات بخصال حميدة، وأخلاق عالية، كالكرم والشجاعة والوفاء، حتى حملهم خلق الكرم على أن الواحد منهم يقوم فيذبح ناقته إكراما للضيف حيث لم يجد غيرها، وهي مصدر عيشه وعيش أبنائه، وكان الوفاء فيما بينهم دينا يتمسك به، كما كانوا "سريعي الغضب ... كثيري المشاجرة كراهية في مطلق التحكم عليهم، لما جبلوا عليه من حب الاستقلال الذي يظنونونه الخير الوحيد من بين ما متعوا به، مع ما هم عليه من كثرة السعي والجهد في الضراوة المعاشية المصحوبة بصعوبة المعاملة وقوة الغلب، وشدة



الحرص على الانتقام، إلا أنهم كانوا ذوي حرية وعزة نفس"<sup>1</sup>، وكانت هذه الخصال كلها من حرية وكبرياء، وعزة نفس وكرم وشجاعة ووفاء، من المؤهلات التي رشحت العرب وبلدهم الجزيرة العربية لحمل رسالة الإسلام واحتضانها في بداية نزولها، فما إن سمعوا القرآن وآمنوا به حتى هذب أخلاقهم، واعتدلوا دون تعسف أو كبر، فحملهم خلق الوفاء الذي كان فيهم سليقة ثم ثمنه الإسلام، على حماية رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنفسهم وأموالهم وأولادهم، حين تذوقوا طعم الإيمان برسالة القرآن، كما كانت البيئة العربية عاملاً مهماً أيضاً في صفاء الذهن والطلاقة الفكرية، حتى نطقوا بالحكمة بديهية شعرا ونثرا.

وفي المقابل جعلت الحرية والعزة القومية والكبرياء آخرين يصرون على كفرهم برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، فكانوا يأنفون الدخول تحت راية الإسلام، والخضوع للتغيير الذي جاء به القرآن الكريم مكابرة منهم وعناداً، قال الله تعالى: {فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بَيَّاتٍ إِلَهُ يَجْحَدُونَ}<sup>2</sup>.

هكذا كانت الجزيرة العربية قبيل نزول القرآن الكريم تعيش حالة الاحتضار على جميع المستويات: الفكرية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فتاهت بها السبل، وأساءت توظيف ما لديها من كريم الخصال وجميل الخلال، فوظفوا الشجاعة في الاعتداء، وجعلوا الحرية وسيلة للكبرياء، والكرم للتظاهر والتفاخر، وتندلع بينهم حروب طاحنة باسم الوفاء، حتى أخذ القرآن بزمامهم وقادهم لاعتناق رسالة التغيير ونصرة البشير النذير محمد صلى الله عليه وسلم.

<sup>1</sup> خلاصة تاريخ العرب ل لويس سيديو (ت: 1292هـ)، ص: 23

<sup>2</sup> سورة الأنعام، الآية: 34

## المصلب الثاني: حال الأمم غير العربية قبل نزول القرآن الكريم

إذا كانت الأمة العربية قبل نزول القرآن الكريم على الحال التي رأينا؛ من ضلال مبين، وانحراف على جميع المستويات، فإن الأمم غير العربية لم تكن أحسن حالا من العرب، بل كانت تموج هي الأخرى بالظلم والاستعباد، والتدين الباطل وشذوذ الأفكار، والبؤس وسوء العادات، فكان العالم بسبب ذلك يتطلع إلى مخرج ينفذ منه إلى التحرر مما هو فيه من شدة وعناء، حيث شاعت في ربوع الأرض أباطيل وخرافات، قتلت الإنسانية التي استحق بها بنو البشر أن يكون خليفة في أرض الله، ولم تعد الديانتان السماويتان: (اليهودية والنصرانية) آنذاك صاحبتين لحماية الإنسان من الضياع والشتات، وهدايته إلى الصراط المستقيم؛ بسبب ما نالهما من تبديل وتحريف.

### اليهودية

كان اليهود أبناء يعقوب حملة دين اليهودية والدعاة إليها، فتسلموا بذلك قيادة الإنسانية، حتى استحقوا بذلك ثناء الله على السلف منهم، وتذكير خلفهم بآلائه، وتفضيلهم على غيرهم، وكانوا يتحلون بالصبر وطول النفس ورسوخ القدم في الحق، قال الله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوفُونَ}<sup>1</sup>، وقال تعالى: {يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ فَضَّلْتُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ}<sup>2</sup>، لكنهم لما طغوا وعتوا في الأرض فسادا، وتجبروا على الإنسانية، وادعوا أنهم شعب الله المختار وغيرهم خدمهم وعبيدهم، ولم يبالوا بما يترلون بالعباد من ظلم واستبداد، فاستولى حب الدنيا على وجدانهم، وتفتحت عليهم

<sup>1</sup> سورة السجدة، الآية: 24

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية: 46

الدنيا، فأتاهم المال من كل جانب، حتى باعوا في سبيله عقيدتهم ودينهم، فبدلوا وحرفوا رغبة في عرض الدنيا الزائل، قال الله تعالى: {قَوِيلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوِيلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ} <sup>1</sup>، وقال سبحانه: {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَبِيسَ مَا يَشْتَرُونَ} <sup>2</sup>، هكذا اعتدوا على مصادر النور، وأطفئوا سروجها بأيديهم، فقتلوا الأنبياء وتاهوا في الظلام الحالك، وأعرضوا عن الحق، فحاق بهم غضب الله ولعنته ومقتته، قال الله تعالى: {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أُنْثَىٰ مَا تُفْبِقُونَ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكََ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكََ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ} <sup>3</sup>.

أجرى الله على يد موسى عليه السلام طائفة من المعجزات <sup>4</sup>؛ مثل العصا واليد، ولم يقابلوا هذه المعجزات بما استحقت، ولم يستقبلوها بما استوجبت؛ من التقدير والاهتمام — وقد أرعبت فرعون وجعلت السحرة لله ساجدين — فلم يلبثوا أن مروا بعبدة الأصنام عاكفين على عبادتها، فقالوا لموسى عليه السلام: {إِجْعَلْ لَّنَا إِلَهًا كَمَا

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية: 78

<sup>2</sup> سورة آل عمران، الآية: 187

<sup>3</sup> سورة آل عمران، الآية: 112

<sup>4</sup> وهي تسع آيات بنص القرآن، قال الله تعالى: { ولقد — اتينا موسى تسع آيات بينات } سورة الإسراء، الآية: 101 وهي: العصا، واليد، وخلق البحر، والسنين، والطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم.

لَهُمْ {ءَالِيَهُ} <sup>1</sup>، كما تخلوا عن توحيد الله واستبدلوا به عجل السامري، فعبدوه من دون الله حين ذهب موسى عليه السلام ليتلقى من الله الألواح هدى ونورا لهم، قال الله تعالى: {وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ خَلْقِهِمْ عَجَلًا جَدًّا لَهُ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَكْلِمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا} {تَحَذُّوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ} ﴿١٤٨﴾ ﴿ثُمَّ﴾ وَلَمَّا سَفِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَيْسَ لَنَا بِرَبِّنا وَنَحْنُ بِمُغْبِرِّينَ لِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿١٤٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبًا أَسْفًا قَالَ بَيْسَمَا لَخَلْقَتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعْجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَحَ وَآخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَفْتُلُونِي فَلَا تَشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ} <sup>2</sup>، لم تنفع فيهم المعجزات ولا نصيحة هرون عليه السلام، بل هموا بقتله حين قال لهم — كما يحكي القرآن ذلك —: {يَقُولُونَ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي} <sup>3</sup>، فأذاقهم الله بسبب عتوهم عما نهاهم عنه مسخا، وبعث عليهم من يسومهم سوء العذاب ما بقي الليل والنهار، قال الله تعالى: {فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا

<sup>1</sup> سورة الأعراف، الآية: 138

<sup>2</sup> سورة الأعراف، الآيات: 148 — 152

<sup>3</sup> سورة طه، الآية: 89

لَهُمْ كُونُوا فِرْدَةً حَسِيْنٌ ﴿٣٧﴾ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفِيْمَةِ  
مَنْ يَّسُوْمُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيْعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ<sup>1</sup>، فـضرب  
الله عليهم الذلة، وطردهم من رحمة، ولم يعودوا صالحين للخلافة في الأرض، شهد  
عليهم بذلك القرآن الكريم، وشهد عليهم التاريخ.

## المسيحية والإمبراطورية الرومانية

بعث الله نبيه عيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة، ومكملا دعوة موسى  
عليهما السلام، فكانت دعوة عيسى عليه السلام حاملة لقومه التخفيف؛ حيث أحل  
لهم بعض ما حرم عليهم، وغلب على الإنجيل الجانب التربوي ومكارم الأخلاق؛  
كالإخلاص والصدق والصفح والعفو والترفع عن ملذات الدنيا، والإحسان إلى البائس  
والمحتاج، وهو الذي قال لهم: "سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن، وأما أنا فأقول  
لكم: لا تقاوموا الشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا، ومن  
أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء، ومن سحرك ميلا واحدا فاذهب معه  
اثنين،"<sup>2</sup>.

بيد أن هذا النداء لم يلق منهم امتثالا ولا قبولا، بل قابلوه بقلوب خاسئة، ورأوا  
فيما دعاهم إليه ما ينافي أغراضهم وشهواتهم، فثاروا عليه وأجمعوا على قتله، فطفقوا  
يبحثون عنه في كل مكان، فلم يهدأ لهم البال حتى تأكدوا في زعمهم أنهم قضوا عليه،  
ولكن عصمة الله له منهم ماضية، ومن مكرهم مانعة وحامية، قال الله تعالى: {وَمَا

<sup>1</sup> سورة الأعراف، الآيتين: 166 — 167

<sup>2</sup> إنجيل متى الإصحاح الخامس، الفقرات: 38 — 40، نقلا عن (المجتمع الإسلامي) لأحمد شليبي (ت: 2000م)، ص: 25

فَتَلَوْهُ وَمَا صَلَّبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَبِئْسَ شَكٌّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظُّلِّ وَمَا فَتَلَوْهُ يَفِينَا ﴿١٥٦﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا<sup>1</sup>، واستمر حوار يوه في حمل دعوته، يبلغون الإنجيل من بعده، إلا أنهم تفرقوا في الأرض بسبب الاضطهاد اليهودي ضدهم، ثم برزت الدولة الرومانية العملاقة التي استولت على مقدونيا وآسيا الصغرى واليونان، وسوريا ومصر، فامتدت هذه الإمبراطورية من نهر الرين والطنونة إلى الصحراء الكبرى جنوباً، ومن المحيط الأطلسي غرباً إلى نهر الفرات شرقاً، ولم يسلم من امتداد هذا الأخطبوط إلا العراق وشبه الجزيرة العربية، فمارست دولة الروم على أتباع عيسى عليه السلام الظلم والعنت، وكان من الطبيعي بعد هذا التشريد والتنكيل الذي يتعرض له أتباع عيسى أن يقل عددهم، ونتج عن قتلهم واضطهادهم ضياع الإنجيل، فلم يبق منه إلا قصص يعوزها صحة السند ومعرفة رواتها، فبقيت هذه القصص تنسب كل مجموعة منها إلى أحد الرواة، وتسمى الأنجيل، فلما جاء قسطنطين فألقى الفرس الساسانيين يشكلون تهديداً لدولته من جهة حدودها الشرقية، قام بتحويل عاصمة دولته من روما إلى بيزنطة، وذاك سنة ثلاث وثلثين وثلثمائة للميلاد 333م، وأطلق عليها القسطنطينية نسبة إليه، واعترف بدين المسيح عليه السلام كدين من الأديان الرسمية في دولته، وأحسن إلى المسيحيين ليضمن ولائهم سعياً إلى الوحدة والقوة، تحسباً لخطر الفرس على الحدود الشرقية، فأصبحت المسيحية الدين الرسمي للدولة الرومانية بعد قسطنطين، وذلك في أواخر القرن الرابع الميلادي، لكن المسيحية تأثرت حينئذ بوثنية اليونان وفلسفة الإغريق<sup>2</sup>، قال تعالى:

<sup>1</sup> سورة النساء، الآيتين: 156 — 157

<sup>2</sup> ينظر (المجتمع الإسلامي) لأحمد شليبي (ت: 2000م)، ص: 27 وما بعدها

{إِتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّسْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ<sup>1</sup>، فانتشرت فلسفة الإغريق وخرافاتهم في أنحاء الدولة الرومانية، فتلقفوا منها ما يلائم أهواءهم وشهواتهم، ثم جاءهم أبيقور الفيلسوف اليوناني بالفساد العقائدي، والانحراف الخلقي، وأشهر نظرياته نظرية السعادة فكان يرى السعادة في اللذة<sup>2</sup>.

ولما انتشرت هذه الفلسفات في الدولة الرومانية، وجرفت بها إلى مهاوي الرذيلة، أخذ أفرادها يبحثون عن الملذات، فساد الانحلال الخلقي، وتعاطوا أنواع الموبقات، وعاشت أمة القوة والحضارة فريسة لعقائد فاسدة، وفلسفات متهافنة، تحكمت في مشاعرهم وأفكارهم، فباؤوا بالبؤس والشقاء وطغيان الحكام الذين فرضوا عليهم ما أرهقهم وسلب منهم حريتهم، حتى كان هذا الظلم سبب انهيار الدولة الرومانية وتفكيكها<sup>3</sup>.

انطفأت أنوار الإنجيل واندرست تعاليمه، وحل الضلال محل الهداية، وعاش الناس تحت ظلم الرومان أسوأ ما يمكن أن يتصوره متصور؛ من استبداد وقهر، حتى الأفراد يرون أنهم لم يخلقوا إلا لخدمة هؤلاء الحكام، والعمل على توفير سعادتهم، فتحولت الحياة في هذه الأجواء إلى جحيم لا يطاق، وآذن ما وصلت إليه البشرية من بؤس، بقرب تدخل العناية الإلهية، لإنقاذ البشرية بالوحي رحمة بها وتداركها لحالها.

## فلسفة

<sup>1</sup> سورة التوبة، الآية: 31

<sup>2</sup> ينظر (أبيقور مؤسس المدرسة الأبيقورية) للشيخ كامل محمد محمد عويضة، ص: 38

<sup>3</sup> موجز تاريخ العالم، ل هربرت جورج ويلز (ت: 1946م)، ترجمة عبد العزيز توفيق، ومراجعة محمد مامون، ص: 164 وما بعدها

إذا كان اليهود والنصارى أهل كتاب سماوي، جاءهم به نبي مرسل، فإن الحديث الآن سيكون عن قوم دينهم عبارة عن أوهام باطلة، وأفكار بشرية منحرفة، يعوزها روح الوحي لتجعل أهلها في تعايش متكامل مع ربهم، ومع أنفسهم، ومع الناس أجمعين.

إنها الجوسية التي بنيت على عبادة النار وتقريب القرابين لها، قال الإمام الشهرستاني: "ثم الثنوية اختصت بالجوس، حتى أثبتوا أصلين اثنين مدبرين قديمين، يقتسمان الخير والشر، والنفع والضرر، والصلاح والفساد، يسمون أحدهما النور، والثاني الظلمة، وبالفارسية: يزدان وأهرمن، ولهم في ذلك تفصيل مذهب، ومسائل الجوس كلها تدور على قاعدتين: إحداهما: بيان سبب امتزاج النور بالظلمة، والثانية: سبب خلاص النور من الظلمة، وجعلوا الامتزاج مبدأ، والخلاص معادا"<sup>1</sup>.

ثم جاء زرادشت: مؤسس الديانة الزرادشتية، ما بين 660 إلى 580 قبل الميلاد، يهذب من عبادة الجوس، ويصلح من عقيدتهم، فما خرج كثيرا عنها، فقد ادعى أن "النور والظلمة أصلان متضادان،... والخير والشر والصلاح والفساد والطهارة والخبث، إنما حصلت من امتزاج النور والظلمة، ولو لم يمتزجا لما كان وجود للعالم، وهما يتقاومان ويتغالبان إلى أن يغلب النور الظلمة، والخير الشر، ثم يتخلص الخير إلى عالمه، وذلك هو سبب الخلاص"<sup>2</sup>.

هكذا يرى زرادشت أن النار رمز للصراع بين الخير والشر، وأن هذا الصراع سينتهي بانتصار الخير على الشر، فيقصد بالخير النور، وبالشر الظلمة، وقد عرفت

<sup>1</sup> الملل والنحل، لأبي الفتح محمد الشهرستاني (ت: 548هـ)، 1/260 — 261

<sup>2</sup> المصدر نفسه، 1/266



الزرادشتية في معتقد أصحابها بتعدد الآلهة، إلا أن زرادشت كان يقول بالبعث والحياة الأخروية، ويرى — كما ذكر الشهرستاني — أن "الاعتقاد والقول والعمل، وبالثلث يتم التكليف، فإذا قصر الإنسان فيها خرج عن الدين والطاعة"،<sup>1</sup> فبقيت الفرس متمسكة من الزرادشتية بعبادة النار والثنوية، وأخذت الديانة تدرس إلى أن جاء أردشير بن بابك سنة 226م من آل ساسان، وكانو يلقبون بالأكاسرة، فقاموا بنهضة شاملة، وأحيوا التراث بما في ذلك الزرادشتية، لكنها في هذه المرحلة لم تعد سوى أداة لتحقيق أهداف الملوك، ووسيلة في أيدي الكهنة يستدرون بها الأموال ويستغلون بها المجتمع أفرادا وجماعات، فشاع الظلم والانحلال الخلقي.

وفي سنة 487م ظهر مزدك: مؤسس الديانة المزدكية، فرأى أن المال والنساء سبب الكراهية والشقاق بين الناس، فأصدر قانونا يقضي بجعل الناس فيهما شركاء، قال الشهرستاني: "أحل مزدك النساء وأباح الأموال، وجعل الناس شركة فيها كاشتراكهم في الماء والنار والكلاء"<sup>2</sup>، فظل الفرس يهيمنون في عقائد مزيفة، ويعانون قسوة الحكام الذين استغلوا قول (مترا)<sup>3</sup> أحد مصلحيهم حيث قال: "إن الشمس تشع عليهم قبسا من نورها، وهالة من بركتها، فيرمزون بعروشهم على الأرض إلى عرش الله في عليين"<sup>4</sup>، فجعلوهم كالآلهة ويقدمون لهم القرابين، وأطاعوهم بل عبدوهم، معتقدين فيهم أنهم يحق لهم أن يسيطروا على الناس، ويتصرفوا فيهم وفي أموالهم وفق إرادتهم، فكان الناس بذلك في حاجة إلى الوحي ليغير ما هم عليه.

<sup>1</sup> المصدر نفسه، 267/1

<sup>2</sup> المصدر نفسه، 276/1

<sup>3</sup> هو: أحد آلهة الزرادشتية، يزعمون أنه هو ضامن العقود، وأنه ذو جوانب شمسية وسيد السماء النهارية.

<sup>4</sup> كتاب (الله) لعباس محمود العقاد (ت: 1383هـ)، ص: 63

## الهند

لاتساع الهند وتنوع أماكنها وترامي أطرافها، اجتمعت فيها جملة من المتناقضات المتفرقة في غيرها، قال الشهرستاني: "الهند أمة كبيرة، وملة عظيمة، وآراؤهم مختلفة، منهم البراهمة وهم المنكرون للنبوات أصلاً، ومنهم من يميل إلى الدهر، ومنهم من يميل إلى مذهب الثنوية، ومنهم من يقول بملة إبراهيم عليه السلام، وأكثرهم على مذهب الصابئة ومناهجها، فمن قائل بالروحانيات، ومن قائل بالهياكل، ومن قائل بالأصنام، إلا أنهم مختلفون في شكل الهياكل التي ابتدعوها، وكيفية وأشكال وضعوها، ومنهم حكماء على طريق اليونانيين علما وعملاً"<sup>1</sup>، فالهند أمة عبدت كل شيء، وتشعبت بها المذاهب، وتعددت فيها الآراء والنحل، فأصابتها من التدهور والاضطراب على جميع المستويات، وكانت الأوضاع التي وصلت إليها قبيل نزول القرآن الكريم أسوأ وضع عرفته الهند عبر تاريخها، قال أبو الحسن الندوي: "اتفقت كلمة المؤلفين في تاريخها على أن أحط أدوارها ديانة وخلقا واجتماعا ذلك العهد الذي يتدنى من مستهل القرن السادس الميلادي ... وقد أصبحت في هذا القرن 330 مليون. وقد أصبح كل شيء رائعا وكل شيء جذابا وكل مرفق من مرافق الحياة إلها يعبد.. وهكذا جاوزت الأصنام والتماثيل والآلهة والإلهات الحصر وأربت على العد"<sup>2</sup>.

ويعتبر مثلث البرهمية أهم الديانات القديمة في الهند، ثم تليها البوذية، وإن كانت البوذية لم تضيف أي شيء إلى ما في البرهمية، وإنما أضافت في فلسفة الحياة وفي السلوك،

<sup>1</sup> الملل والنحل، 704/3 — 705

<sup>2</sup> ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لأبي الحسن علي الندوي (ت: 1420هـ)، ص: 48 — 49

قال العقاد: "لا تعتبر إضافة في صميم العقائد الدينية، بل إضافة في آداب السلوك وفلسفة الحياة"،<sup>1</sup>.

وليس الغرض هنا نقد ديانات الهند وتفصيل الحديث عنها؛ إذ ليس هذا محل البحث في ذلك وتفصيل القول فيه، وإنما هي إشارة وإيماء إلى ما وصل إليه فكرهم، ومدى أثر ذلك على حياتهم الاجتماعية والسياسية وغيرها.

ويمكن القول بأن أشهر ما عرفته الهند هو ما يسمى بنظام الطبقات، وهو نظام تم تأسيسه على الديانة البرهمية، وذلك أن البراهمة يزعمون أنهم من عنصر إلهي، ولا حق لأحد أن يذبح إلا بحضرتهم، فهم في قمة الطبقات وهم كهنتهم وسادة الباقين، وتحتهم ثلاث طبقات، الأولى: رجال الحرب، (الكشترية)، الطبقة الثانية: طبقة التجار والصناع (الوشيا)، الطبقة الثالثة: طبقة الخدم والعبيد (الشودرا)، وهناك طبقة تم إبعادها ونبذها فلم يتم اعتبارها حتى ضمن الطبقات المنحطة، ولذلك لقبوا بالمنبوذين.<sup>2</sup>

## الصين

الصين قوم يرون أن الإنسان طيب بفطرته، عاشوا بلا دين ولا عقيدة ثابتة، فتوجهوا إلى الحياة يستلهمون منها معنى الألوهية، فنظروا إلى السماء بكواكبها، وإلى الأرض وما عليها من جبال، وما فيها من بحار وأنهار، كما لاحظوا أن أبطالهم يذهبون ولا يرجعون، وتبقى ذكرياتهم راسخة في القلوب والنفوس، فقدسوا ذلك وعبدوه وقدموا له القرابين، وادعوا لمعبوداتهم صفات الألوهية، وكونهم يعبدون أرواح أسلافهم وأبطالهم أشهر ما عرف عنهم من أنواع العبادة.

<sup>1</sup> كتاب (الله) للعقاد، ص: 48

<sup>2</sup> ينظر أديان الهند الكبرى، لأحمد شلبي (ت: 2000م)، ص: 54.

لم يبعث لهم نبي ولا رسول، فكان بينهم الحكماء والمعلمون، ومن أشهرهم (كونفشيوس)<sup>1</sup> الذي كان يدعو إلى الإخلاص وإصلاح النفس، وإقامة مجتمع سليم يقوم على المحبة والرضا والطاعة يقدمها المحكوم لحاكمه، والولد لوالده، والأخ الصغير للكبير، غير أنه لم يهتد إلى الحياة الأخروية، وأنى له أن يهتدي لذلك؟ إلا عن طريق الوحي، فأنكر البعث والحساب والجنة والنار، وقد سئل عن الموت فقال: إننا لم ندرس الحياة بعد، فكيف ندرس الموت؟

ولما مات كونفشيوس عبده الصينيون، فأقاموا لروحه الهياكل، وقدموا لها القرابين، ولم يزل الصينيون يتناقلون عبادتهم هذه إلى الآن.

ومن حكمائهم أيضا (لاوتزه) فهو أيضا دعا إلى الفضائل، فكان يقول: "من كان طيبا معي فأنا طيب معه، ومن أساء إلي فأنا طيب معه، كذلك فلنجز السيئة بالحسنة، ولنعمل الطيب على كل حال. بينما كونفشيوس يدعو إلى مقابلة السيئة بالعدل، ومقابلة الإحسان بالإحسان"<sup>2</sup>.

### المصلب الثالث: العصر الحاضر وسؤال التغيير بالقرآن الكريم

وإذا كان جوهر الطبيعة البشرية هو التغيير، وجوهر الدين هو الثبات، فكيف للخطاب الإلهي الثابت الذي لبي حاجات القرون الأولى أن يلبي حاجات هذا العصر الذي فجر الذرة وغزا الفضاء؟ وكيف لنصوص الوحي المحدودة؛ من حيث كمها أن تظل المنطلق للجواب عن المستجد من حاجات الإنسان اللامتناهية؟ أليس من الأجدر

<sup>1</sup> كونفشيوس: فيلسوف صيني أقام مذهبا يتضمن التقاليد الصينية في المجالين: الاجتماعي والأخلاقي، مذهبه مبني على القيم

والأخلاق، وعلى ضرورة وجود حكومة تخدم الشعب

<sup>2</sup> كتاب (الله) ص: 53

أن نصون كتابنا الذي نذكره بكل إكبار وإجلال، نتقرب إلى ربنا بتلاوته، ثم ننطلق نحن نقيم بناءنا الحضاري من وحي حاجاتنا المعاصرة، بعيدا عن التقيد بهذا الكتاب، فنصون بذلك تراثنا من العبث، ونحرر مسيرة تقدمنا من الجمود والأسر؟ فما مدى حاجتنا — نحن المسلمين بل والبشرية كلها — إلى الدين؟

فالوحي ليس له مصدر إلا الله وحده، وهذا يعني أن حقيقة الوحي لا تتأثر في أساسها بالمتحيزات الزمكانية، لأن مصدره متعال على كل الظروف الزمانية والمكانية الحادثة، وهذا يعني بالضرورة أن الوحي ليس منتوجا ثقافيا متأثرا بالظروف المحيطة به التي كان يعيشها النبي صلى الله عليه وسلم وقومه في ذلك الزمان؛ لأن القرآن نازل إليهم من مكان آخر غير مكانهم، فهو من الله تعالى الذي أحاط بكل شيء علما، لا يعني هذا أن رسالة القرآن "لم تلَب حاجات الإنسان، ولم تكن مستجيبة لهومومه وقضاياه — كما تحاول الدراسات العلمانية فهم ذلك — بل إن النظريات التي أتت بها الوحي الإلهي لم تكن لتقف عاجزة أمام تقلبات التاريخ وضيق الزمان، بمعنى أنها لم تنقرض أو تفنى بزوال المعطيات التاريخية التي نزلت فيها، من قبل الحق تعالى، كما هو الشأن بالنسبة للأفكار والنظريات الإنسانية، بل يصح القول: إنها تعلو على كل ما هو ظرفي زمني موقت لكي تأخذ طابع الاستمرارية والدوام"<sup>1</sup>، قال الله تعالى: {مَا بَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ} <sup>2</sup>.

إن هذه الكلية: (صلاحية الدين لكل زمان ومكان) لم تخضع للمنهج الاستدلالي الذي ينطلق من النتيجة ليحاول أن يبرهن عليها من خلال مقدمات، هي ذات طابع

<sup>1</sup> إشكالية النهضة في الفكر العربي الإسلامي، مقارنة تحليلية نقدية، للأستاذ الدكتور حميد الصولي، ص: 235

<sup>2</sup> سورة الأنعام، الآية: 39

استنباطي، يقوم بتعميم النتائج على الكل، بل إن نصوص الوحي الإلهي هي التي نصت على لا تاريخيته، لا الفقهاء والمفسرون، فكتاب الله نص صراحة أن محمدا — صلى الله عليه وسلم — هو رسول الله إلى العالمين كافة، وأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا قُلْنَا يُفْضَلُ مِنْهُ} <sup>1</sup>، وهي التي جعلته لا يخضع لأبعاد الكون، بل يتحدى تاريخية كثير من المفكرين العرب <sup>2</sup> والمستشرقين، ودين تلك صفاته لا بد أن يتحدى كل التاريخيات ويتجرد عن الملابس الزمانية والمكانية، وإذا كانت حقيقة الأمر كذلك، فلا يجوز في مجال الحجاج والتزاع أن يزعم أحد إنكار قدرة العقل على إدراك الحسن والقبح <sup>3</sup>، فإن الله قد فطر عباده على الفرق بين الحسن والقبح، وركب في عقولهم إدراك ذلك، والتمييز بين النوعين، كما فطرهم على الفرق بين النافع والضار، والملائم لهم والمنافر، وركب في حواسهم إدراك ذلك ونقد أنواعه، وهذا محل اتفاق بين العقلاء والطوائف المنتسبة للإسلام، كالمعتزلة والأشعرية والحنبلية وأصحاب مالك والشافعي وأبي حنيفة وغيرهم.

فالحسن والقبح في ما يوافق غرض الفاعل من الأفعال وما يخالفه، أو ما يطلق عليه بالملاءمة والمنافرة للإنسان، أي: كون الشيء ملائما للطبع أو منافرا له، فبهذا التفسير لا نزاع في كونهما عقليين <sup>4</sup>.

<sup>1</sup> سورة آل عمران، الآية: 84

<sup>2</sup> يقول محمد أركون (ت: 2010م): "إن الاستشهاد — يقصد الاستشهاد بالقرآن والحديث — يفترض زمكانا متناغما منسجما خاصا بالخيال العلمي وبالعقل الديني، لهذا فليس مهما من وجهة نظر التقليديين إذا ما أخرج المقطع المستشهد به من سياقه اللغوي ومن الحالة التي نطق فيها أول مرة" الفكر الإسلامي قراءة علمية، ص: 261

<sup>3</sup> لا أقصد بهذا الانتصار لمذهب المتكلمين المعتزلة، ولكن أقصد هذا القدر المشترك الذي هو محل اتفاق بينهم وبين خصومهم من الأشعرية والحنابلة وأتباع الأئمة الأربعة.

<sup>4</sup> ينظر التدمرية لابن تيمية (ت: 728هـ)، ص: 216 — 217

والحسن والقبح بمعنى كون الشيء صفة كمال أو صفة نقص، كقولنا: العلم حسن، والجهل قبيح، فهو كذلك لا نزاع في كونهما عقليين يستقل العقل بإدراكهما<sup>1</sup>. وإنما وقع النزاع — كما يقول الفخر الرازي — في: "كون الفعل متعلق الذم عاجلا والعقاب آجلا، وفي كون الفعل متعلق المدح عاجلا، والثواب آجلا، هل يثبت بالشرع أم بالعقل"<sup>2</sup>. وفي هذا يقول ابن تيمية: "إن الأنبياء — صلوات الله عليهم وسلامه — أكمل الناس كشافا، وهم يخبرون بما يعجز عقول الناس عن معرفته، لا بما يعرف في عقولهم أنه باطل، فيخبرون بمحارات العقول لا بمحالات العقول"<sup>3</sup>. ويقول الإمام أحمد في رسالته التي رواها عنه عبدوس بن مالك العطار<sup>4</sup>: "السنة عندنا آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي دلائل القرآن، وليس في السنة قياس، ولا تضرب لها الأمثال، ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء"<sup>5</sup>. إلا أن عقولا كثيرة على مر التاريخ رفعت لواء التمرد على هذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأعرضت عن آياته المحكمة بدعوى التجديد والحداثة، كأنهم يريدون أن يكشفوا للدين عن حقيقته ووظيفته من خلال حبسه في إطار العقلانية بوسيلة يكتنفها الغموض، غموض الأهداف والوسائل، وغموض المقاصد والمناهج، بدعوى مسaire العصر وعلومه، وروم بناء مستقبل واعد، حتى لو مس ذلك ثوابتنا، واعتدى على

<sup>1</sup> ينظر المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، لشمس الدين الذهبي (ت: 748هـ)، ص: 49

<sup>2</sup> ينظر الحصول للرازي (ت: 606هـ)، 123/1 — 124

<sup>3</sup> الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (ت: 728هـ)، 309/4

<sup>4</sup> عبدوس بن مالك أبو محمد العطار، كان الإمام أحمد يحله ويحترمه لسنه، روى عنه عبد الله بن أحمد، ومحمد بن إسحاق السراج، وآخرون. مات سنة 250 هـ — تنظر ترجمته في طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى (ت: 526هـ)، 241/1، وفي تاريخ بغداد

للخطيب البغدادي (ت: 463هـ)، 116/11

<sup>5</sup> شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم هبة الله اللالكائي (ت: 418هـ)، 175/1

مقدساتنا، واستخف بترائنا، حتى لو كان متجذرا في أعماق أصولنا، فالحاضر — زعموا — هو قائدنا وهادينا، وما الماضي إلا صفحة بائدة، وإن كان ولا بد من الالتفات إلى الماضي، فليس هو القرون الثلاثة الأولى الخيرية التي تمثل البوصلة والمنطلق، وإنما القرون الثلاثة الأخيرة.

يقول طه حسين — وهو يتحدث عن النهضة — : "واضحة لا عوج فيها ولا التواء، وهي واحدة فذة، ليس لها تعدد، وهي أن نسير سير الأوروبيين، ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا، ولنكون شركاء لهم في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، ما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب، ومن زعم غير ذلك فهو خادع أو مخدوع"<sup>1</sup>.

وحقيقة هذا الموقف يؤدي بأصحابه إلى القول بالانحطاط الإسلامي، والحادثة حدثت مرة واحدة فقط في الغرب بسبب شروط محددة، لم تكن موجودة في الحضارات الأخرى بما في ذلك الإسلام، وبأن الحضارة الإسلامية لا يمكنها أن تلج الحادثة إلا إذا جلبت إليها من خارجها، بيد أنه ظهرت في الآونة الأخيرة العديد من الأعمال — من داخل الدار الغربية — التي تعيد النظر في هذا الموقف، وتعيد النظر في الفكرة القائلة بأن الحادثة هي غربية ولا يمكن أن تكرر.

والحق أن هذا التيار الذي يمثله طه حسين وأركون وغيرهم كثير، في تناوله لموضوع الإسلام والحادثة الغربية قد تأثر بالتجربة المسيحية، حيث تم تحديد مفهوم الدين الإسلامي انطلاقا من رؤية مسيحية لماهية الدين، وتم استحضار تجربة الإصلاح المسيحي، كما أن الكثير من الأفكار العالقة في عقول المستشرقين المختصين بالإسلام

<sup>1</sup> مستقبل الثقافة في مصر، لطه حسين (ت: 1973هـ)، ص: 43.



بخصوص موضوع علاقة الإسلام بالحدثة ترجع إلى بعض الأفكار التي روجها مفكرو التنوير الذين لم يكونوا من المختصين بالإسلام، مثل ديفيد هيوم<sup>1</sup> وأضرابه، ويلاحظ كيف تم اختزال موضوع الحدثة والإسلام في ثنائيات من قبيل: العقل مقابل النص، العقل مقابل الوحي، العلمانية مقابل الدين، المادية مقابل الروحانية، كما يلاحظ تركيز النقاش في الأوساط الأكاديمية الغربية على ما يعتبرونه تعارضا حادا بين ما يجسده الإسلام من الاستبداد في الوسط الإسلامي في بعض خطابه في مقابل التحضر الغربي. فالاهتمام بالدين أو دراسة الأديان بصفة عامة اهتماما عميقا، مرتبط دائما بتطور الأمم والحضارات، فكل أمة تبدأ في مسار التحضر والنهوض لا بد أن تقوم بأول خطوة، وهي دراسة دينها؛ لأن الدين هو أكبر المكونات الأساسية في شخصية الإنسان، وهذا هو حقيقة ما وقع في الحضارة العربية حينما بدأت تتطور. فإلى حدود القرن السادس الهجري نجد المؤلفات والدراسات حول الأديان كالشهرستاني<sup>2</sup> وابن حزم<sup>3</sup> وغيرهما، وهذا يتكرر أيضا حين بدأت الحضارة الأوروبية في التطور والازدهار، كانت تحت هذا المنحى في القرن السابع عشر وما بعده، لكن هل كان الغرب يمتلك عقلا واعيا ولسانا فصيحاً ليقوم من خلالهما باستنطاق الدين المسيحي لينتهض به من ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن أغلال الظلم إلى إقامة العدل، فيصنعوا بذلك حضارة عظيمة كما فعل المسلمون الذين شهدوا دقة حضارية عملاقة وفريدة، كان الإسلام هو باعثها بما أنزل الله عليهم من الوحي، إذ جوهر الحضارة الإسلامية —

<sup>1</sup> ديفيد هيوم: فيلسوف ومؤرخ وكاتب اسكتلندي، اشتهر بشكوكه الفلسفية الراديكالية، قامت فلسفته على عدم الثقة بالتأمل الفلسفي، ويؤمن أن كل معرفة جديدة تأتي نتيجة للخبرة، توفي سنة 1776م.

<sup>2</sup> له "الملل والنحل"

<sup>3</sup> له الفصل في الملل والأهواء والنحل

ولا شك — كان هو الدين، وكان هو المنطلق، فلم يكن كالأديان السابقة، وإنما كان يميزه منهج عقلي تجريبي كان هو جوهر دعوته، هذا الوحي وهذا المنهج العقلي المستمد منه هذا بالمسلمين أن يعيشوا التقوى والأخلاق الصالحة والعدل، وفي الوقت نفسه دعاهم إلى تطوير العلوم الإنسانية والحرص على تفسير وفهم العالم الطبيعي من خلال منهج تجريبي متكامل الأركان والأسس، فبرز من المسلمين مفكرون وفقهاء وعلماء في شتى العلوم، وفي مجالات متنوعة، يظهر ذلك جليا من خلال النظر في عناوين الدراسات والإنتاجات الفكرية والعلمية والتاريخية مثل: طبقات الأطباء، وطبقات الفقهاء، وطبقات المحدثين، وطبقات النحويين، وطبقات اللغويين، وطبقات المتكلمين، وأخبار الحكماء.

هذا وفي الوقت الذي كانت أوروبا في العصور الوسطى تغرق في المذاهب الغنوصية والهرمسية التي حولت علم الفلك إلى تنجيم وادعاءات ميتافيزيقية، انطلقت أبحاث المسلمين في العلوم النظرية والتطبيقية المختلفة، وأبدعوا في اختراع الآلات الميكانيكية واليدوية وأدوات الرصد، وأدوات قياس الوقت وغيرها، كما أدخلوا بعض التعديلات على نظام بطليموس الكوني، واشتغلوا في العلوم النظرية والعملية.

وقبل النهضة الأوروبية دامت الهمجية في أوروبا المسيحية زمنا طويلا، ولم يظهر لها ميل أو اهتمام بالعلم إلا في القرنين الحادي عشر والثاني عشر من الميلاد؛ حيث برزت فيها فئة خاصة، يملكون مكتبات عظيمة تضم التراث العالمي، وإبداعات العصور الفريدة التي أنتجتها الحضارة الإسلامية في المشرق والمغرب، فاهتمت النخبة الأوروبية بنقل هذه العلوم وترجمتها من العربية إلى لغاتهم الأصل.

ومن أهم الفئات التي أدركت جيدا أهمية المعارف العربية: الملوك والأمراء، وطائفة من العلماء ورجال الدين<sup>1</sup> الذين كانوا يقفون وقفة إعجاب وحيرة من منجزات علماء الإسلام، فاستطاعت أوروبا أن تخرج من عباءة الظلام التي غلفتها في العصور الوسطى بعد كفاح طويل، فأسفرت عن ظهور علماء وفلاسفة عصر النهضة<sup>2</sup>.

## المبحث الثالث: المنهج المستمد من القرآن الكريم وعلاقته بالمنهجية: الأرسطية والتجريبية

بحكم دخول الفلسفة اليونانية إلى بلاد المسلمين، فإن علماء المسلمين اضطروا — دفاعا عن الدين — إلى أن ينظروا فيها ويبينوا عوارها وعقمها، وأنها ليست صالحة في كثير من موادها لتكون مهيمنة على الوحي بأي شكل من الأشكال، كما كانت أوروبا خاضعة للأداة اليونانية الأرسطية خضوعا تاما.

## المصطلب الأول: المنهج المستمد من القرآن الكريم وموقفه من المنهج الأرسطي

مع اختلاف توجهات الرعيل الأول من العلماء فكريا ومنهجيا، كان لهم موقف معاد للمنطق اليوناني، ولم يقبلوا الاشتغال به، فقد هاجمه المعتزلة والأشاعرة والكرامية والشيعية وغيرهم، ولم يكن أحد من نظار المسلمين يلتفت إلى طريقتهم، بل كانوا يعيبونها ويثبتون فسادها<sup>3</sup>، قال ابن تيمية: "ما زال نظار المسلمين بعد أن عرب وعرفوه

<sup>1</sup> أبرز اهتمامات البلاطات بالتراث الإسلامي هو بلاط طليطلة في عهد ملك قشتالة ألفونسو العاشر الملقب بـ الحكيم؛ حيث جمع حوله طائفة من المسلمين واليهود والنصارى فأكبوا على الترجمة في مختلف العلوم.

<sup>2</sup> كان الفاصل بين العصرين — الوسيط والحديث — فيلسوفان هما: الفرنسي رينيه ديكارت، وفرنسيس بيكون

الإنجليزي

<sup>3</sup> الرد على المنطقيين، لابن تيمية (ت: 728هـ)، ص: 337

يعيبونه ويذمونهم ولا يلتفتون إليه ولا إلى أهله في موازينهم العقلية والشرعية"<sup>1</sup>. وقال أيضا: "وما زال نظار المسلمين يعيرون طريق أهل المنطق ويبينون ما فيها من العي واللكنة وقصور العقل وعجز النطق، ويبينون أنها إلى إفساد المنطق العقلي واللساني أقرب منها إلى تقويم ذلك، ولا يرضون أن يسلكوها في نظرهم ومناظرتهم، لا من يوالونه ولا من يعادونه، وإنما كثر استعمالها من زمن أبي حامد فإنه أدخل مقدمة من المنطق في أول كتابه المستصفى ورغم أنه لا يثق بعلمه إلا من عرف هذا المنطق وصنف فيه "معيار العلم" و"محك النظر". وصنف كتابا سماه "القسطاس المستقيم" ... ثم في آخر أمره بالغ في ذمهم؛ وبين أن طريقهم متضمنة من الجهل والكفر ما يوجب ذمها وفسادها أعظم من طريق المتكلمين؛ ومات وهو مشغل بالبخاري ومسلم. والمنطق الذي كان يقول فيه ما يقول؛ ما حصل له مقصوده؛ ولا أزال عنه ما كان فيه من الشك والحيرة؛ ولم يغن عنه المنطق شيئا"<sup>2</sup>.

إذا كان الغزالي قد خلط المنطق بعلوم المسلمين، فإنه تنبه بعد ذلك إلى ما سينتجه هذا المزج من تأثير على عقيدة المسلمين، بيد أن علماء الكلام تابعوا ما دعا إليه الغزالي في كتبه العديدة من مزج المنطق بأصول الفقه والكلام، فحل مكان أدلة النظر الإسلامية، وتغلغل في صميم المسائل الكلامية والأصولية، فانقسم الناس بعد ذلك إلى مؤيد لطريقة الغزالي ومعارض بشدة.

<sup>1</sup> الرد على المنطقيين، ص: 374

<sup>2</sup> مجموع الفتاوى، 185/9

ومن الذين عارضوا هذه الطريقة بشدة وذموها أبو نصر القشيري<sup>1</sup>، والطرطوشي<sup>2</sup>،  
والمازري<sup>3</sup> وابن عقيل<sup>4</sup> وأبو البيان<sup>5</sup> وابن حمدين<sup>6</sup>، وأبو الحسن المرغيناني<sup>7</sup>، وغيرهم،  
حتى أنشدوا في ذلك:

برئنا إلى الله من معشر بهم مرض من كتاب الشفاء<sup>8</sup>

وكم قلت يا قوم أنتم على شفا حفرة ما لها من شفا<sup>9</sup>

وحكى ابن السبكي أن ابن الصلاح سأل العماد بن يونس أن يقرأ عليه شيئا من  
المنطق سرا، فأجابه إلى ذلك وتردد إليه مدة فلم يفتح عليه بشيء، فقال له: يا فقيه،  
المصلحة عندي أن تترك الاشتغال بهذا الفن، فقال له: ولم ذلك يا مولانا؟ فقال: لأن  
الناس يعتقدون فيك الخير، وهم ينسبون كل من اشتغل بهذا الفن إلى فساد الاعتقاد

<sup>1</sup> هو أبو نصر عبد الرحيم بن الإمام شيخ الصوفية أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري، النحوي المتكلم، وهو  
الولد الرابع من أولاد الشيخ، توفي سنة 514هـ . سير أعلام النبلاء، 24/19.

<sup>2</sup> هو الإمام العلامة القدوة الزاهد، شيخ المالكية أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري الأندلسي  
الطرطوشي الفقيه، عالم الإسكندرية وطرطوشة، توفي سنة 520هـ . سير أعلام النبلاء، 490/19.

<sup>3</sup> هو: أبو عبد الله محمد بن علي التميمي المازري المالكي (ت536هـ) سير أعلام النبلاء للذهبي 104/20.

<sup>4</sup> هو: أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادى الحنبلي المتكلم (ت513هـ) سير أعلام النبلاء، 443/19.

<sup>5</sup> هو: أبو البيان نبأ بن محمد بن محفوظ القرشي الدمشقي الشافعي. قال عنه الذهبي: "اللغوي الأثري الزاهد، شيخ البيانية،  
وصاحب الأذكار المسجوعة، وكان حسن الطريقة، صينا ديناً تقياً، محباً للسنة والعلم والأدب، له أتباع ومحبون". توفي سنة  
551هـ . سير أعلام النبلاء: 114/15.

<sup>6</sup> ابن حمدين: هو أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين الأندلسي المالكي، قاضي الجماعة. قال عنه الذهبي:  
"صاحب فنون ومعارف وتصانيف، ولي القضاء ليوسف بن تاشفين في قرطبة. توفي سنة 508هـ، وكان ذكياً بارعاً في العلم،  
متفناً أصولياً لغوياً شاعراً، حميد الأحكام". سير أعلام النبلاء: 19422. ونفح الطيب: 3537.

<sup>7</sup> هو: أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني، من أكابر فقهاء الحنفية، كان حافظاً مفسراً محققاً أدبياً، من  
مؤلفاته: الهداية في شرح البداية، ومنتقى الفروع، ولد سنة 530هـ وتوفي سنة 593هـ. الأعلام للزركلي: 266/4.

<sup>8</sup> يقصد كتاب الشفا لابن سينا، ولهذا كانوا يقولون: أبو حامد قد أمرضه الشفاء. النبوات لابن تيمية: 392/1.

<sup>9</sup> نسب ابن تيمية هذه الأبيات إلى أبي نصر القشيري في مواضع من كتبه، ينظر مجموع الفتاوى: 253/9. والرد على المنطقيين  
ص: 501 — 511.

فكأنك تفسد عقائدهم فيك، ولا يحصل لك من هذا الفن شيء، فقبل إشارته وترك قراءته<sup>1</sup>.

ومن هذه النصوص يتبين أن علماء المسلمين الذين كانوا يتعلمون المنطق كانوا يسرون ذلك ولا يظهرونه خوف اتهامهم بالبدعة والزندقة، ليس فقط في المشرق، بل حتى في بلاد المغرب، وذكر صاعد بن أحمد الأندلسي أن المنصور بن أبي عامر أحرق كتب المنطق<sup>2</sup>.

إذا كان من المسلم به أن التفكير المنطقي هو التفكير المنظم المستقيم، الذي يبدأ من المقدمات ليصل إلى النتائج، فكيف يتصور في مفكري الإسلام وعلمائه أن ينتصبوا لنقض هذا المنطق نقضا يعتبر من أهم الإنجازات الفكرية، ليس على مستوى فكر نخبة من علماء المسلمين فحسب، بل على مستوى أغلب علماء ومفكري الإسلام؟ فالواقع أن المنطق الذي أثبت فقهاء الإسلام تواضع قيمته، وطالبوا بنبذه واستبدال المنهج العلمي التجريبي به ليس هو محض التفكير العقلي المستقيم، وإنما هو تلك القواعد المعينة التي وضعها أرسطو قبل الميلاد بحوالي ثلاثة قرون وسماها علم المنطق ضرورة موافقتها لمعتقد الميثافيزيقي، ثم صار عليها فلاسفة اليونان، واعتبروا أنها الأداة الوحيدة للتفكير العقلي المستقيم، وأن النتائج التي يصل إليها المرء باتباع هذه القواعد هي بالتأكيد نتائج يقينية لا يتطرق إليها الشك.

ومن علماء المسلمين من أبدوا ارتياحهم من منطق أرسطو ولم يبينوا موقفهم منه نتيجة دراسة قواعده، ولكنهم وجدوا أن الفلاسفة الذين استخدموه وصلوا في مقالاتهم

<sup>1</sup> ينظر طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين بن السبكي (ت: 771هـ)، 382/8.

<sup>2</sup> طبقات الأمم لصاعد بن أحمد الأندلسي (ت: 462هـ)، ص: 66.

الإلهية إلى نتائج تخالف المقررات الإسلامية الثابتة في القرآن والسنة النبوية، فبنوا رفضهم المنطق الأرسطي على أساس أن الطريق الذي يوصلك إلى عقائد باطلة، لا بد أن يكون هو نفسه طريقا باطلا، حتى اشتهرت عندهم المقولة المعروفة: "من تمنطق فقد ترندق".

ومن العلماء من تصدى لدراسة المنطق دراسة عميقة قصد كشف نقاط الخلل الرئيسة فيه، وليبرهن على فساد الادعاء الذي يدعيه من قالوا باطراد القواعد الأرسطية وأنها يقينية لا تتخلف، منهم ابن تيمية فقد وصل إلى أن منطق أرسطو ليس هو الأداة الوحيدة للتفكير المستقيم، وأن كثيرا من قضايا كاذبة<sup>1</sup>، فهو إذن لا يصلح أن يستخدم في التفكير في المسائل النظرية، على ما فيه من قصور وتعقيد، بل إنه بالتأكيد غير صالح للتعامل مع البحث في العلوم الطبيعية، وعاجز تماما عن إنتاج أي معرفة فيه. واللافت للنظر هنا أن ابن تيمية لم يشتغل فقط بنقض المنطق الأرسطي نقضا هدميا فحسب، بل كان في عمله جانب إنشائي، حيث حاول أن يستبدل به منطقا جديدا يكاد يكون فكرا إسلاميا خاصا.

يبين ابن تيمية في مستهل كتابه: "الرد على المنطقيين" مصطلحات المناطق: الحد أو القول الشارح وما يتصل بذلك، والقياس وأقسامه باعتبار مادته إلى برهان وخطابة وجدل وشعر وسفسطة، ويذكر الكليات الخمس التي بنو عليها الحدود، كما يشير إلى بحث القضايا وصور القياس، والقياس الشمولي والتمثيلي والاستقراء، وبهذا يكون قد تعرض إلى جميع مباحث المنطق، ثم بين المنهج الذي سيسير عليه في نقده المنطق بقوله:

---

<sup>1</sup> الصدق والكذب عند المناطق مصطلحان يحملان دلالتين غير الدالتين اللغويتين؛ إذ يقصدون بالصدق الصحة، ويقصدون بالكذب الفساد أو البطلان

"بنوا المنطق على الكلام في الحد ونوعه، والقياس البرهاني ونوعه. قالوا: لأن العلم إما تصور وإما تصديق، فالطريق الذي ينال به التصور هو الحد، والطريق الذي ينال به التصديق هو القياس. فنقول: الكلام في أربع مقامات، مقامين ساليين، ومقامين موجبين. فالأولان في قولهم: إن التصور المطلوب لا ينال إلا بالحد، والثاني أن التصديق المطلوب لا ينال إلا بالقياس، والآخران في أن الحد يفيد العلم بالتصورات، وأن القياس أو البرهان الموصوف يفيد العلم بالتصديقات"<sup>1</sup>.

بهذا يكون ابن تيمية نقد المنطق الأرسطي من جهتين رئيسيتين هما: جهة الحد وجهة القياس.

فقول المناطقة: "التصور المطلوب لا ينال إلا بالحد" مقام سالب، وقولهم: "الحد يفيد العلم بالتصورات" مقام موجب، وقد قام ابن تيمية بنقدهما معا، فأورد على المقام السالب عدة إيرادات منها:

— عدم بداهة هذا المقام السالب يستلزم وجود دليل حسب قوله: "قولهم لا تحصل التصورات إلا بالحد قضية سالبة وليست بديهية فمن أين لهم هذا؟ وإذا كان هذا قولاً بلا علم وهو أول ما أسسوه، فكيف يكون القول بلا علم أساساً لميزان العلم ولما يزعمون أنها آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن أن يزل في فكره؟"<sup>2</sup>.

— كون الحد هو الدال على المحدود يوجب كون الحد متوقفاً على حد آخر، مما يفضي إلى التسلسل في العلل إلى ما لا نهاية. يقول: "الحد يراد به نفس المحدود وليس هذا مرادهم ههنا، ويريدون به القول الدال على ماهية المحدود، وهو مرادهم ههنا، وهو

<sup>1</sup> الرد على المنطقيين، ص: 4

<sup>2</sup> الفتاوى، 84/9. و الرد على المنطقيين، ص: 7



تفصيل ما دل عليه الاسم بالإجمال. فيقال: إذا كان الحد قول الحاد، فالحد إما أن يكون قد عرف الحدود بحد، وإما أن يكون عرفه بغير حد، فإن كان الأول فالكلام في الحد الثاني كالكلام في الأول، وهو مستلزم للدور القبلي أو التسلسل في الأسباب والعلل وهما ممتنعان باتفاق العقلاء، وإن كان عرفه بغير حد بطل سلبهم وهو قولهم أنه لا يعرف إلا بالحد<sup>1</sup>.

—— يتعذر خلو الحد من أي اعتراض عليه إلا نادرا، بل أظهر الأشياء كالإنسان عرفوه ب "الحيوان الناطق" عليه اعتراضات مشهورة، فحتى النحاة لما دخل متأخروهم في الحدود ذكروا للاسم ما يزيد على عشرين حدا، كلها معترض عليها على أصلهم، بل إنهم ذكروا للاسم سبعين حدا لم يصح منها شيء، كما ذكر ابن الأنباري<sup>2</sup>، وعامة الحدود المذكورة في كتب الفلاسفة والأطباء والنحاة والأصوليين والمتكلمة معترضة على أصلهم، وإن قيل بسلامة بعضها كان قليلا بل منتفيا، "فلو كان تصور الأشياء موقوفا على الحدود لم يكن إلى الساعة قد تصور الناس شيئا من هذه الأمور، والتصديق موقوف على التصور، فإذا لم يحصل تصور لم يحصل تصديق، فلا يكون عند بني آدم علم في عامة علومهم وهذا من أعظم السفسطة"<sup>3</sup>، وكون الماهية متوقفة في تصورها على الذاتيات المشتركة والمميزة — الجنس والفصل — متعذر كما يقرون بذلك، يجعل تصور الحقائق متعسرا<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> الرد على المنطقيين، ص: 8

<sup>2</sup> أبو البركات عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد محمد بن الحسن بن سليمان الأنباري النحوي (ت: 577هـ) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لابن خلكان (ت: 681هـ)، 139/3

<sup>3</sup> الرد على المنطقيين ص: 8

<sup>4</sup> المصدر السابق ص: 9

\_\_\_\_\_ الإنسان يصل إلى التصور بطريقتين: الأول: ما يدركه بحواسه كالطعم واللون ... الثاني: ما يتصوره بمشاعره كالجوع والحب واللذة ... ثم ما يركبه العقل أو الخيال من هذين الطريقتين، وهذه التصورات جميعها غنية عن الحد، وما غاب عنه يعرفه بالقياس والاعتبار بما شاهده<sup>1</sup>.

\_\_\_\_\_ يمكن للمعتز أن يطعن على حد الحاد بالنقض إما في: الطرد وهو أن يكون حيث وجد الحد وجد المحدود، فيكون الحد مانعا. وإما في العكس: وهو أن يكون حيث انتفى الحد انتفى المحدود لكون الحد جامعا. ولا يتوجه النقض في الحد إلا إذا تصور المحدود، فأمكن إذن تصور الماهية بدون حد<sup>2</sup>.

أما المقام الموجب فلم يكن أقل من السالب من حيث تناقضه وتحافته؛ فقد تعرض ابن تيمية لذكر الفائدة من الحدود عند النظر من الفقهاء والمتكلمين من سائر الطوائف قبل الغزالي بعبارة موجزة فيقول: "الحققون من النظر يعلمون أن الحد فائدته: التمييز بين المحدود وغيره، ليس فائدته تصوير المحدود وتعريف حقيقته، وإنما يدعي هذا أهل المنطق اليوناني أتباع أرسطو ومن سلك سبيلهم وحذا حذوهم تقليدا لهم من الإسلاميين وغيرهم، فأما جماهير أهل النظر والكلام من المسلمين وغيرهم فعلى خلاف هذا<sup>3</sup>. واستطرد ابن تيمية في بيان منشأ الغلط عند المناطق واستدل بأدلة منها:

\_\_\_\_\_ يشترط المناطق ذكر الفصول مجموعة، وهذا الاشتراط غير ممكن مع التفريق بين الذاتي والعرضي، فالتكلمون اتفقوا على أنه لا يجوز الجمع بين وصفين متساويين في العموم والخصوص، فلا يجمع بين فصلين، ولا يجمع بين جنس وفصل؛ إذ

<sup>1</sup> المصدر السابق، ص: 11

<sup>2</sup> المصدر السابق، ص: 11

<sup>3</sup> الرد على المنطقيين، ص: 14

كلها صفات ذاتية، وما من فصل لدى الإنسان إلا وهو عند الآخر عرض لازم للماهية<sup>1</sup>.

\_\_\_\_\_ الماهية لا تتركب إلا من الصفات الذاتية، ولا يعرف أن الصفة ذاتية أو غير ذاتية إلا إذا عرفت الماهية، ولا تعرف الماهية إلا بالصفات الذاتية، فلزم الدور<sup>2</sup>.

\_\_\_\_\_ من المحدودات ما هو ظاهر للعيان، فإذا زاد خفاء وغموضا، بل ومن الأشياء ما لا توجد له عبارة دالة على حقيقتها أو ماهيتها<sup>3</sup>.

يعرف ابن تيمية الحد بأنه: "تفصيل ما دل عليه الاسم بالإجمال"<sup>4</sup>. وهذا التعريف للحد يخالف تعريف الحد الأرسطاليسي الذي يتوجه نحو حقيقة المحدود محاولا تصويرها، فالغاية من الحد عند ابن تيمية هو التمييز بين المحدود وغيره، أما تصور المحدود فليس يستطيع الحد القيام به، ولكن قد ينبه على تصور المحدود كما ينبه عليه الاسم، فإن الذهن قد يكون غافلا عن الشيء، فإذا سمع اسمه وحده أقبل بذهنه إلى الشيء الذي أشير إليه بالاسم أو الحد فيتصوره فتكون فائدة الحد من فائدة الاسم.

وإذا كانت فائدة الحد هي التمييز بين المحدود وغيره فكيف يحصل هذا التمييز؟ يقول ابن تيمية: "ذلك يحصل بالوصف الملازم للمحدود طردا وعكسا الذي يلزم من

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ص: 25

<sup>2</sup> ينظر الرد على المنطقيين ص: 77.

<sup>3</sup> ينظر درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية: 320/3.

<sup>4</sup> قال رحمه الله: "بسطنا الكلام في غير هذا الموضوع على كلامهم في الحد والبرهان وبيننا ما عليه نظار المسلمين في الحد، وأن المقصود به التمييز للمحدود من غيره، فمقصوده تفصيل ما دل عليه الاسم بالإجمال سواء كان حد الشيء اسم وهو الحد بحسب الاسم، أو لشيء موجود وهو الحد بحسب الحقيقة، وهذا الحد يحصل بالعرف المطابق للمحدود في العموم والخصوص بحيث يلزم من وجود أحدهما وجود الآخر، ومن عدمه عدمه، فيكون الحد مطردا منعكسا كالاسم مع المسمى" الصفدية لابن تيمية: 295/2.

ثبوته ثبوت المحدود، ومن انتفائه انتفاؤه، كما طريقة نظار المسلمين من جميع الطوائف<sup>1</sup>.

فالطرد والعكس يوصلان إذن إلى مسمى الاسم، وفي هذا إقامة للحد على أمر لغوي<sup>2</sup>، دوره هو الترجمة بلفظ، ومن هذا الباب: غريب القرآن والحديث ... وهذا الحد اللفظي هو الذي يحتاج إليه ويصح استخدامه في العلوم.

## المصلب الثاني: المنهج التجريبي وعلاقته بالمنهج المستمد من القرآن الكريم

من الأفكار التي انتشرت وظن الناس أنها حقيقة لكثرة ما ترددت في الأذهان ولاكتها الألسنة، ظهور المنهج التجريبي في أوروبا منذ عصر النهضة ونسبته إلى فرنسيس بيكون<sup>3</sup> و جون ستيوارت ميل<sup>4</sup>، لكن من نظر بعين الإنصاف وجد أن هذه الفكرة غير مسلم بها لأصحابها، فأوروبا لم تنهض بعقول الغرب وحدهم، بل قامت على أكتاف جهود علماء مسلمين، سبقوهم إلى اكتشاف المنهج التجريبي العلمي، وقوموا أسسه وقواعده، ولم يكن "فرنسيس بيكون" و "جون ستيوارت مل" سوى ترجمته ونسبته إليهما بعد السطو عليه.

إن في هذا الوحي الغنية والسبيل إلى استخلاص علومه، بل موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول هذه بادية للدارس، وواضحة لذهن العاقل غاية الوضوح والظهور،

<sup>1</sup> درء تعارض العقل والنقل، 320/3

<sup>2</sup> الرد على المنطقيين، ص: 48

<sup>3</sup> تقدمت ترجمته

<sup>4</sup> جون ستيوارت ميل: فيلسوف ومفكر إنجليزي، أحد أقطاب المدرسة الكلاسيكية في الاقتصاد، ولد بلندن سنة 1806م، وتوفي سنة 1873م

ومن الوحي يستخرج المنهج الذي لا تتخلف قواعده ولا تنهات بحال، يقول الأستاذ الدكتور حميد الصولي: "إن المنهج التغيري الذي نراه ملائماً لمجتمعنا وتاريخه هو ذلك المنهج ذو الطبيعة الاجتهادية والنقدية باستمرار الذي يستمد أصوله وقواعد أفهامه من الوحي حي يتخذه في اجتهاده إزاء شؤون الإنسان والأشياء بدون انقطاع"<sup>1</sup>.

وفي تاريخ الفلسفة الغربية لبرتراند راسل: "في العصور القديمة حين كان أفلاطون لم تزل له السيادة في الميتافيزيقا كان أرسطو هو صاحب الكلمة العليا في المنطق، وظل محتفظاً بهذه المكانة خلال العصور الوسطى كلها، ولم يحدث إلا في القرن الثالث عشر أن أولاه الفلاسفة المسيحيون سيادة في مجال الميتافيزيقا، غير أن هذه السيادة عاد ففقدتها إلى حد كبير بعد النهضة الأوروبية"<sup>2</sup>.

وقد ظهرت بعض الدراسات بالغرب تعترف بسبق فضل علماء الإسلام في نقد المنطق الأرسطي، كالألمانية "زيجفرد هونكه"<sup>3</sup> التي أثبتت أن البحث العلمي الذي ينطلق من الجزئيات إلى الكليات المبني على التجربة لم يبدأ إلا عند العرب<sup>4</sup>. وأعربت عن أسفها من جهل الكثير من الناس بما للعرب من فضل على الحضارة الأوروبية حيث قالت: "وعلى الرغم من هذا — أقولها بمرارة — فإن الناس عندنا لا يعرفون إلا القليل عن جهودكم الحضارية الخالدة ودورها في نمو حضارة الغرب"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> إشكالية النهضة في الفكر العربي الإسلامي مقارنة تحليلية نقدية، للأستاذ الدكتور: حميد الصولي، ص: 135

<sup>2</sup> تاريخ الفلسفة الغربية لبرتراند راسل: 309/1

<sup>3</sup> هي: مستشرق ألمانية تكتب عن الأديان، صارت في آخر حياتها تنظر إلى الإسلام نظرة معتدلة، من كتبها: شمس العرب تسطع

على الغرب، توفيت سنة 1999م

<sup>4</sup> شمس العرب تسطع على الغرب ص: 400

<sup>5</sup> المرجع السابق ص: 9

إلا أنه لا بد من العودة للتذكير أن العرب لم يكن لهم سابق إنتاج معرفي قبل الإسلام، فيا ليت شعري كيف لهذا الكتاب الذي أنزله الله تعالى أن يكون له هذا الأثر البالغ عليهم وعلى سائر البشرية، فنسفوا بجد المنطق اليوناني القديم، واهتدوا بإعمال القياس الأصولي إلى منطق جديد منه انبثقت مناهج البحث العلمي في أوروبا إلى يومنا هذا.

أما الميز العنصري الذي يرفع شعاره الغرب فإنه شعار مضلل يفقدنا الثقة في أنفسنا، ويحرمننا من الارتباط بماضيها، ويجعلنا مقطوعي الصلة بالتراث الحضاري، وهو ما يعكسه موقف كثير من المفكرين العرب في عصرنا الحالي مع الأسف.

### المصطلب الثالث: مفهوم المقاصد في القرآن الكريم

المقاصد جمع مقصد بكسر الصاد، ويقال فيه مقصود، وهو اسم لمكان المقصد، والمقصود: الغاية المقصودة.

والمقصد في اصطلاح الأصوليين وعلماء المقاصد: الحكم والغايات التي وضعها الشارع الحكيم عند كل حكم شرعي، لتحقيقا لمصالح الناس في الدنيا والآخرة، وذلك عن طريق جلب المنافع لهم، ودرء المفاسد عنهم.

أما المقصد العام للشارع من تشريع الأحكام، فهو أن التكليف كله وضع لدرء المفاسد على العباد، وجلب المصالح لهم، فمن الآيات القرآنية الدالة على هذا المعنى المؤدية إليه، قول الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ

يَتَّبِعُونَ<sup>1</sup>، فمن مقاصد تشريع الزواج — مثلا لا حصرا — حصول  
السكينة والمودة، والرحمة بين الزوجين، وقوله تعالى: {يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا  
الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ  
تُفْلِحُونَ<sup>2</sup>، فإن من مقاصد تحريم الخمر حصول الفلاح في الدارين.

أما المراد بمقاصد التغيير في هذا البحث فتعني الأهداف والغايات التي يتغيها القرآن  
المجيد بالتغيير الذي جاء به، فلم يكن التغيير مقصودا لذاته، وإنما شرع ودعا إليه القرآن  
الكريم تحقيقا لحياة أفضل وسعادة في الدارين.

---

<sup>1</sup> سورة الروم، الآية: 20

<sup>2</sup> سورة المائدة، الآية: 92

# الفصل الأول

الفصل الأول: معالم التغيير الفكري والعقدي في القرآن الكريم،  
وفيه:

— المبحث الأول: أصالة التوحيد في الإنسان وللائله في  
الأنفس والآفاق

— المبحث الثاني: معالم التغيير الفكري والعقدي في الرسالات  
السماوية

— المبحث الثالث: معالم التغيير في منهج خاتم الرسل محمد  
صلى الله عليه وسلم

— المبحث الرابع: التغيير في القرآن العبيد وعلاقته بالسنة  
الكونية

— المبحث الخامس: أساليب القرآن الكريم في الدعوة إلى التغيير  
الفكري والعقدي



## المبحث الأول: أصالة التوحيد في الإنسان والدلائل في الأنفس والآفاق،

يعتبر القرآن المجيد قضية التوحيد شيئاً أصيلاً في النفوس البشرية السليمة، وحقيقة بديهية لا تحتاج إلى جدال أو نقاش، فكل إنسان عاقل يستطيع أن يهتدي إلى الإيمان بالله: خالقه ورازقه؛ بما أودعه الله تعالى فيه من فطرة يدرك بها ذلك دون الحاجة إلى أمر خارجي.

تأتي الرسالات السماوية لإقامة الحجة على بني البشر أولاً، ولتعود بهم إلى الأصل الذي كانوا عليه ثانياً، قال تعالى: {لَيْلًا يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} <sup>1</sup>، وقال سبحانه: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} <sup>2</sup>، والدلائل التي تحرك هذه الفطرة، وتشير إلى وجود الله ووحدانيته أكثر من أن تحصى، يبصرها المتأمل في نفسه، كما تنبعث من كل شيء، سواء على الأرض أو في السماء؛ لما في ذلك كله من الدقة والنظام البديع في صنع هذه المخلوقات، وما تخضع له من نظام في سيرها وحركتها، فيدرك ببصيرته أن هذا النظام وذلك الإبداع، يستحيل أن يوجد من دون موجد؛ فإن المخلوقات يشهد العقل البشري بعجزها عن خلق ذلك النظام العجيب من تلقاء نفسها.

<sup>1</sup> سورة النساء، الآية: 164

<sup>2</sup> سورة الإسراء، الآية: 15

## المصلب الأول: التوحيد والنداء الفصري

أصل الفطرة في اللغة أنها بمعنى الشق، قال تعالى: {إِذَا أُلْسِمَاءُ بِنَبَاطَرْتُ} <sup>1</sup>، وقال سبحانه: {إِذَا أُلْسِمَاءُ بِنَشَفْتُ} <sup>2</sup> ثم اختلف العلماء في معناها الاصطلاحي، فقيل: الفطرة: الخلقة، والسلامة، والتهيؤ للقبول، ورجح ابن عبد البر هذا القول واعتبره أصح ما قيل في معنى الفطرة التي يولد الناس عليها، وذلك أن الفطرة السلامة والاستقامة، وفي حديث عياض بن حمار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عن ربه عز وجل: (إني خلقت عبادي حنفاء) <sup>3</sup>؛ يعني: على استقامة وسلامة، والحنيف في كلام العرب: المستقيم السالم. وقيل للأعرج: أحنف؛ على جهة الفأل، وقيل: الفطرة: البداءة، وقيل: الفطرة الإسلام. <sup>4</sup>

وقال ابن عبد البر: "يستحيل أن تكون الفطرة المذكورة في قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : (كل مولود يولد على الفطرة) <sup>5</sup> الإسلام؛ لأن الإسلام والإيمان قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح. وهذا معدوم من الطفل، لا يجهل بذلك ذو عقل" <sup>6</sup>. وقيل: الفطرة: السنة، وقيل: الفطرة: الميثاق والعهد المأخوذ على ذرية آدم، قال تعالى: {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ فَآلُوا بِلِي} <sup>7</sup>.

<sup>1</sup> سورة الانفطار، الآية: 1

<sup>2</sup> سورة الانشقاق، الآية: 1

<sup>3</sup> صحيح مسلم، من حديث عياض بن حمار الجاشعي، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، الحديث رقم: 2865

<sup>4</sup> ينظر التمهيد لأبي عمر يوسف ابن عبد البر (ت: 463هـ)، 72/18 وما بعدها

<sup>5</sup> صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يقال في أولاد المشركين، الحديث رقم: 1385

<sup>6</sup> التمهيد، 77/18

<sup>7</sup> سورة الأعراف، الآية: 172

وقصارى القول أن أصل الفطرة يتردد بين المعاني الآتية:

الخلقة، و السلامة، والتهيؤ للقبول، والبداءة، والإسلام، وقيل: المقصود بالفطرة: السنة، وقيل: الفطرة: الميثاق والعهد المأخوذ على ذرية آدم.

أما عن منهج القرآن الكريم ومسلكه في ندائه الفطرة: أنه يبدأ بتذكيرها بما هو مغروس في أعماقها، مما يحركها نحو الإقرار بوجود خالقها، قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ فَالَوْ بَلَىٰ شَهِدْنَا أَل تَفُولُوا يَوْمَ الْفَيْمَةِ إِنََّّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ} <sup>1</sup>، عن أنس يرفعه: (إن الله يقول لأهل النار عذابا: لو أن لك ما في الأرض من شيء، كنت تفتدي به؟ قال: نعم، قال: فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم: أن لا تشرك بي، فأبيت إلا الشرك) <sup>2</sup>، قال القاضي عياض: "هذا تنبيه على ما جاء في قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ فَالَوْ بَلَىٰ شَهِدْنَا أَل تَفُولُوا يَوْمَ الْفَيْمَةِ} <sup>3</sup>، فهذا الميثاق الذي أخذ عليهم في صلب آدم، فمن وفى به بعد وجوده في الدنيا، فهو مؤمن، ومن لم يف به فهو كافر. ومراد الحديث - والله أعلم ونبيه - قد أردت منك هذا، وأنت في صلب آدم: ألا تشرك بي حين أخذت عليك ذلك الميثاق، فأبيت إذ أخرجتك إلى الدنيا إلا الشرك" <sup>4</sup>.

<sup>1</sup> سورة الأعراف، الآية: 172

<sup>2</sup> صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته، الحديث رقم: 3334

<sup>3</sup> سورة الأعراف، الآية: 172

<sup>4</sup> إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض (ت: 544هـ)، 337/8

هكذا تلتجئ الفطر السليمة إلى خالقها مقرة بوحدانيته، وأن بيده ملكوت كل شيء، قال تعالى: {فَلِّمِ الْاَرْضِ وَمَنْ فِيهَا} اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٥﴾ سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ فَلْاٰجِلًا تَذْكُرُونَ ﴿٨٦﴾ فَلْ مِّنْ رَّبِّ السَّمٰوٰتِ السَّبْعِ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيْمِ ﴿٨٧﴾ سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ فَلْاٰجِلًا تَتَّفُونَ ﴿٨٨﴾ فَلْ مِّنْ بِيْدِهِ مَلَكُوْتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ اِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ سَيَقُولُونَ لِلّٰهِ فَلْ قَابِئِ تُسْحِرُونَ} <sup>2</sup>، وقال سبحانه: {وَلَيْسَ سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلْقِ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِيَقُولَ اللّٰهُ قَابِئِ يُوْبِكُوْنَ} <sup>3</sup>، وبالفطرة دون غيرها اهتدى الأعرابي إلى أن هذه المخلوقات كافية للدلالة على الخالق سبحانه، حيث قال: "البعرة تدل على البعير، والأثر يدل على المسير، ليل داج، ونهار ساج، وسماء ذات أبراج، أفلا تدل على الصانع الخبير؟" <sup>4</sup>

<sup>1</sup> سورة النحل الآيتان: 53-54

<sup>2</sup> سورة المؤمنون الآيات: 85-90.

<sup>3</sup> سورة العنكبوت، الآية: 61

<sup>4</sup> لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، 233/1

السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِمَّنْ شَيْءٌ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا<sup>1</sup>، وقال تعالى: {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَبَّحَتْ كُلُّ فِدْ عِلِمَ صَلَاتِهِ وَتَسْبِيحِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ}<sup>2</sup>، يقول ابن تيمية: "والمقصود إذا كانت هذه الجمادات قد فطرت على معرفة ربها وتسبيحه وتزيهه، والإنسان أشرف منها، فلأن يفطر على معرفته بربه بطريق الأولى والأحرى، لما ركب فيه من العقل والتمييز والفطنة ... هذا الهدهد طير من الطيور، وفي نظرنا عديم العقل، يصيح كغيره من الطيور، قد خاطب سليمان بأعظم التوحيد، وأعلمه بغير ذلك، فقال: {أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ} إلى قوله: {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}<sup>3</sup>4. فالاعتراف بوجود الله أمر فطري في النفوس، وإنما يحصل الميل عنه بسبب تغير الفطرة وفسادها، كما قال ابن تيمية: "الإقرار بالخالق وكماله، يكون فطريا في حق من سلمت فطرته، وإن كان مع ذلك تقوم عليه الأدلة الكثيرة، وقد يحتاج إلى الأدلة عليه كثير من الناس، عند تغير الفطرة وأحوال تعرض لها"<sup>5</sup>.

## عندما تتغير الفطرة

فإن قيل: لو كان التوجه إلى الله تعالى أمرا فطريا في النفوس البشرية، لما عبد الناس في مختلف العصور آلهة شتى، كان الجواب: إن الفطرة تدعو المرء إلى الاتجاه إلى الخالق جل وعلا، لكن الإنسان في هذه الدنيا تحيط به مؤثرات كثيرة، تجعله ينحرف عن أصله

<sup>1</sup> سورة الإسراء، الآية: 44

<sup>2</sup> سورة النور، الآية: 40

<sup>3</sup> سورة النمل، الآيات: 22-26

<sup>4</sup> مجموعة الرسائل الكبرى، لابن تيمية (ت: 728هـ)، 340/2 - 344

<sup>5</sup> مجموع الفتاوى، 73/6، وما تقرر هنا من أن الإيمان بوجود الخالق أمر فطري في النفوس البشرية، وأن الانحراف أمر طارئ عليها.. هو ما قرره الغزالي في كتابه إحياء علوم الدين 144/1.

الفطري؛ وذلك بما قد يغرسه الآباء في نفوس الأبناء، مما يغير هذه الفطرة تغييرا سلبيا ويفسدها، يشهد لذلك ما ثبت في صحيح البخاري وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه..."<sup>1</sup>. ولم يقل صلى الله عليه وسلم يجعلانه مسلما؛ لأن الإسلام دين الفطرة.

وقد طالب القرآن الكريم بالدليل أرباب المعتقدات الفاسدة، والدعوات الباطلة، ممن تغيرت فطرتهم، وتنكرت لخالقها بادعائهم أنهم خلقوا من غير خالق، كما قال تعالى: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ}<sup>2</sup>.

قال الخازن: "ومعنى الآية: هل خلقوا من غير شيء خلقهم، فوجدوا بلا خالق، وذلك مما لا يجوز أن يكون، لأن تعلق الخلق بالخالق ضروري، فإن أنكروا الخالق لم يجوز أن يوجدوا بلا خالق، أم هم الخالقون لأنفسهم؟ وذلك في البطلان أشد، لأن ما لا وجود له كيف يخلق؟ فإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقا فليؤمنوا به، وليوحده وليعبدوه، وليوقنوا أنه ربهم وخالقهم"<sup>3</sup>.

ولما كان القرآن الكريم آخر الكتب السماوية، مهيمنا على ما قبله من الكتب المتزلة جاء كاملا شاملا لحاجات الإنسان ملبيا لأغراضه الروحية والجسمية على وجه يسعد به في الدارين، كما قال تعالى: {مَا قَرَرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يقال في أولاد المشركين، الحديث رقم: 1385

<sup>2</sup> سورة الطور الآية: 33

<sup>3</sup> لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن (ت741هـ)، 201/4

<sup>4</sup> سورة الأنعام، الآية: 39

ومن كماله وشموليته اشتماله على جميع الحجج، والبراهين القاطعة التي تدمغ شبهات المحرفين المعاندين متى ظهوروا، وفي أي مكان كانوا.

## المصلب الثاني: آيات الله في خلق الإنسان

إن كل ما في الكون آيات عظيمة تدل على وجود الله تعالى ووحدانيته، والقرآن الكريم مليء بالآيات التي تحث الإنسان على التدبر والتأمل في الكون، ليزداد يقينا بخالقه وإيماننا ببارئه عن حقيقة واقتناع، وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه، ففي النفس الإنسانية من الآيات والدلائل على وحدانيته سبحانه الشيء الكثير، قال تعالى: {وَوَجِّهِ أَنْفُسَكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ} <sup>1</sup>، <sup>2</sup>، قال ابن جرير الطبري: "وفي أنفسكم أيها الناس أيضا آيات وعبر، تدلکم على وحدانية صانعکم، وأنه لا إله لكم سواه؛ إذ كان لا شيء يقدر أن يخلق مثل خلقه إياكم {أَفَلَا تُبْصِرُونَ}، يقول: أفلا تنظرون في ذلك فتفكروا فيه، فتعلموا حقيقة وحدانية خالقكم" <sup>3</sup>. وقال تعالى: {سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَقْبَاقِ وَجِجَ أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} <sup>4</sup>، كما دعا القرآن الكريم الإنسان إلى التأمل في أصله ومنشئه، مروراً بمراحل نموه وحياته، وما يرافق ذلك من تحولات إلى موته وبعثه، قال تعالى: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِيٍّ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ} <sup>5</sup>،

<sup>1</sup> سورة الذاريات، الآية: 21

<sup>2</sup> سورة الذاريات، الآية: 21

<sup>3</sup> تفسير ابن جرير الطبري (ت: 310)، 552/24

<sup>4</sup> سورة فصلت، الآية: 52

<sup>5</sup> سورة الطارق، الآيات: 5-7

وقال تعالى: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئاً مَّذْكُوراً} ١  
 إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن نُّطْقَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً} ٢ وعن أصل  
 خلقه وتكوينه، ومراحل نموه وتطوره، ثم إِمَاتته وبعثه، يقول تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا  
 الْإِنْسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ} ٣ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْقَةً فِي فَرْارٍ مَّكِينٍ} ٤ ثُمَّ  
 خَلَقْنَا النُّطْقَةَ عَلَاقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْماً فَكَسَوْنَا  
 الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا - آخَرَ فَتَبَرَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِفِينَ} ٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ  
 بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ} ٦ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْفَيْمَةِ تُبْعَثُونَ} ٧، كما تحدث القرآن الكريم  
 عن الأغشية المحيطة بالجنين، والتي سماها بالظلمات الثلاث، قال تعالى: {يَخْلُقُكُمْ فِي  
 بُطُونٍ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ  
 الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ قَابَ نَبِيِّ تَصَرَّفُونَ} ٨.

وهي: ظلمة الرحم، وظلمة المشيمة، وظلمة البطن. ٤

وكل الناس على اختلاف مداركهم العلمية، خرجوا يوم خرجوا من بطون  
 أمهاتهم لا يعلمون شيئا، وما وصلوا إليه من علوم ومعارف مما اكتسبوه، فإنما هو من  
 فضل الله تعالى عليهم؛ إذ هو المنعم بالآليات الموصلة إلى المعارف، المستعملة في  
 التجارب والتحصيل العلمي، قال الله تعالى: {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ

<sup>1</sup> سورة الإنسان، الآيتان: 1-2

<sup>2</sup> سورة المؤمنون، الآيات: 12-16

<sup>3</sup> سورة الزمر، الآية: 7

<sup>4</sup> لباب التأويل في معاني التنزيل، 50/4



لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ<sup>1</sup>، كما وضع القرآن الكريم المفارقة العجيبة بين أصل الإنسان: التراب والنطفة القذرة، وبين ما صار إليه من استواء الصورة واعتدال الخلقه، ثم لم يلبث أن كابر، وعاند وجاحد، قال تعالى: {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ<sup>2</sup>} وقال تعالى: {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ<sup>3</sup>}، فلو نظر الإنسان في أصله نظرة تأمل وتبصر، وفكر في مبدأ وجوده، وتركيبه، لوجد في نفسه قبل أن يتجاوزها إلى غيرها ما يعجز عن وصفه فضلاً عن إدراك كنهه، وكلما توسع نطاق البحث العلمي، توافرت الأدلة والبراهين على استحالة وجود هذا الإنسان بدون موجد، وأن لصنعه فاطراً حكيماً، وكل ناحية من نواحيه إلا وجدها العلم مثار دهشة وإعجاب؛ أطواره في الرحم، نظام طعامه وشرابه وتحلل هذا الطعام إلى عناصر متنوعة، وبعقادر دقيقة، كل عنصر يؤدي وظيفته، وما لا يفيد منها طرد إلى الخارج، ونظام الدم في جسده، وتوزيعه من القلب إلى جميع أنحاء الجسم وضخه عبر الشرايين التي تسير بنظام عجيب، ثم عودته بواسطة الأوردة، ومرور الهواء الحديد ليصلح الدم بعد الفساد، ناهيك عن نعمة السمع والبصر والنطق والشم والذوق، وما يعرض للكائن البشري من تذكر ونسيان، وعلم وجهل، ومحبة وبغض، وحزن وفرح، ونشاط وخمول، كل ذلك من آيات الله الدالة على قدرة الله وعظمته ووحدانيته، وأنه الخالق المدبر.

<sup>1</sup> سورة النحل، الآية: 78

<sup>2</sup> سورة النحل، الآية: 4

<sup>3</sup> سورة يس، الآية: 77

يقول ابن القيم: "وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه، وفيه من العجائب الدالة على عظمة الله ما تنقضي الأعمار في الوقوف على بعضه، وهو غافل معرض عن التفكير فيه، ولو فكر في نفسه لجزره ما يعلم من عجائب خلقها عن كفره"<sup>1</sup>.

## المصلب الثالث: آيات الله في خلق الكون

اشتمل الكون بسمائه وأرضه وبره وبحره ونباته على آيات وبراهين لا تدع المجال للعاقل أن يشك في أن لهذا الكون ربا خلقه ويسيره ويدبر أمره.

### 1 آيات الله في خلق السماء

ومن أكبر البراهين وأعظم الآيات الدالة على عظمة الحق سبحانه ووحدانيته: خلق السماء ورفعها بغير عمد يرى، فانظر إلى خلقها وما فيها من إبداع خالقها وفاطرها سبحانه، ثم كرر النظر إليها كرة تلو كرة فلن تجد فيها من صدع ولا فطور، بل ستجد أن نظرك يعود إليك خاسئاً ذليلاً.

قال تبارك وتعالى: {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِن تَقْوٰتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُوْرٍ ۚ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ} <sup>2</sup>، أي مرة بعد أخرى، أمر بالنظر مرتين لأن الإنسان إذا نظر في الشيء مرة لا يرى عيبه، ما لم ينظر إليه مرة أخرى، فأخبر تعالى أنه ————— وإن نظر في السماء مرتين ————— لا يرى فيها عيباً، بل يتحير بالنظر إليها،

<sup>1</sup> مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم (ت: 751هـ)، 188/1

<sup>2</sup> سورة الملك، الآيتان: 3 - 4

وقوله تعالى: {خَاسِعًا} أي خاشعا صاغرا متباعدا عن أن يرى شيئا من ذلك.<sup>1</sup>، وقال تعالى: {أَقْلَمَ يَنْظُرُونَ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ}<sup>2</sup>، وإنها لمثار الإعجاب والدهشة، ربنا ما خلقت هذا باطلا، فلعظمة خلق السماوات وما فيها من آيات باهرات، أقسم الله بها في غير ما آية من كتابه، من ذلك قوله سبحانه: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ}<sup>3</sup>، {وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ}<sup>4</sup>، {وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَيْنَاهَا}<sup>5</sup>، {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرُّجُوعِ}<sup>6</sup>، قال ابن القيم: "ولم يقسم في كتابه بشيء من مخلوقاته أكثر من السماء والنجوم والقمر، وهو سبحانه يقسم بما يقسم به من مخلوقاته لتضمنه الآيات والعجائب الدالة عليه، وكلما كان أعظم آية وأبلغ في الدلالة، كان إقسامه به أكثر من غيره، ولهذا يعظم هذا القسم كقوله: {قَلَّا أَفَسِمُ بِمَوَافِعِ النُّجُومِ} وَإِنَّهُ لَفَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ"<sup>7</sup>... ثم قال: والمقصود أنه سبحانه إنما يقسم من مخلوقاته بما هو من آياته الدالة على ربوبيته ووحدانيته"<sup>8</sup>، فأى قوة تقدر على مسك هذه السماء، وجعلت دورها يستمر ووظائفها تتأدى وفق نظام بديع؟! إنه العزيز الحكيم الخالق، الرؤوف الرحيم بخلقه، وهو القائل سبحانه: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ

<sup>1</sup> الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (ت: 671هـ) بتصرف، 116/21

<sup>2</sup> سورة ق، الآية: 6

<sup>3</sup> سورة البروج، الآية: 1

<sup>4</sup> سورة الطارق، الآية: 1

<sup>5</sup> سورة الشمس، الآية: 5

<sup>6</sup> سورة الطارق، الآية: 11

<sup>7</sup> سورة الواقعة، الآية: 78-79

<sup>8</sup> مفتاح دار السعادة، 197/1

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَزُولًا<sup>1</sup>. قال القرطبي رحمه الله: "لما بين أن آلهتهم لا تقدر على خلق شيء من السموات والأرض، بين أن خالقهما وممسكهما هو الله، فلا يوجد حادث إلا بإيجاده، ولا يبقى إلا ببقائه"<sup>2</sup>.

وقد مدح الله تعالى من فوق سبع سماوات أولي الألباب المتفكرين في الكون المتأملين في ملكوت السموات والأرض، فقال سبحانه: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ} الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيمَا وَفُوعُوا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ قَبْلَنَا عَذَابُ النَّارِ<sup>3</sup>، كما ذم المعرضين عن التفكير في ذلك الخلق العجيب، وما يشتمل عليه من التنظيم الفريد، والصنع العجيب الدال على حكمة الله البالغة، وقدرته الباهرة، فقال تعالى: {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفْهًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ<sup>4</sup>}. قال القرطبي: "بين أن المشركين غفلوا عن النظر في السموات وآياتها، من ليلها ونهارها، وشمسها وقمرها، وأفلاكها ورياحها وسحابها، وما فيها من قدرة الله تعالى، إذ لو نظروا واعتبروا لعلموا أن لها صانعا قادرا واحدا، يستحيل أن يكون له شريك"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> سورة فاطر، الآية: 41

<sup>2</sup> الجامع لأحكام القرآن، 394/17

<sup>3</sup> سورة آل عمران، الآيتان: 190-191

<sup>4</sup> سورة الأنبياء، الآية: 32

<sup>5</sup> الجامع لأحكام القرآن، 199/14

وقال ابن القيم في كتابه مفتاح دار السعادة: "فالأرض والبحار والهواء، وكل ما تحت السموات، بالإضافة إلى السموات كقطرة في بحر، ولهذا قل أن تحيي سورة في القرآن، إلا وفيها ذكرها، إما إخباراً عن عظمتها وسعتها، وإما إقساماً بها، وإما دعاء إلى النظر فيها، وإما إرشاداً للعباد أن يستدلوا بها على عظمة بانيها ورافعها، وإما استدلالاً منه سبحانه بخلقها على ما أخبر به من المعاد والقيامة، وإما استدلالاً منه بربوبيته لها على وحدانيته، وأنه الله الذي لا إله إلا هو، وإما استدلالاً منه بحسنها واستوائها والتئام أجزائها، وعدم الفطور فيها على تمام حكمته وقدرته، وكذلك ما فيها من الكواكب والشمس والقمر، والعجائب التي تتقاصر عقول البشر عن قليلها"<sup>1</sup>.

## 2 آيات الله في خلق الأرض

وفي سياق حديث القرآن المجيد عن خلق الأرض وما فيها من الآيات العظيمة ما يبعث العاقل على النظر، ويحمّله على التفكير في عظمة خالقها وكمال قدرته، وأنه ليس له ند في ملكه، قال تعالى: {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ}<sup>2</sup>.

قال ابن القيم: "وإذا نظرت إلى الأرض، وكيف خلقت، رأيته من أعظم آيات فاطرها وبديعها، خلقها سبحانه فراشا ومهدا وذلّ لها لعباده، وجعل فيها أرزاقهم وأقواتهم ومعاشهم، وجعل فيها السبل ليتنقلوا فيها في حوائجهم وتصرفاتهم، وأرسلها بالجبّال، فجعلها أوتادا تحفظها لئلا تميد بهم، ووسع أكنافها ودحاها فمدّها وبسطها، وطحاها فوسّعها من جوانبها وجعلها كفاتا للأحياء تضمهم على ظهرها ما داموا

<sup>1</sup> مفتاح دار السعادة، 196/1-197

<sup>2</sup> سورة الذاريات، الآية: 20

ومن تمام نعمة الله على الإنسان أن بسط له هذه الأرض وجعلها موطن استقراره، ومهدّها لتكون صالحة لحياته ومعاشه، قال تعالى: {أَمْسَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَافَهَا أَنْهَرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۚ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بَلَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} <sup>3</sup>، وقال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَرَّكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} <sup>4</sup>.

<sup>1</sup> مفتاح دار السعادة، 200-199/1

<sup>2</sup> تفسیر ابن کثیر، (ت: 774ھ)، 419/7

<sup>3</sup> سورة النمل، الآية: 63

<sup>4</sup> سورة غافر، الآية: 64

أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٩﴾ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِۦ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ<sup>1</sup>، فهو سؤال فيه تهكم وسخرية بعقول أولئك الذين سولت لهم نفوسهم أن يجعلوا مع الله معبودات باطلة، لا تجلب لهم نفعا ولا تدفع عنهم ضرا. والآيات التي تدعو الإنسان إلى النظر والتفكر في صنع هذه الأرض، وما أودعه الله فيها من الخيرات والنعم كثيرة، وكلها دالة على وجود الله تعالى، ووحدانية خالقها ومبدعها.

### 3 آيات الله في خلق الشمس والقمر، والليل والنهار والنجوم

ومن آيات الله العظيمة، ومعجزاته الخالدة الدالة على وجوده ووحدانيته، تعاقب الليل والنهار، وما أودعه الله في كوكبي الشمس والقمر من النور والضياء، قال الله تعالى: {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}<sup>2</sup>، وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّ فِي إِخْتِلَافِ اللَّيْلِ

<sup>1</sup> سورة لقمان، الآيتان: 9-10

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية: 163

وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَتَّبِعُ لِقَوْمٍ يَتَّبِعُونَ<sup>1</sup>، وقال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ يُخْتَلَفُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ أَقْبَلًا تَعْفِلُونَ<sup>2</sup>، فهذه الآيات وغيرها خاطب بها الخالق سبحانه العقول البشرية لتأمل عظمة الخالق تبارك وتعالى، لتؤمن به ربا خالقاً قادراً حكيماً، عظيماً واحداً لا شريك له، وقال تعالى: {قُلْ آرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْفِيئَةِ مَنِ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَقْبَلًا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ آرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْفِيئَةِ مَنِ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَقْبَلًا تُبْصِرُونَ<sup>3</sup>، فلو أن المنكرين لوجود الله سمعوا سماع فهم وقبول وتدبر للحق، ونظروا نظرة إنصاف وعدل، لاستدلوا بذلك على وحدانية الله تعالى، ولأدركوا ما هم عليه من الخطأ والضلال.

ومن تأمل حال الشمس والقمر وما أودع الله فيهما من النور والضياء، وكيف جعل لهما منازل وبروجاً، علم أن ذلك من أجل مصالح البشر وأدرك أنه لا غنى لبني آدم عنه ليعلموا حساب الآجال المؤجلة للديون والمعاملات، وكذلك مواقيت العبادات من صلاة، وصيام، وحج، وعدة المطلقات وغيرها.

فلأن الشمس والقمر آيتان من أعظم آيات الله المشاهدة في العالم العلوي والسفلي، لفت القرآن المجيد الأنظار إلى أنهما من مخلوقات الله تعالى، وأنهما تحت قهره وتسخيره،

<sup>1</sup> سورة يونس، الآيتان: 5-6

<sup>2</sup> سورة المؤمنون، الآية: 81

<sup>3</sup> سورة القصص، الآيتان: 71-72



ونهى عن السجود لهما، وأن السجود لخالقهما سبحانه، قال تعالى: {وَمِنَ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} <sup>1</sup>، قال ابن القيم: "ثم تأمل الحكمة في طلوع الشمس على العالم، كيف قدرة العزيز العليم سبحانه، فإنها لو كانت تطلع في موضع من السماء فتقف فيه، ولا تعدوه، لما وصل شعاعها إلى كثير من الجهات، لأن ظل أحد جوانب كرة الأرض يحجبها عن الجانب الآخر، وكان يكون الليل دائما سرمدا على من لم تطلع عليهم، والنهار سرمدا على من هي طالعة عليهم، فيفسد هؤلاء وهؤلاء، فاقتضت الحكمة الإلهية والعناية الربانية أن قدر طلوعها من أول النهار من المشرق، فتشرق على ما قابلها من الأفق الغربي، ثم لا تزال تدور وتغشي جهة بعد جهة حتى تنتهي إلى المغرب، فتشرق على ما استتر عنها في أول النهار، فيختلف عندهم الليل والنهار، فتنتظم مصالحهم" <sup>2</sup>.

كما أن من آيات الله الدالة على وحدانيته، خلق النجوم وإبداع صنعها، وجعلها زينة للسماء، وعلامات يهتدى بها في ظلمات الليل برا وبحرا، وما جعل فيها من النور، وكيف جعلها منقادة مسخرة جارية وفق سنة ثابتة ونظام عجيب، وجعل لها البروج والمنازل، وجعل منها الثوابت والسيارة والكبار والصغار والمتوسطة، وجعلها مختلفة في الألوان، وفي الدنو والعلو، كل ذلك مما يدعو إلى التأمل والتفكير، قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ فَمَا بَصَلْنَا أَلَايَاتِ

<sup>1</sup> سورة فصلت، الآية: 36.

<sup>2</sup> مفتاح دار السعادة، 209/1

لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ<sup>1</sup>، وقال عز وجل: {وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ  
وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ<sup>2</sup>، وقال تعالى:  
{وَعَلَّمَتْنِي وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ<sup>3</sup>، بل أقسم الله تعالى بمواقع النجوم ومنازلها،  
وأفلاكها وبروجها، لما في المقسم به من الدلالة على عظيم قدرة خالقها وفاطرها، فقال  
سبحانه: {قَلَّا أَقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٨﴾ إِنَّهُ لَفَسَّمٌ لِّوَيْعَلَمُونَ عَظِيمٌ<sup>4</sup>، وقال  
تعالى: {وَالسَّمَاءَ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ<sup>5</sup> }.

#### 4آيات الله في خلق الرياح والسحاب والمصر

فمن آيات الله الدالة على وحدانيته وعظيم قدرته: الرياح وهبوبها، وركودها،  
واختلاف مهاها وركودها، فإنها لا يستغني عنها إنسان ولا حيوان ولا نبات، كل  
الكائنات في حاجة ماسة إليها، باردة تكون تارة، وحارة أخرى، أو رطبة مرة، وجافة  
أخرى أو معتدلة، أحكم الله سيرها ومهاها، وقسمها على الأرض قسمة خاضعة لمنطق  
عدله وحكمته، وعلى هذا الأساس عمد العلماء إلى العالم فقسموه إلى مناطق حارة،  
وأخرى باردة، وأخرى معتدلة، كما درسوا سير الرياح واتجاهاتها، فنظموا حركات  
السفن في البحر.

يقول ابن القيم: "ومن آياته الباهرة هذا الهواء اللطيف، المحبوس بين السماء  
والأرض، يدرك بحس اللمس عند هبوبه يدرك جسمه، ولا يرى شخصه، فهو يجري

<sup>1</sup> سورة الأنعام، الآية: 98

<sup>2</sup> سورة النحل، الآية: 12

<sup>3</sup> سورة النحل، الآية: 16

<sup>4</sup> سورة الواقعة، الآية: 78-79

<sup>5</sup> سورة الطارق، الآيات: 1-3

بين السماء والأرض، والطير مخلقة فيه ساجدة بأجنحتها في أمواجه، كما تسبح  
حيوانات البحر في الماء، وتضطرب جوانبه وأمواجه عند هيجانه، كما تضطرب أمواج  
البحر، فإذا شاء سبحانه وتعالى حركه بحركة الرحمة، فجعله رخاء ورحمة وبشرى بين  
يدي رحمته، ولاقحا للسحاب كما يلقيح الذكر الأنثى بالحمل ... وإن شاء حركه  
بحركة العذاب، فجعله عقيما وأودعه عذابا أليما، وجعله نقمة على من يشاء من  
عباده، فيجعله صرصرًا ونحسا، وعاتيا ومفسدا لما يمر عليه<sup>1</sup>.

فالرياح والسحاب الذي تقله وما يتبع ذلك من غيث ورعد وبرق آيات عظيمة،  
وقف القرآن المجيد في معرض سوقها مرشدا ومبصرا وواعظا للخلق، داعيا إلى التفكير  
في قدرته الباهرة، ليوحدوه ويعبدوه وحده ويطيعوه، قال الله تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ  
الرِّيحَ نُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَفْلَتْ سَحَابًا ثِفَالًا سَفَنَهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ  
فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى  
لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}<sup>2</sup>، وقال تعالى: {هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا  
وَيُنَشِّئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ۖ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَكَايِكُ مِنْ خِيفَتِهِ  
وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ  
الْمِحَالِ}<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> مفتاح دار السعادة، 200/1-201

<sup>2</sup> سورة الأعراف، الآية: 56

<sup>3</sup> سورة الرعد، الآيات: 12-14

وقال تعالى: {اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَبَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مَسَّ قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٨﴾ فَاَنْظِرِ إِلَى أَثَرِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيٍ الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} <sup>1</sup>، وقال تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيَّحَ فَيُظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٢٠﴾ أَوْ يُوبِقْهُمْ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٢١﴾ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ} <sup>2</sup>.

قال القرطبي: "يعني الكفار؛ أي: إذا توسطوا البحر، وغشيتهم الرياح من كل مكان، أو بقيت السفن رواكد علموا أنه لا ملجأ لهم سوى الله، ولا دافع لهم إن أراد الله إهلاكهم، فيخلصون له العبادة" <sup>3</sup>. هذه الآيات العظيمة والبراهين القاطعة، الدالة على القدرة الإلهية، إنما ضربها الله مثلاً لمن كان له عقل يعي ويتدبر، ليعلم عن حقيقة وبصيرة أن هذا الكون من صنع الله تعالى.

## 5 آيات الله في خلق النبات

عالم النبات نجده لا يقل عجباً عن عالم الحيوان، تكون الحبة في بطن الأرض، ثم تربو وتنمو شيئاً فشيئاً، حتى يخرج الثمر ويؤتي أكله كل حين بإذن ربه، فالنواة على

<sup>1</sup> سورة الروم، الآيات: 47-49

<sup>2</sup> سورة الشورى، الآيات: 30-32

<sup>3</sup> الجامع لأحكام القرآن، 18 / 482

ضعفها تصير نخلة باسقة، لها جذور وأغصان، ولا تتأثر بهبوب الرياح، وتؤتي أشهى الثمار، ثمرة واحدة تتنوع وتتمايز حجماً ولونا ومذاقاً ولو أنها من نوع واحد، وفي أرض واحدة، وتسقى بماء واحد، فتجد بعضها يؤكل باطنه ويرمى ظاهره، وأخرى يؤكل ظاهرها ويرمى باطنها، كل ذلك من بديع صنع الله تعالى، إذ كيف نمت الأغصان وتفرعت الفروع وتغايرت الثمار، وتشكلت الألوان وتنوعت المذاقات؟ لا جرم أنها آيات باهرة ودلائل ملموسة خاطب بها القرآن المجيد الفطر السليمة، فهل من متدبر، وهل من متأمل؟

فالمقصود إنما هو للدلالة على معرفة وجوده ووحدانيته، وكمال علمه وقدرته سبحانه، قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ قَلِيلٌ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَبَىٰ تُوبَكُونَ} <sup>1</sup>.

وعن الزوجية في النبات، قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} <sup>2</sup>.

قال ابن الجوزي: "و {جعل فيها زوجين اثنين} أي: نوعين، والزوج الواحد الذي له قرين من جنسه، قال المفسرون: ويعني بالزوجين: الحلو والحامض، والعذب والملح، والأبيض والأسود" <sup>3</sup>.

<sup>1</sup> سورة الأنعام، الآية: 96

<sup>2</sup> سورة الرعد، الآية: 3

<sup>3</sup> زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (ت: 597هـ)، 302/4

وقال المراغي: "أي وجعل فيها من كل أصناف الثمرات زوجين، ذكرا وأنثى حين تكونها، فقد أثبت العلم حديثا أن كل شجر وزرع لا يتولد ثمره وحبه إلا من اثنين ذكر وأنثى، وعضو التذكير قد يكون مع عضو التأنيث في شجرة واحدة كأغلب الأشجار، وقد يكون عضو التذكير في شجرة، وعضو التأنيث في شجرة أخرى كالنخل، وما كان العضوان فيه في شجرة واحدة، إما أن يكونا معا في زهرة واحدة كالقطن، وإما أن يكون كل منهما في زهرة كالقرع مثلا"<sup>1</sup>.

كما بين القرآن الكريم أن اختلاف النباتات في الطعم رغم الاتحاد في التربة والماء من العلامات الباهرة لمن عقل وتدبر، قال تعالى: {وَفِي الْأَرْضِ فِطْعٌ مُّتَجَوِّرَاتٌ وَجَنَّتْ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ صِنَوَاتٍ وَغَيْرِ صِنَوَاتٍ تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنَبْضٌ لِّبَعْضِهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}<sup>2</sup>، وفي معنى ذلك، قال الطبري: "الأرض الواحدة يكون فيها الخوخ والكمثرى، والعنب الأبيض والأسود، وبعضها أكثر حملا من بعض، وبعضه حلو، وبعضه حامض، وبعضه أفضل من بعض"<sup>3</sup>.

فهل يصح عقلا أن يكون هذا الاتساق، وهذه الدقة بمجرد الصدفة والاتفاق؟.

### المصلب الرابع: آيات الله في خلق الحيوان

عالم الحيوان مليء بالعجائب الإلهية مما يستحق الوقوف والتأمل؛ وذلك أنه عالم حير العقول والأفكار؛ تنوع في الخلق بين حيوانات برية، وأخرى بحرية، بعضها ماشية

<sup>1</sup> تفسير المراغي (ت: 1371هـ)، 66/13

<sup>2</sup> سورة الرعد، الآية: 4

<sup>3</sup> تفسير الطبري، 334/16

وأخرى طائفة، ثم حيوانات حشرية، منها ما لا يرى بالعين المجردة، وأخرى كبيرة فخرية وثديية، ومنها ما يمشي على رجلين، ومنها ما يمشي على أربع، وأخرى زواحف، ومنها حيوانات معمرة، وأخرى قصيرة الآجال، منها حيوانات تبيض، وأخرى تلد، وبعضها للأكل والحمل، وبعضها لمنافع أخرى، ومنها ما لا ينتفع بها الإنسان، كما اختلفت في الأشكال والألوان، وفي الأصوات، وفي الحياة وطريقة تناول الطعام، وغير ذلك مما يعجز العلم عن تسطيره.

أما إذا ذهبت تبحث عن الحكم والأسرار في خلق الحيوانات لوجدت نفسك أمام خضم واسع، يقول ابن القيم — بعد ذكر الكثير من الحكم في خلق هذه الحيوانات — : "فما أغزر الحكم وأكثرها في هذه الحيوانات التي تزديها وتحتقرها، وكم من دلالة فيها على الخالق ولطفه ورحمته"<sup>1</sup>.

وعن عوالم الحيوانات، يتحدث القرآن الكريم، فيقول: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أِنَّهٗمْ أَمْثَالُكُمْ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ}<sup>2</sup>.

ويلفت القرآن الكريم الأنظار، ويشير العواطف ويرشد إلى الدلائل والحجج الدالة على وحدانية الله تعالى، فيقول عن الطير: {أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ}<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> مفتاح دار السعادة، 244/1

<sup>2</sup> سورة الأنعام، الآية: 39

<sup>3</sup> سورة النحل، الآية: 79

ويتحدث القرآن المجيد عن العسل وكيف أوحى الله إلى تلك الحشرة الضعيفة (النحلة)، التي سخرها لخدمة الإنسان، وأوحى إليها بتوجيهات ربانية فأخذت بها عن آخرها طاعة لأمر ربها وخدمة للإنسان، فيقول تعالى: {وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلًّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} <sup>1</sup>.

وعن ذكاء النملة، يتحدث القرآن فيحكي كلامها وقد رأت سليمان عليه السلام وجنوده: {قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمُنُ وَجُنُودُهُ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} <sup>2</sup>.

وعن قدرة الله العظيمة في خلقه لأنواع المخلوقات على اختلاف أشكالها وألوانها، وحركاتها وسكناتها، يقول تعالى: {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} <sup>3</sup>. هذا وقد امتن الله على العباد بما سخر لهم من الأنعام، وما فيها من المصالح والمنافع، فقال الله سبحانه: {وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْبَعٌ وَمِنْهَا تَاكُلُونَ ﴿٦٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٧٠﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ

<sup>1</sup> سورة النحل، الآيتان: 68-69

<sup>2</sup> سورة النمل، الآية: 18

<sup>3</sup> سورة النور، الآية: 43



رَبِّكُمْ لَرَأُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٦﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ<sup>1</sup>.

ويقول تعالى: {وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْفِيكُمْ بِمَا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْتٍ قَرِثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ<sup>2</sup>.

قال الزمخشري: "يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه، وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي أحدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة، بل هو خالص من ذلك كله. قيل: إذا أكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها طبخته، فكان أسفلها فرثا، وأوسطه لبنا، وأعلاه دما. والكبد مسلطة على هذه الأصناف الثلاثة تقسمها، فتجري الدم في العروق، واللبن في الضرع، وتبقي الفرث في الكرش، فسبحان الله ما أعظم قدرته وألطف حكمته لمن تفكر وتأمل"<sup>3</sup>.

فهذه العجائب المليئة بالعبير والأسرار، لم تكن عبثا أو مصادفة، إذ لم تبق محالا لأحد أن يدعي أو يظن بأن لله شريكا في ملكه.

<sup>1</sup> سورة النحل، الآيات: 5 - 8

<sup>2</sup> سورة النحل، الآية: 66

<sup>3</sup> تفسير الكشاف، للزمخشري (ت: 538هـ)، 616/2

## المبحث الثاني: معالم التغيير الفكري والعقدي في الرسالات السماوية السابقة: نماذج

جميع الرسالات السماوية تأتي بعد أن يطول الأمد بالبشرية، فتكون الرسالة السماوية السابقة مندرسة أو محرفة، وتكون حياة البشرية متوقفة على تدخل السماء لإنقاذها وإصلاح حالها، وتغيير وضعها العقدي والفكري والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، فما هو منطلقها وهي تحمل إلى البشرية التغيير الحقيقي؟ وكيف كان منهجها ومنطلقها؟

يمكن القول: إن منهج الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام كان مبنيًا — حسب عرض القرآن الكريم — على تقديم التغيير من الشرك إلى التوحيد، ومن الكفر إلى الإيمان على غيره من مجالات التغيير التي جاء بها القرآن المجيد، مثل التغيير الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وغيرها؛ إذ التغيير الفكري والعقدي أساس كل تغيير ومبناه، فما لم تنقد البشرية لخالقها بالتوحيد وتزيهه عن الند والصاحبة والولد فمحال أن ينجح أي تغيير وفي أي مجال، وقضية التوحيد هي القضية الرئيسة التي من أجلها أنزل الله الكتب وأرسل الرسل، وقد جاء ذلك جليا في القرآن الكريم فيما قصه عن الأنبياء والرسل وعلاقتهم بأقوامهم.

وهذه نماذج من دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام إلى التغيير الفكري والعقدي ضمنها مطالب أربعة:

## المصلب الأول: منهج نوح عليه السلام في التغيير العقدي والفكري

لقد عاش آدم عليه السلام موحدًا لله تعالى على أصفى ما يكون التوحيد وأنقاه، وربى أبنائه على التوحيد، وتلقته ذريته من رجيل إلى آخر، وكانوا على الإسلام يعبدون الله تعالى ويوحدونه إلى عهد نوح عليه السلام، وكان بين آدم ونوح عليهما السلام عشرة قرون، فقد روى الحاكم في المستدرک عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين، قال: وكذلك في قراءة عبد الله: {كان الناس أمة واحدة فاختلفوا}"<sup>1</sup>، والمراد بالقرن الجيل من الناس، كما في قوله تعالى: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا}<sup>2</sup>، وقوله تعالى: {ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ۖ آخَرِينَ}<sup>3</sup>. ويطلق القرن ويراد به مائة سنة.

ويؤيد أن يكون المعنى الصحيح للقرن أنه الجيل من الناس ويعضده حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته، قال إبراهيم<sup>4</sup>: وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد"<sup>5</sup> وفي رواية بزيادة: "ونحن صغار"<sup>1</sup>، والمراد أن الناس من لدن آدم عليه السلام

<sup>1</sup> المستدرک للحاكم (ت: 405هـ)، كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، باب ذكر نوح النبي صلى الله عليه وسلم، الحديث رقم: 4009

<sup>2</sup> سورة الإسراء، الآية: 17

<sup>3</sup> سورة المؤمنون، الآية: 31

<sup>4</sup> المراد به إبراهيم النخعي كما في فتح الباري 261/5، وهو من رجال البخاري، ينظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لجمال الدين القضاعي المزي (ت: 742هـ)، 233/2 وما بعدها

<sup>5</sup> صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أشهد، رقم الحديث: 2652. ومسلم، رقم الحديث: 2533، واللفظ للبخاري.

إلى نبي الله نوح عليه السلام كانوا يوحدون الله تعالى ولا يشركون به شيئاً، وكانوا على الإسلام الذي ارتضاه الله تعالى لعباده، كما قال تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} <sup>2</sup>،

فلما عم الجهل وانتكست الفطرة وتمكن الشيطان من إغوائهم، أشركوا بالله وعبدوا معه غيره من الأصنام والأوثان، فبعث الله إليهم نوحاً عليه السلام، ليغير ما هم عليه من الشرك إلى التوحيد، ومن الضلال إلى الهدى، روى البخاري في صحيحه من حديث ابن جريج عند تفسير قوله تعالى: {وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا} <sup>3</sup> قال: "أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبت" <sup>4</sup>.

وروى ابن جرير بسنده عن محمد بن قيس في تفسيره: "كانوا قوماً صالحين من بني آدم ونوح، وكان لهم أتباع يقتدون بهم، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم: لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم، فصوروهم، فلما ماتوا وجاء آخرون دب إليهم إبليس، فقال: إنما كانوا يعبدونهم وبهم يسقون المطر فعبدوهم" <sup>5</sup>.

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، الحديث رقم: 3651

<sup>2</sup> سورة آل عمران، الآية: 19

<sup>3</sup> سورة نوح، الآية: 23 — 24

<sup>4</sup> صحيح البخاري، كتاب التفسير، باب {ودا ولا سواعا، ولا يغوث ويعوق} تفسير سورة نوح، رقم الحديث: 4920

<sup>5</sup> تفسير ابن جرير الطبري، 358/26

وما تقدم من أن أول شرك في البشرية كان في قوم نوح عليه السلام، هو الذي تؤيده أكثر الأدلة بخلاف ما جاء في كتاب الأصنام لابن الكلبي: "أول ما عبدت الأصنام، أن آدم عليه السلام لما مات جعله بنو شيث بن آدم في مغارة في الجبل الذي أهبط عليه آدم بأرض الهند، ... وكان بنو شيث يأتون جسد آدم في المغارة فيعظمونه ويترحمون عليه، فقال رجل من بني قابيل بن آدم: يا بني قابيل إن لبني شيث دوارا يدورون حوله ويعظمونه، وليس لكم شيء، فنحت لهم صنما، فكان أول من عملها"<sup>1</sup>.

فعلى فرض صحة ما ذكره ابن الكلبي يكون عهد بني آدم عليه السلام بالتوحيد لم يدم طويلا، وأنهم لم يلبثوا أن بدلوا وغيروا بعد موته، والحق أن هذا يتنافى مع ما تقدم من أدلة صحيحة ووافرة، منها قول ابن عباس رضي الله عنهما: "كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق"<sup>2</sup>.

هذا وقد سلك نوح عليه السلام في تغيير عقيدة قومه من الشرك إلى التوحيد منهجا فريدا وجديرا بالاعتبار والتأمل، يمكن إجماله في النقاط الآتية:

1- الموعظة الحسنة التي تجلت في لين الكلمة وسهولة الأسلوب، وعدم مقابلة الأذى بمثله، يبدو ذلك جليا في جوابه عليه السلام لقومه عندما وصفوه بالضلال المبين، ظانين أن الحق هو ما هم عليه، مستغربين إثباته الإلهية لله الفرد الصمد ونفيها عن آلهتهم الباطلة، ولأن دعوته تضمنت في زعمهم جملة من المخالفات لما هو عندهم من قبيل المسلمات، ويرون أن ما دعاهم إليه من قبيل المحال؛ وذلك بدءا بإثبات الإلهية لله

<sup>1</sup> الأصنام، لابن الكلبي، ص: 50-51

<sup>2</sup> تقدم تخريجه: المستدرک للحاکم، کتاب تواریخ المتقدمین من الأنبياء والمرسلین، باب ذکر نوح النبی صلی الله علیه وسلم، الحديث رقم: 4009

{ 120 }

2- تنويعه للأساليب في الدعوة، فلم يلتزم أسلوباً معيناً، أو حالة واحدة، ولكنه أخذ يدعوهم في الليل والنهار، وفي السر والعلانية، يظهر ذلك من قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿١﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٢﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْيِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْلَابَهُمْ فَجَاءَ آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرَوْا وَاسْتَكْبَرُوا بِسُتُكْبَارًا ﴿٣﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٤﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا} <sup>1</sup>، وبالترغيب تارات، والترهيب أخرى؛ ترغيبهم بمغفرة الذنوب إن هم أطاعوه، وصدقوا ما جاء به، وأن يمد الله في أعمارهم، ويدروا عنهم العذاب، وترهيبهم من بطش الخالق الجبار سبحانه، ونزول عذابه بهم إن لم يجتنبوا ما نهاهم عنه، قال تعالى: {قَالَ يَفْقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١﴾ أَنْ أَغْبُدُوا لِلَّهِ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿٢﴾ يَغْيِرَ لَكُمْ مِمَّا دُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} <sup>2</sup>، كما رغبهم في العيش الهنيء، وسعادة الحياة ويسرها، وذلك بالغيث المدرار، والإمداد بالأموال والبنين، ومغفرة الله لهم ما سلف إن استغفروا الله تعالى، وأنابوا إليه من الشرك وما هم عليه من إعراض عن الحق، قال تعالى: {قِفْلْتُ بِسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا} <sup>3</sup>.

3- أسلوب الجدل والحوار، كما هو واضح من آيات كثيرة، منها قول الله تعالى: {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرًا ﴿٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ

<sup>1</sup> سورة نوح، الآيات: 5-9

<sup>2</sup> سورة نوح، الآيات: 2-4

<sup>3</sup> سورة نوح، الآيات: 10-11

أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١١٠﴾ ﴿حزب﴾ قَالُوا أَنْتُمْ لَكُمْ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَالُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عَلِمَ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدٍ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿١١٥﴾ قَالُوا لَيْسَ لَكَ تَنْتَه يَنْوُحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنْ قَوْمِي كَذَّبُونِ {<sup>1</sup>

وكما هو واضح من قوله تعالى حكاية عن قولهم: {يَنْوُحُ فَذَجَدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدْلَنَا قَاتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ}<sup>2</sup>.

4- الدعوة إلى النظر في الآيات الكونية، وما يشتمل عليه هذا الكون من نظام وإبداع، وإلى النفس وما فيها من الآيات الدالة على عظمة الخالق جل وعلا وعجائب قدرته، وأنه المستحق للعبادة دون غيره، قال تعالى: {مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ \* ﴿١٥﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٦﴾ وَجَعَلَ الْفَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٧﴾ وَاللَّهُ أُنَبِّتُكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٨﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بِسَاطًا ﴿٢٠﴾ لِّتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا وَجَّاجًا }<sup>3</sup>.

وبعد أن بذل نوح عليه السلام غاية جهده في سبيل هداية قومه وإصلاحهم، وصبره وحلمه الطويل عليهم فلبث يدعوهم إلى التوحيد ألف سنة إلا خمسين عاما،

<sup>1</sup> سورة الشعراء، الآيات: 105-117

<sup>2</sup> سورة هود، الآية: 32

<sup>3</sup> سورة نوح، الآيات: 13-20



ومع ذلك كله {مَا أَمَرَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ} <sup>1</sup> ، وفي النهاية لجأ إلى ربه يشكو قومه:  
{قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ} ﴿١٧٧﴾ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ  
الْمُؤْمِنِينَ} <sup>2</sup> ، كما دعا عليهم بالهلاك قائلا: {رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ  
الْكَاذِبِينَ دَيَّارًا} ﴿١٧٨﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِهًا  
كَفَّارًا} <sup>3</sup> ، وقد استجاب الله لدعاء رسوله، وأوحى إليه أن لن يؤمن من قومه إلا من  
قد آمن منهم، وأمره أن يصنع سفينة لنجاته ونجاة المؤمنين معه، فأحاطت به عناية الله  
ورعايته، فنهاه عن أن يحزن لغرق وهلاك من كفروا به واستحقوا بذلك عقاب الله،  
قال تعالى: {وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ آمَنَ فَلَا  
تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} ﴿١٧٩﴾ وَاصْنَعِ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا وَلَا تَخْطِبْنِي فِي  
الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَفُونَ} ﴿١٨٠﴾ وَيَصْنَعِ الْفُلَ وَكَلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ  
سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ} ﴿١٨١﴾ فَسَوْفَ  
تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّفِيمٌ} <sup>4</sup> .

لما انتهى نوح عليه السلام من صنع السفينة، وحمل فيها من كل زوجين اثنين،  
وركب هو وجميع من آمن معه، إلا من سبق عليه القول منهم أمره الله ومن آمن معه  
أن يذكروا اسم الله تعالى الذي عليه توكلهم واعتمادهم، وهو المجري والمرسي للسفينة،

<sup>1</sup> سورة هود، الآية: 40

<sup>2</sup> سورة الشعراء، الآيتان: 117-118

<sup>3</sup> سورة نوح، الآيتان: 28-29

<sup>4</sup> سورة هود، الآيات: 36-39

قال تعالى: {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَبَارَ التَّتُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ  
 اثنَيْنِ وَاهْلِكِ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤١﴾  
 ﴿نصف﴾ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرِبُهَا وَمُرْسِيهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ  
 رَحِيمٌ<sup>1</sup>، وقال تعالى: {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ  
 وَازْدُجِرَ ﴿١﴾ ﴿٢﴾ ﴿٣﴾ ﴿٤﴾ ﴿٥﴾ ﴿٦﴾ ﴿٧﴾ ﴿٨﴾ ﴿٩﴾ ﴿١٠﴾ ﴿١١﴾ ﴿١٢﴾ ﴿١٣﴾ ﴿١٤﴾ ﴿١٥﴾ ﴿١٦﴾ ﴿١٧﴾ ﴿١٨﴾ ﴿١٩﴾ ﴿٢٠﴾  
 بِمَاءٍ مِّنْهُمْ ۖ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَفَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ فُدِرَ ﴿١٢﴾  
 وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسِّرِ ﴿١٣﴾ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِّمَنْ كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾  
 وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُّدْكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي<sup>2</sup>، قال ابن  
 كثير: "أرسل الله من السماء مطرا لم تعهده الأرض قبله، ولم تمطره بعده، كأفواه  
 القرب، وأمر الأرض فنبعت من جميع فجاجها، وسائر أرجائها"<sup>3</sup>.

وبعد هلاك الكافرين ونجاة المؤمنين، أمر الله الأرض أن تبلع ماءها، وأمر السماء أن  
 تمسك عن المطر، قال تعالى: {وَفِيلَ يَأْرُضُ إِبْلَعِ مَاءَ كِ وَيَسْمَاءُ أَفْلِعِ وَغِيضَ  
 الْمَاءِ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَفِيلٌ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ<sup>4</sup>، يقول  
 صاحب المنار: "ما أفضع هذا المنظر! ما أشد هوله! ما أعظم روعته! ماء ينهمر من  
 آفاق السماء انهمارا، وأرض تتفجر عيونها خوارا فتفيض مدرارا، ماء ثجاج يصير بحرا

<sup>1</sup> سورة هود، الآيتان: 40-41

<sup>2</sup> سورة القمر، الآيات: 9-16

<sup>3</sup> البداية والنهاية، لابن كثير (ت: 774هـ)، 1/127

<sup>4</sup> سورة هود، الآية: 44

ذا أمواج، خفيت من تحته الأرض بجبالها، وخفيت من فوقه السماء بشمسها وكواكبها... فتخيل أنك ناظر إليها كما صورها لك التريل، تتفكر في أمر ما يؤول إليه أمر هذا الخطب الجليل، واستمع لما بينه به الذكر الحكيم، أوجز عبارة، وأبلغها تأثيراً، جعلت أعظم ما في العالم كأن لم يكن شيئاً مذكوراً<sup>1</sup>.

وهكذا انتهى أمر الذين حادوا الله ورسوله من قوم نوح، وأبوا التوبة والعودة إلى الله تعالى في مدة قصيرة، فجعلهم الله عبرة لمن بعدهم، فهل من معتبر؟

### المصلب الثاني: منهج إبراهيم عليه السلام في التغيير العقدي

لما ظهر في قوم إبراهيم عباد الأصنام والكواكب، بعث الله تعالى فيهم إبراهيم الخليل عليه السلام، فأعلن فيهم الدعوة إلى التوحيد، وجادل وناقش بالحجة والبرهان، دون خوف أو مبالاة، وهو وحيد لا يجد أحداً غير الله ينصره أو يشد أزره، بل إن أقرب الناس إليه وهو والده حارب دعوته ووقف له بالمرصاد، لكنه عليه السلام شق طريقه ماضياً في دعوته، وأعلنها في الناس متحدياً كل من تصدى له أو حاربه قائلاً: {إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} <sup>2</sup>.

ضرب إبراهيم عليه السلام أروع مثال في التوفيق بين قوة الحجة والإقناع، وأدب الحوار مع قومه عموماً، ومع والده بوجه خاص، قال الله تعالى: {وَإِذْ كُذِّبَ إِبْرَاهِيمَ ﴿٤٠﴾ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَأْتِ بِتِلْكَ تَعْبُدُ مَا لَا

<sup>1</sup> تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (ت: 1354هـ)، 79/12 — 80

<sup>2</sup> سورة الأنعام، الآية: 80

يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٦﴾ يَتَأْتٍ إِنْ فِدَ جَاءَنِي مِّنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٧﴾ يَتَأْتٍ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٨﴾ يَتَأْتٍ إِنْ أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا<sup>1</sup>.

هذه الآيات تصور لنا أسلوب الداعية المخلص، الخبير بمهمة التوجيه والتعليم، الداعي إلى التغيير بالعلم والحلم، فكان يحذر في لطف وينذر في شفقة ولين، يقدر منزلة الأبوة ومكانتها رغم الاختلاف العقدي<sup>2</sup>، فيعطيها ما تستحق من الأدب والاحترام، ومع ذلك تحول أبوه آزر إلى نار تتأجج، وجحيم تسعر، فكان خطاب الوالد هنا تجاه ولده خطاب تسلط وعناد وتهديد، كما حكى القرآن ذلك، قال الله تعالى: {أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ -الِهَتِي يَتَابِرَاهِيمُ لَيْسَ لَّمْ تَنْتَه لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا<sup>3</sup>}، لكن إبراهيم عليه السلام لم يقابل الشدة بمثلهما، بل واجهها باللين والكرم والشفقة، فقال لوالده: {سَلِّمْ عَلَيَّكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا<sup>4</sup>}، فاستغفر له طمعا في إيمانه، ووفاء بوعده إياه، فلما ظهر له عناده وإصراره على عبادة الأصنام، وعداوته المستمرة لدين الله تعالى تبرأ منه، قال الله تعالى: {وَمَا كَانَ إِسْتِغْفَارُ

<sup>1</sup> سورة مريم، الآيات: 40-45

<sup>2</sup> عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما، قالت: "قدمت علي أمي وهي مشركة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: — وهي راغبة — أفأصل أمي؟ قال: نعم صلي أمك". صحيح البخاري، كتاب المكاتب، باب الهدية للمشركين، رقم الحديث: 2620

<sup>3</sup> سورة مريم، الآية: 46

<sup>4</sup> سورة مريم، الآية: 47

إِبْرَاهِيمَ لَا بِيَهُ إِلَّا عَسَ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ  
إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ<sup>1</sup>.

أما منهجه في دعوة قومه، فإنه منهج واضح لا تعقيد فيه ولا غموض، قال الله تعالى: {وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} ﴿١٣١﴾ ﴿ثُمَّ﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ إِلَهُم مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلَعُ أَلْمِيسِ<sup>2</sup>، دعوة بسيطة واضحة، رتبت ترتيباً محكماً تجمع بين مخاطبة العقول بالحجج والبراهين المنطقية، ومخاطبة الوجدان بالنصح والموعظة الحسنة، بدأ ببيان حقيقة الدعوة التي يدعو إليها: {اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ}، ثم ثنى بتحييب هذه الحقيقة للمدعوين، {تَعْلَمُونَ كُنْتُمْ إِن لَّكُمْ خَيْرٌ ذَلِكُمْ}، مبيناً لهم فساد ما هم عليه من العقيدة من جوانب عدة، منها:

أ- أنهم يعبدون من دون الله أوثاناً، وهي عبادة سخيفة.

ب- أن عبادتهم هذه لا تستند إلى حجة أو دليل، وإنما هو اختلاق وإفك من عند أنفسهم بلا أصل ولا قاعدة.

ج- أن هذه المعبودات لا تجلب لهم نفعاً، ولا تدفع عنهم ضراً، قال تعالى: {إِنَّ

الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا}.

<sup>1</sup> سورة التوبة، الآية: 115

<sup>2</sup> سورة العنكبوت، الآيات: 15-17

د ——— توجيههم إلى الله لطلب الرزق منه، وإخلاص العبادة له، وتحقيق الشكر له على نعمه، كما ذكرهم بحتمية وقوفهم بين يدي الله، فخير لهم أن يتوبوا إليه، قال تعالى: {قَابَتْنُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ}، إذ الرزق مشغلة النفوس، خاصة تلك التي تتعلق بالأسباب وتغفل عن مسببها.

هـ — أن كذبهم لن يضر الله شيئا، وأن واجب الرسل إنما هو تبليغ رسالة الله إلى العباد، {وَإِنْ تُكَذِّبُوا فَقَدْ كَذَّبَ إِلَهُكُم مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَن يَبْلُغَ الْمُسْلِمِينَ}، بهذا المنهج المثالي في الدعوة إلى التغيير دعا إبراهيم عليه السلام قومه، فحينما لم ير منهم قبولا لدعوته أو سماعا لنداءاته أخذته الغيرة لدين الله تعالى ونصرته فقال: {مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ} <sup>1</sup>، {أَيُّفَكَاءَ إِلَهَةٍ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ} <sup>2</sup>، بل توعدهم بتحطيم أصنامهم في غيابهم، {وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ} <sup>3</sup>.

وكان لهم عيد يخرجون فيه كل عام بعيدا عن العمران، وسألوا إبراهيم أن يشاركهم في احتفالهم هذا، لكنه رفض مشاركتهم واعتذر بقوله: {إِنِّي سَقِيمٌ} <sup>4</sup>، ولما خرجوا وغادروا المساكن والعمران، عمد إبراهيم عليه السلام إلى معبوداتهم، فوجد أمامها أنواعا من الأطعمة والأشربة، فقال متهكما بهذا الفعل السخيف: {أَلَا

<sup>1</sup> سورة الأنبياء، الآية: 52

<sup>2</sup> سورة الصافات، الآية: 86

<sup>3</sup> سورة الأنبياء، الآية: 57

<sup>4</sup> سورة الصافات، الآية: 89

تَاكُلُونَ ﴿٩٠﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِفُونَ<sup>1</sup>، ثم أخذ يحطمها، فترك كبير الأصنام ليقيم به على قومه الحجة، لعلهم يفيقون من غفلتهم، ويتراجعون عن غيهم {بَجَعَلَهُمْ جَذَازًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ}<sup>2</sup>.

فلما انتهى القوم من احتفالهم وعادوا إلى أصنامهم، فوجئوا بما حدث، فقال بعضهم لبعض: {مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٩١﴾} فَأَلَوْا سَمِعْنَا قَتَّى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ: إِبْرَاهِيمُ ﴿٩٢﴾} فَأَلَوْا قَاتُوا بِهِ عَلَى أَغْيَسِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٩٣﴾} فَأَلَوْا ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٩٤﴾} قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ: إِنْ كَانُوا يَنْطِفُونَ ﴿٩٥﴾} فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا: إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩٦﴾} ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِفُونَ<sup>3</sup>. فكان من المفروض أن يعودوا إلى رشدهم عند هذا الحدث، ويوقنوا بسخافة فعلهم، لكنهم استمروا في غيهم وجدالهم، وقالوا لإبراهيم: {لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِفُونَ}، فرد عليهم إبراهيم عليه السلام مستنكرا فعلهم متبرئا منهم ومن عبادتهم: {أَبْتَعِبْدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ} ﴿٩٧﴾ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَقْبَلًا تَعْفَلُونَ<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> سورة الصافات، الآيتان: 91-92

<sup>2</sup> سورة الأنبياء، الآية: 58

<sup>3</sup> سورة الأنبياء، الآية: 59 - 65

<sup>4</sup> سورة الأنبياء، الآية: 66

ولما بهت القوم وفقدوا كل حجة، وأتى إبراهيم عليه السلام على شبههم فأبطلها عن آخرها، عدلوا عن المناظرة والجدل، فاستبدلوا بها العنف والقوة، لنصر ما هم عليه من باطل الشرك وفساد الاعتقاد وانحراف الفكر، قال تعالى: {قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ بِعِلِيلِينَ} <sup>1</sup>، فألقوه في نار مستعرة نصره لباطلهم وانتقاما منه عليه السلام ومن دعوته، ولكن الله عز وجل صرف عنه كيدهم، وجعل النار عليه بردا وسلاما، قال تعالى: {قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ} <sup>2</sup> وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ} <sup>2</sup>.

### مناظرة:

ولما سمع الطاغية نمروود <sup>3</sup> بنجاة خليل الله إبراهيم عليه السلام، فخاف على منصبه، دعاه ليفاوضه في شأن صنمه الذي يعبد، ويدعو الناس إلى عبادته، فأجابه إبراهيم عليه السلام بأن ربه هو الذي يحيي ويميت سبحانه، فأجاب النمروود مدعيا أنه أيضا يحيي ويميت، وقد ذكر ابن إسحاق والسدي وغيرهما: أنه كان يؤتى بالرجلين قد تحتم قتلهما، فيأمر بقتل أحدهما فيقتل، ويعفو عن الآخر فلا يقتل، فذلك معنى الإحياء والإماتة في نظره <sup>4</sup>.

وقال ابن كثير: "والظاهر - والله أعلم - أنه ما أراد هذا، لأنه ليس جوابا لما قال إبراهيم ولا في معناه، لأنه غير مانع لوجود الصانع، وإنما أراد أن يدعي لنفسه هذا المقام

<sup>1</sup> سورة الأنبياء، الآية: 67

<sup>2</sup> سورة الأنبياء، الآيتان: 68 - 69

<sup>3</sup> هو ملك بابل نمروود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، ويقال: نمروود بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح.

انتهى من تفسير ابن كثير، 686/1

<sup>4</sup> تفسير ابن كثير، 686/1



عنادا ومكابرة، ويوهم أنه الفاعل لذلك، وأنه هو الذي يحيي ويميت، كما اقتدى به  
فرعون في قوله: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي} <sup>1</sup>2.

ثم انتقل به إبراهيم عليه السلام إلى حجة أجدى وأروع، وأشد إفحاما، فقال له:  
{فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ} <sup>3</sup>، فعندها أخرس الظالم  
وسقط في يده وأصبح مبهورا عاجزا عن النطق ببنت شفة، وقد أفصح البيان الإلهي  
بتلخيص هذه المناظرة في غاية من الإيجاز والإعجاز، فقال سبحانه: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ  
حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَيْنَاهُ اللَّهَ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِينَ يُحْيِ  
وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ  
فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ} <sup>4</sup>،  
وذكر ابن كثير أن هلاكه كان بسبب مخلوق ضعيف، فعن زيد بن أسلم قال: "دخلت  
بعوضة واحدة في منخر النمرود، وأخذ يعذبه الله بها مدة طويلة، حتى كان يضرب  
رأسه بالمرزاب، حتى أهلكه الله بها" <sup>5</sup>، هكذا يقطع الله دابر الظلمة بما شاء وكيف شاء.  
**انتقال إبراهيم عليه السلام من أرض بابل إلى منصقة حران حيث عبادة الكواكب**

<sup>1</sup> سورة القصص، الآية: 38

<sup>2</sup> تفسير ابن كثير، 686/1

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية: 257

<sup>4</sup> سورة البقرة، الآية: 257

<sup>5</sup> تفسير ابن كثير، 687/1

ولما انتقل عليه السلام إلى حران، وكله أمل أن يجد بها قلوباً تتفتح وتشرئب إلى نور الوحي وهداه، لكنه وجد أهلها أكثر جهلاً وأشد ظلاماً، فقد عبدوا وأهلوا الشمس والقمر والنجوم، فأخذ عليه السلام يجادلهم بالحجة والدليل، فخطب فيهم العقل والمنطق، لعلهم يفيقون من سباتهم، ويعبدون الإله الحق خالقهم وخالق تلك الكواكب، فسلكت معهم عليه السلام طريق التدرج إلى معرفة الخالق سبحانه.

قال الله تعالى: {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ إِلَّا فِيلِينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا الْفَمَرَ بَارِغًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ ثُمَّ يَهْدِينِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٨﴾ فَلَمَّا رَءَا الشَّمْسَ بَارِغَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَفْقَهُمْ إِنَّنِي بَرِّئٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٩﴾ إِنَّنِي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلدِّينِ وَقَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٨٠﴾} (نصف) وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدِيْتُ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨١﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا ءَاتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ} <sup>1</sup>. هكذا أعلن لهم عليه السلام خيبة أمله في هذه الكواكب كلها، وأنها لا

<sup>1</sup> سورة الأنعام، الآيات: 76-84

تستحق أن تعبد، وأن بها من الأعراض ما يستدل به العاقل على أنها لا يمكن أن تكون آلهة بحق، فهي تظهر من هنا وتغيب من هنا، فصفة الأفول والغياب من صفات المخلوقين، وإلا فمن يرعى الكون ومن يسيره عند الغياب والأفول؟ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، فلا بد إذا من إله خالق الكل، وهو الله سبحانه وتعالى، هو الذي يجب التوجه إليه، وصرف العبادة له.

## الولد الصالح عون على الدعوة إلى التغيير (إسماعيل عليه السلام نموذجاً)

قال الله تعالى: {إِلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ}<sup>1</sup>، فمن الثابت أن إبراهيم عليه السلام قد انتقل بزوجه هاجر المصرية وابنه منها إسماعيل - وكان آنذاك رضيعاً - إلى مكة، فيها نشأ إسماعيل وترعرع، وهو أول من تكلم بالعربية الفصيحة، تعلمها من العرب العاربة الذين نزلوا بمكة، من جرهم والعماليق، وأهل اليمن<sup>2</sup>، وقد أثنى الله عز وجل على نبيه إسماعيل، ووصفه بالصبر والحلم وصدق الوعد، والمحافظة على الصلاة والزكاة، وأنه كان أماراً لأهله بها، إضافة إلى الدعوة إلى توحيد الله وعبادته وحده<sup>3</sup>، قال تعالى: {وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ}<sup>4</sup>، وقال تعالى: {فَبَشِّرْنَاهُ} أي: إبراهيم {بِغُلَامٍ حَلِيمٍ}<sup>5</sup>، وقال تعالى: {وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٨٥﴾

<sup>1</sup> سورة إبراهيم، الآية: 41

<sup>2</sup> ينظر فيض القدير، محمد زين الدين المناوي، (ت1031هـ)، 92/3

<sup>3</sup> صحيح قصص الأنبياء، لابن كثير 186/1 — 187

<sup>4</sup> سورة الأنبياء، الآيتان: 84-85

<sup>5</sup> سورة الصافات، الآية: 101

وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا<sup>1</sup>، وقال تعالى: {وَاذْكُرِ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ الْأَخْيَارِ}<sup>2</sup>، فلما اشتد عوده عليه السلام، وبلغ سنا يقدر معها على السعي، رأى والده إبراهيم في المنام أن الله يأمره بذبحه، وكان وحيداً آنذاك، فعرض إبراهيم ما رأى على ولده إسماعيل يختبر إيمانه، عسى أن يكون ذلك أطيب لقلبه، وأهون عليه من أن يذبحه قهراً، فكان جواب إسماعيل جواب استسلام مادام الأمر من الله عز وجل، وأنه سيجده إن شاء الله من الصابرين الراضين بحكم الله وقضائه، فلما استسلما لقضاء الله، وعزما على تنفيذ أمره، وحصل المقصود من الاختبار والابتلاء، فداه الله بكبش عظيم، قال الله تعالى: {قَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهِ لِلْجَبِينِ ﴿١٣﴾ وَنَدَيْنَاهُ أَنْ يَتْلُ بِرَاهِيمَ ﴿١٤﴾ فَذْ صَدَفْتَ الرُّءْيَا إِنَّا كَذَّاكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ<sup>3</sup> }.

هذا وقد عهد الله إليهما بتطهير البيت من الدنس الحسي كالقاذورات، والمعنوي كعبادة الأصنام، للطائفين حوله والمعتكفين فيه للعبادة، والراكعين الساجدين لله تعالى، قال الله تعالى: {وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ<sup>4</sup> } وقال تعالى: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٦﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ

<sup>1</sup> سورة مريم، الآيتان: 54-55

<sup>2</sup> سورة ص، الآية: 47

<sup>3</sup> سورة الصافات، الآيات: 102-107

<sup>4</sup> سورة البقرة، الآية: 124

أَنْتَ أَتَوَّابُ الرَّحِيمِ ﴿١٢٦﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {<sup>1</sup> .

وقد وافقت هذه الدعوة المستجابة قدر الله السابق، في بعث محمد صلى الله عليه وسلم رسولا في الأميين، وسائر الأعجمين، من الإنس والجن، فقد روى الإمام أحمد عن العرباض بن سارية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك، دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأيت، وكذلك أمهات النبيين ترين"<sup>2</sup>. والمقصود أن أول من نوه بذكره في الناس هو إبراهيم عليه السلام، ولم يزل ذكره صلى الله عليه وسلم مشهورا حتى أفصح باسمه آخر أنبياء بني إسرائيل: عيسى عليه السلام، قال الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَلْبَسْ إِسْرَءِيلَ إِنَّنِي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي إِسْمُهُ أَحْمَدُ} <sup>3</sup>.

### المصلب الثالث: منهج يوسف عليه السلام في التغيير العقدي والفكري

غاض يوسف عليه السلام ما شاهده من انحراف شنيع عن عقيدة التوحيد، فقد كان الشرك في زمنه عليه السلام سائدا في مصر، ويذكر أنه كان لكل مدينة في مصر يومئذ معبود<sup>4</sup>، وكان يوسف عليه السلام يتحين الفرص لتغيير ما عليه قومه من الشرك إلى التوحيد، فلم يشغله أن سجن مظلوما عن القيام بدوره الدعوي، فخطب صاحبيه في

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآيات: 126 - 128

<sup>2</sup> مسند أحمد، (ت: 241هـ) مسند العرباض بن سارية، رقم الحديث: 17150

<sup>3</sup> سورة الصف، الآية: 6

<sup>4</sup> مقارنة الأديان، لأبي زهرة (ت: 1394هـ)، ص: 7

السجن قائلا: {ءآزَبَابٌ مُّتَّبِعُونَ خَيْرٌ أَمْ إِلَهُ الْوَاحِدُ الْفَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مِمَّا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ إِلَهُكُمْ إِلَّا لِلَّهِ أَمْرٌ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} <sup>1</sup>.

يقول سيد قطب: "لقد رسم يوسف عليه السلام بهذه الكلمات القليلة الناصعة الحاسمة المنيرة، كل معالم هذا الدين، وكل مقومات هذه العقيدة، كما هز بها كل قوائم الشرك هذا شديدا عنيفا {يَلْصَحِبِي السَّجْنِ} ءآزَبَابٌ مُّتَّبِعُونَ خَيْرٌ أَمْ إِلَهُ الْوَاحِدُ الْفَهَّارُ} <sup>2</sup>.

إنه يتخذ منهما صاحبين، ويتحجب إليهما بهذه الصفة المؤنسة، ليدخل من هذا المدخل إلى صلب الدعوة، وجسم العقيدة، وهو لا يدعوها إليها دعوة مباشرة، إنما يعرضها قضية موضوعية: {ءآزَبَابٌ مُّتَّبِعُونَ خَيْرٌ أَمْ إِلَهُ الْوَاحِدُ الْفَهَّارُ؟}، وهو سؤال يهجم على الفطرة في أعماقها، ويهزها هذا شديدا.

إن الفطرة تعرف لها إلها واحدا، فقيم إذا تعدد الأرباب؟ إن الذي يستحق أن يكون ربا يعبد ويطاع أمره ويتبع شرعه، هو الله الواحد القهار، ومتى توحد الإله وتقرر سلطانه القاهر في الوجود، فيجب تبعا لذلك أن يتوحد الرب وسلطانه القاهر في حياة الناس، وما يجوز لحظة واحدة أن يعرف الناس أن الله واحد وأنه هو القاهر، ثم يدينوا لغيره ويخضعوا لأمره، ويتخذوا بذلك من دون الله ربا" <sup>3</sup>.

<sup>1</sup> سورة يوسف، الآيتان: 39-40

<sup>2</sup> سورة يوسف، الآية: 39

<sup>3</sup> في ظلال القرآن، لسيد قطب (ت: 1966م)، 723/4 — 724 بتصرف

هكذا عاش يوسف عليه السلام بين قومه الوثنيين يدعوهم إلى التوحيد، ويبلغهم رسالة ربه، ناصحا لله تعالى ما استطاع، غير أنه لم يتمكن من تحقيق كل ما يرجوه من دعوته، وظل أهل مصر في شك مما جاءهم به، كما قال مؤمن آل فرعون في قوله تعالى: {وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ} <sup>1</sup>.

### المصلب الرابع: منهج موسى عليه السلام في التغيير العقدي والفكري

لما تزايد عدد بني إسرائيل بمصر، وحكمهم فرعون الذي ادعى الألوهية، وحكمهم بالحديد والنار، وفرقهم شيعا وأحزابا، واستعملهم في أشق الأعمال لينهك قواهم، وكان يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم، فقال لهم: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْفِدْ لِي يَهَامَسُ عَلَى الطَّيْسِ فَاَجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطْلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ} <sup>2</sup>، فدعاه موسى وأخوه هارون عليهما السلام باللين والرفق إلى التوحيد، وترك التجبر والاستكبار في الأرض، قال تعالى: {قِفْؤَلَا لَهُ، فَوَلَا لِيِنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} <sup>3</sup>.

وقد وصف الله التوراة بأنه كتاب فيه هدى ونور، وأنه ضياء وذكر، وتمام على الذي أحسن، وتفصيل لكل شيء، وأمر بني إسرائيل أن يأخذوا بأحسنها، وقيموا

<sup>1</sup> سورة غافر، الآية: 34

<sup>2</sup> سورة القصص، الآية: 38

<sup>3</sup> سورة طه، الآية: 43

أحكامها، وأن لا يشتروا بها ثمنا قليلا، كما فهمهم عن تحريف كلمها عن مواضعه، وقد ذكر القرآن الكريم دعوة بني إسرائيل إلى التوحيد، فقال تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ} <sup>1</sup>. وقال تعالى: {وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَفِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَفْتُمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَءَامَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ} <sup>2</sup>، لكن فرعون استكبر وطغى، فاستخف قومه فأطاعوه، قال الله تعالى عنه: {وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَلُفُّونَ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ} <sup>3</sup> أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٦﴾ فَلَوْلَا أُلْفِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلٰٓئِكَةُ مُفْتَرِينَ ﴿٥٧﴾ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ، فَبَاطَا عَوُهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَٰسِفِينَ} <sup>3</sup>، وكان مصيره هو وأتباعه أن أغرقهم الله تعالى، وأنجى موسى وهارون، ومن آمن معهما من بني إسرائيل، فكانت آية وعظة للناس إلى يوم القيامة، قال تعالى: {وَجَوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ، بَغِيًّا وَعَدَّوْا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْفُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَءِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية: 82

<sup>2</sup> سورة المائدة، الآية: 13

<sup>3</sup> سورة الزخرف، الآيات: 50-54



﴿١﴾ ءَا۟لَٓ وَفَدُ عَصَايَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١١﴾ قَالِيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ عَنْ-آيَتِنَا لَغَافِلُونَ} <sup>1</sup>، وقال تعالى: {وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَّعَهُۥ أَجْمَعِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٢٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ءَلَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ} <sup>2</sup>، لم تزل رواسب الوثنية التي ألفها بنو إسرائيل مدة عهدهم في مصر تعاودهم من حين إلى آخر، رغم ما قام به موسى عليه السلام من دعوتهم إلى عبادة الله تعالى وحده، وما لقي في سبيل ذلك من المعاناة، وما آتاه الله من المعجزات الدالة على صدق نبوته وعظمة الله جلت قدرته، فإنهم لما جاوزوا البحر الذي أغرق الله به عدوهم فرعون، مروا على قوم عاكفين على أصنام لهم يعبدونها، فطلبوا من موسى عليه السلام أن يتخذ لهم صنما كما لأولئك الوثنيين أصنام، فعاتبهم موسى عليه السلام، ولاهمهم على جهلهم، مبينا لهم بطلان ما عليه القوم من صرف العبادة لغير الله، قال الله تعالى: {وَجَلَّوْنَا بَينَهُمُ الْبَحرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَمُوسَىٰ اجْعَلْ لَّنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٢٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَّبَرِّمًا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ قَالَ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَبْغِيكُمْ إِلَهاً وَهُوَ بِضَلَاكُمْ عَلَىٰ الْعَالَمِينَ} <sup>3</sup>، وقد فتنوا أيضا بما فعله السامري مستغلا غياب موسى عليه السلام لمناجاة ربه، حيث صنع لهم من الحلي جسدا على شكل

<sup>1</sup> سورة يونس، الآيات: 90-92

<sup>2</sup> سورة الشعراء، الآيات: 65-68

<sup>3</sup> سورة الأعراف، الآيات: 138-140

عجل له خوار وأمرهم بعبادته، فأجهد هارون عليه السلام نفسه في صرفهم عن عبادة العجل، لكن القوم طمعوا في حلمه ولين جانبه، فأصروا على عبادة العجل ما لم يرجع موسى، فأوحى الله إلى موسى بإضلال السامري لبني إسرائيل، فعاد عليه السلام غاضبا أسفا، فعاتب قومه على فعلتهم محذرا إياهم من غضب الله، كما أنكر على أخيه هارون عدم لحوقه به وإخباره بما حدث، مشددا النكير على السامري، وأن عاقبته في الحياة أن يقول: "لا مساس"، فكان يتألم من مس أي إنسان له، فإذا لقي أحدا واشتد خوفه من مسه إياه قال له: "لا مساس"، ثم أحرق موسى عليه السلام العجل وأذراه في البحر، وقد لخصت كل ذلك الآيات الثلاثة عشرة من سورة طه، التي تبتدئ بقول الله تعالى: {قَالَ فَإِنَّا فَدَقْتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ} <sup>1</sup>، وتنتهي بقوله تعالى: {لَنَحْرِقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا} <sup>2</sup>، عاد إليهم موسى عليه السلام معاتبا ومؤنبا، يغشاه الخوف من نزول غضب الله بسبب ما أحدث قومه، فذكرهم بوعد الله ووعيده، كما شدد النكير على أخيه هارون الذي علل موقفه بخوفه من تفريق بني إسرائيل، وتغيير المنكر بمنكر أعظم وأفظع، وهذا من فقه الداعية إلى التغيير ومن تمام اجتهاده.

## المصلب الخامس: منهج عيسى عليه السلام في التغيير العقدي والفكري

تتوالى الرسائل السماوية على بني إسرائيل لانتشالهم من الجهل والضلال وسيطرة المادة وطغيانها، فكان من تمردهم أن قابلوا تلك النعمة بالجحود والكفر بدل الشكر

<sup>1</sup> سورة طه، الآية: 83

<sup>2</sup> سورة طه، الآية: 95

والامتنان، فاستمروا على عبادة الأوثان، إلى ما قبل ظهور المسيح عليه السلام، فقد كانت لهم الآلهة المقدسة في الإغريق والرومان والفرس والشام ومصر وبابل وغيرها. يقول أحمد شلبي: "قبل ظهور المسيح، كانت هناك معابد كثيرة تقدر عددا كبيرا من الآلهة، فهناك مثلا آيلو الذي كان يقدسه الإغريق، وهيركوليس معبود الرومان، ومترا معبود الفرس، وأدونيس معبود السوريين، وأوزيريس وإيزيس وحورس معبودات المصريين، وبعل معبود البابليين، وسواهم كثيرون، وكانت هذه الآلهة تعتبر كلها من نسل الشمس...." <sup>1</sup>.

فبعث الله عبده ورسوله عيسى بن مريم عليه السلام إليهم، ليصحح لهم ما دخل على شريعتهم من تحريف وتبديل، ويبلغهم ما أنزل الله عليه من شريعة جديدة، وما جاءت به من تحليل بعض ما حرم عليهم في شريعة موسى عليه السلام بسبب عدوانهم وتشددهم، قال الله تعالى: {وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي هُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا} <sup>2</sup>، فدعا إلى عبادة الله تعالى وتوحيده، قال تعالى: {وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنَیْ إِسْرَآئِیلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِّنْ أَنْصَارٍ} <sup>3</sup>.

وقال تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا} <sup>4</sup> إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي

<sup>1</sup> المسيحية، لأحمد شلبي (ت: 2000م)، ص: 180

<sup>2</sup> سورة آل عمران، الآية: 49

<sup>3</sup> سورة المائدة، الآية: 72

وَرَبُّكُمْ بِاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ  
لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمٍ أَلِيمٍ<sup>1</sup>.

هكذا أخذ عليه السلام يقارعهم الحجة، معلنا عبادته لله ولم يصدر منه ولو مرة أنه  
إله، أو ابن إله، أو ثالث ثلاثة، ولم يشر إلى أي صله بربه، غير صلة العبودية الخالصة لله  
رب العالمين. قال الله تعالى: {قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَيْنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٦٥﴾  
وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٦٦﴾  
وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْ لِي جَبَّارًا شَفِيًّا ﴿٦٧﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ  
وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٦٨﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٩﴾ مَا  
كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَنَهُ إِذَا فَضَّلَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ  
فَيَكُونُ ﴿٧٠﴾ وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ بِاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ<sup>2</sup>. فلقسوة  
قلوب اليهود أعرضوا عن رسالته، وطفقوا يصدون الناس عن سماع دعوته، فحرضوا  
الرومان عليه، وأوهموهم أن في دعوة عيسى زوالاً لملك قيصر، فأصدر الحاكم الروماني  
الأمر بالقبض عليه، والحكم بإعدامه صليبا<sup>3</sup>، لكن عصمة الله تعالى كانت إلى جانبه؛ إذ  
رفعه إليه وألقى الشبه على غيره، كما قال تعالى: {وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى  
ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴿٧١﴾ ثُمَّ قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ

<sup>1</sup> سورة الزخرف، الآية: 63-65

<sup>2</sup> سورة مريم، الآيات: 29-35

<sup>3</sup> قصص الأنبياء، للنجار (ت: 1941م، ص: 504، ومع الأنبياء في القرآن الكريم لعفيف طيارة (ت: غشت 2022م)، ص:

اٰخْتَلَفُوْا فِيْهِ لِمِ شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ اِلَّا اِتِّبَاعَ الْظُّلُمِ وَمَا قَتَلُوْهُ يَفِيْنًا  
﴿١٥٦﴾ بَلْ رَّبَّعَهُ اللّٰهُ اِلَيْهِ وَكَانَ اللّٰهُ عَزِيْزًا حَكِيْمًا<sup>1</sup>.

وقال تعالى: { اِذْ قَالَ اللّٰهُ يٰعِيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ مَتَوَقَّيْكَ وَرَاٰعُكَ اِلٰى وَمُطَهِّرُكَ مِّنَ  
الَّذِيْنَ كَفَرُوْا }<sup>2</sup>، هكذا كانت الفئات المناهضة للتغيير في كل زمان محاربة لدعاة  
التغيير ولرسالتهم.

## المبحث الثالث: معالم التغيير في منهج خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم

كان العالم قبل نزول القرآن الكريم تائها حائرا، يحيط به ظلام مطبق من كل ناحية،  
فكان النفوس ترتقب شمس التغيير من الظلم إلى العدل، ومن الخذلان إلى الإنصاف،  
ومن الاضطراب إلى الثبات على الصراط المستقيم، وقد مزقتهم الحروب الطاحنة  
وأهكتهم الضغائن والعداوات على أتفه الأسباب، بينما هم كذلك، إذا بشمس محمد  
بن عبد الله صلى الله عليه وسلم تشرق حاملة الهداية والنور للعالم المضطرب، ومعه  
القرآن المجيد: خطاب الله تعالى إلى الناس كافة، على اختلاف نحلهم ولغاتهم وألوانهم،  
فمنهم المنكر لوجود الله تعالى، ومنهم المثبت، غير أن الطريق قد التوى بهم فعبدوا مع  
الله آلهة أخرى، فأمام هذه المتناقضات وقف القرآن المجيد مخاطبا كلا بالأسلوب  
المناسب، وبالحجة الملائمة له، فحذف بالحق على الباطل فدمغه فإذا هو زاهق.

ولم يسلك القرآن الكريم — في الدعوة إلى التغيير من الشرك إلى الإسلام، ومن  
العقائد الفاسدة إلى العقيدة الصحيحة، — مسلك الجدل العقيم، أو مواجهتهم

<sup>1</sup> سورة النساء، الآيتان: 156-157

<sup>2</sup> سورة آل عمران، الآية: 54

بحجج يستعصي على العقول فهمها، ولكن خاطبهم بخطاب بين سهل يفهمه الأعرابي البدوي، كما يستوعبه أهل الحضارة والثقافة، ويتذوقه من عاصر الوحي إبان نزوله، ومن بعدهم من العالمين إلى يوم القيامة، فجاءهم بما لا يدع لديهم المجال للشك في صدق نبوته صلى الله عليه وسلم.

## المصلب الأول: كيف أثبت القرآن البصيص صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم؟

ومن أوضح الأدلة والبراهين التي أقامها القرآن المجيد على الناس عامة ما أثبت به صدق النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته، وأنه مرسل من ربه تبارك وتعالى ثبوتاً لا يحتمل الشك، من هذه البراهين والأدلة:

### 1 - شهادة الله له بصدق رسالته

قال الله تعالى: {فَلْ أَى شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً فُلِ اللَّهِ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْفُرْقَانُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً آخَرَى فُلْ لَا أَشْهَدُ فُلِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ} <sup>1</sup>، في هذه الآية يأمر الله تعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين: أي شيء أعظم شهادة من شهادة الله لي بصدق دعوتي لكم للإيمان بنبوتي؟ فإن استجابوا، وإلا فقل لهم: الله يشهد لي بصدق ما أدعو إليه، وكفى بشهادة الله لي.

<sup>1</sup> سورة الأنعام، الآية: 20

## 2- شهادة الكتب السماوية السابقة له

وصفته الكتب السماوية السابقة بصفاته الكاملة، وكان أهل الكتاب يجدون ذلك في التوراة والإنجيل قال الله تعالى: {الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيفًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} <sup>1</sup>.

وقال تعالى: {وَرَحِمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِعَايَتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّءَ الْأُمِّيِّ الَّذِينَ يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ} <sup>2</sup>.

وقال تعالى: {أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ ءَايَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ، عُلَمَاؤُا بَنِي إِسْرَءِيلَ} <sup>3</sup>.

وشمائله صلى الله عليه وسلم وصفاته الجميلة لم تزل موجودة في كتب أهل الكتاب: (العهد القديم، والعهد الجديد)، رغم ما أصابها من التبديل والتحريف <sup>4</sup>.

## المصلب الثاني: شهادة اليهود والنصارى بمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة

كان اليهود يستفتحون بمحمد صلى الله عليه وسلم وبعثته على مشركي العرب قبل البعثة، كما قال الله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية: 145

<sup>2</sup> سورة الأعراف، الآيات: 156-157

<sup>3</sup> سورة الشعراء، الآية: 197

<sup>4</sup> انظر في هذا إظهار الحق لرحمة الله الهندي (ت: 1308هـ)، 271/2 وما بعدها. والأجوبة الفاخرة لشهاب الدين القرافي (ت: 684هـ)، ص: 177 وما بعدها

وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا  
كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ<sup>1</sup>.

ففي سيرة ابن إسحاق، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن اليهود كانوا يستفتحون  
على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه، فلما بعثه الله من  
العرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل، وبشر بن  
البراء بن معرور: يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد  
ونحن أهل شرك، وتخبروننا أنه مبعوث، وتصفونه لنا بصفته، فقال سلام بن مشكم أحد  
بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكره لكم، فأنزل الله في ذلك  
من قوله: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ  
يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا}، ردا عليهم، وإظهارا لحسدتهم، وانتصارا لنبيه صلى الله  
عليه وسلم.

وكان النصارى ينتظرون بعثته صلى الله عليه وسلم، فقد أخبرنا القرآن الكريم أن  
عيسى عليه السلام قد بشر بني إسرائيل ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم باسمه في  
قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنَّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ  
مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي إِسْمُهُ أَحْمَدٌ  
فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ<sup>2</sup>، وأحمد أحد أسمائه صلى الله عليه  
وسلم، روى البخاري ومسلم عن جبير بن مطعم عن أبيه قال: سمعت رسول الله صلى

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية: 88

<sup>2</sup> سورة الصف، الآية: 6



الله عليه وسلم يقول: "إن لي أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب"<sup>1</sup>، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه -وهو التعبد- الليالي ذوات العدد ... إلى أن قالت: فأتت به خديجة ورقة بن نوفل، وكان قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل ما شاء الله أن يكتب، فقالت: اسمع من ابن أخيك، فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم خبر ما رأى، فقال ورقة: هذا هو الناموس الذي نزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعا، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أو مخرجي هم؟ قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي"<sup>2</sup>.

ومن ذلك حديث أبي سفيان، عندما استدعاه هرقل في بلاد الشام، قال هرقل في آخر حديثه: "وقد كنت أعلم أنه خارج (نبي)، ولم أكن أظنه منكم، ولو أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه، وليلغن ملكه ما تحت

---

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: 3532، وكتاب التفسير، باب قوله تعالى: {يأتي من بعدي اسمه أحمد}، رقم الحديث: 4896، وصحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب في أسمائه صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث: 2354.

<sup>2</sup> صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، الحديث رقم 2. وكتاب التفسير، باب {ما ودعك ربك وما قلى} سورة الضحى، الحديث رقم: 4953. وكتاب التعبير، باب أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة، الحديث رقم: 6982.

قدمي"<sup>1</sup>، هكذا أفصح البيان الإلهي عن موقف اليهود والنصارى من رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وبين كيف كانوا يكفرون بما استيقنته أنفسهم ظلما وعلوا، ومكابرة وعتوا.

## المصلب الثالث: مشركوا العرب بين مصاربة التغيير والشهادة بالصدق والأمانة

تعتبر حياة النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعدها صحيفة بيضاء بشهادة التاريخ، ومما حفظه لنا التاريخ اشتهاره صلى الله عليه وسلم بالصدق والأمانة، حتى إنهم كانوا يدعونه الصادق الأمين<sup>2</sup>، ويستأمنونه على أماناتهم لما علموا من صدقه وأمانته<sup>3</sup>، ويعد ذلك إجماعا منهم فيه صلى الله عليه وسلم، يشهد لذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: "لما نزلت: {وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}<sup>4</sup>، صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا، فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي، لبطون قريش حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو؟ فجاء أبو لهب وقريش فقال: رأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا، قال: إني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب: تبأ لك سائر اليوم، ألهذا جمعتمنا؟ فترل قوله تعالى: {تَبَّتْ يَدَا

<sup>1</sup> المصدر نفسه، كتاب التفسير، باب {قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله}، الحديث رقم:

4553. و مسلم، كتاب الجهاد، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، الحديث رقم: 74

<sup>2</sup> تنظر قصة الحجر الأسود في سيرة ابن هشام (ت: 218هـ)، 197/1، وأسمائه صلى الله عليه وسلم في الخصائص الكبرى للسيوطي (ت: 911هـ)، 193/1.

<sup>3</sup> انظر قصة تخلف علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن الهجرة في مكة من أجل تأدية الودائع التي كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس، في تاريخ الطبري (ت: 310هـ)، 378/2

<sup>4</sup> سورة الشعراء، الآية: 213

أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ، وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾<sup>1</sup>، فقولهم: "ما جربنا عليك إلا صدقا"، دليل على أنهم لم يستطيعوا أن يحفظوا عنه ولو كذبة واحدة قبل أن يدعوهم إلى التوحيد ونبذ ما هم عليه من الشرك، وإلا لذكروها له، فقد كانوا أحرص على رد رسالته.

وهذا أبو سفيان يشهد قبل أن يسلم بين يدي هرقل بصدقه صلى الله عليه وسلم، قال هرقل: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان: لا<sup>3</sup>. وقال أمية بن خلف هو وزوجته: "فوالله ما يكذب محمد إذا حدث"<sup>4</sup>. كل منهما قالها وشهد بها، مع شدة عداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصدق شهادة أن يشهد لك العدو المحارب لك.

### المصلب الرابع: الإعجاز البياني في الرسالة الخاتمة

الإعجاز في اللغة معناه الفوت، يقال: أعجزني فلان، بمعنى فاتني أو سبقني، ويقال: أعجزني فلان، أي: عجزت عن طلبه وإدراكه<sup>5</sup>. ونقيضه: القدرة، قال تعالى: {أَعْجَزْتَ أَنْ آكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ} <sup>6</sup>.

والمعجزة: الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحدي السالم عن المعارضة<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> سورة المسد، الآية: 1 — 2

<sup>2</sup> صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب ذكر شرار الموتى، الحديث رقم: 1394

<sup>3</sup> صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ الحديث رقم 6

<sup>4</sup> صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، الحديث رقم: 3632

<sup>5</sup> لسان العرب، لابن منظور (ت: 711هـ)، 370/5، مادة (ع ج ز)

<sup>6</sup> سورة المائدة، الآية: 33

<sup>7</sup> ينظر الإتيان في علوم القرآن، للسيوطي (ت: 911هـ)، 3/4

وهو هنا: إظهار صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في رسالته بإظهار عجز الناس جميعاً عن معارضة معجزته الخالدة: القرآن الكريم، وعبر الأجيال على اختلاف ثقافتهم ومستوياتهم العلمية إلى قيام الساعة.

فقد حاج القرآن المجيد العقل البشري وتحداه بعلومه وأسلوبه وبلاغته، وحديثه عما مضى وما يأتي، بخلاف معجزات الأنبياء والرسل السابقين عليهم الصلاة والسلام، فهي معجزات محسوسة، تكون مشاهدة، ومن جنس ما اشتهر به كل قوم .

وفي الحديث: "ما من الأنبياء إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة"<sup>1</sup>.

فالرسول صلى الله عليه وسلم بعث في أناس بلغوا في البيان العربي أوجه، وتفننوا في الفصاحة والبلاغة بأبلغ الأساليب، وأرقى العبارات.

فجاءهم النبي صلى الله عليه وسلم في هذا القرآن بكلام معجز وتوجيهات حية خالدة، إن على مستوى المبادئ والأخلاق، أو العقائد والعبادات، أو مناقشة الجاحدين لرسالته، وإقامة الحجة على بطلان ما هم عليه بالحجة والبرهان، مع أنه صلى الله عليه وسلم أُمي لا يقرأ ولا يكتب، ولم يتمدرس على أحد، ولا تلقى شيئاً من العلوم، ولا استطاعوا أن يثبتوا أنه اتصل بأحد من علماء أهل الكتاب ليتعلم منه شيئاً عن أخبار الأنبياء والمرسلين.

فرغم جحودهم لرسالته صلى الله عليه وسلم، فإنهم ما استطاعوا نبز القرآن الكريم بالركاكة، ولا استطاعوا في الوقت نفسه الإتيان بمثله، وهكذا تحداهم على مراحل ثلاث:

<sup>1</sup> صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل، رقم الحديث: 4981

\_\_\_\_\_ المرحلة الأولى: طالبهم أن يأتوا بمثله فما قدروا، قال الله تعالى: {فَلْيَأْتُوا

بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ} إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ<sup>1</sup>، وقال سبحانه: {فَلْ يَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ  
اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}<sup>2</sup>.

لقد طلب منهم أن يأتوا بكتاب كامل غير هذا الكتاب الكريم، فإذا لم يستجيبوا  
لدعوته، دل ذلك على أنهم متعنتون، يعبدون الهوى، ويسرون على غير الهدى.

\_\_\_\_\_ المرحلة الثانية: تحداهم أن يأتوا بعشر سور مثله مفتريات، قال تعالى: {فَلْ

يَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتِطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّمَا يَسْتَجِيبُ لَكُمْ فَاَعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لَا إِلَهَ إِلَّا  
هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ}<sup>3</sup>.

\_\_\_\_\_ المرحلة الثالثة: طالبهم بالإتيان بسورة واحدة قال تعالى: {أَمْ يَقُولُونَ

إِفْتَرَاهُ قُلْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتِطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ}<sup>4</sup>.

ويتكرر التحدي في أعلى صورته حيث رافقه إخبارهم مسبقاً بأنهم لم ولن يقدرُوا،  
وذلك في قوله تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ

<sup>1</sup> سورة الطور، الآية: 32

<sup>2</sup> سورة القصص، الآية: 49

<sup>3</sup> سورة هود، الآيتان: 13 \_\_\_\_\_ 14

<sup>4</sup> سورة يونس، الآية: 38

مِثْلِهِ، وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ }<sup>1</sup>.

وهكذا ظل القرآن المجيد منذ نزوله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيبقى يتحدى البشرية كلها ما بقي الليل والنهار.

كما أن هناك معجزات أخرى وهي كثيرة مثل انشقاق القمر، وحراسة السماء بالشهب، والإسراء به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ومعجازه إلى السماء إلى سدرة المنتهى، وعصمته من الناس، وإجابة دعائه، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة، وإخباره بالأمور الغيبية الماضية والمستقبلية، ومحلها كتب الشمائل والمغازي والسير، وفي مقدمة شرح مسلم ذكر النووي أنها تزيد على الألف والمائتين<sup>2</sup>.

## المبحث الرابع: التغيير في القرآن وعلاقته بالسنن الكونية

من حكمة الله تعالى في خلقه أن جعل الأشياء مرتبطة بأسبابها، وجعل الأشياء تجري وفق علمه وإرادته وسننه؛ سنن لا تحابي أحدا، ولا تتحول ولا تتبدل، فهو سبحانه المسير شؤون الكون، المدبر لمجرياته وأحداثه. قال تعالى: {سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِّن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا}<sup>3</sup>.

والمتبع لسنن الكون يلفيها تسير وفق نسق في غاية الاتساق والنظام؛ مما يشكل لدى كل عاقل تصورا عن طبيعة الحياة، وكيف أراد لها الخالق أن تسير، وما يراد منها،

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآيتان: 22 — 23

<sup>2</sup> تنظر مقدمة شرح النووي (ت: 676هـ)، على صحيح مسلم، 1 / 2

<sup>3</sup> سورة الإسراء، الآية: 77

وهذه السنن تكاد تشمل كل مجالات الحياة، والآيات القرآنية متوافرة في الباب، بل إن القرآن الكريم دعا الناس في غير ما آية إلى السير في الأرض، قصد التفكير في خلق الله تعالى، والنظر إلى الآيات الماثورة في كونه، فوصف المعنيين بالاستفادة من هذا الخطاب، المؤهلين لخوض غمار النظر فيه بأولي الأبواب والعقول المستنيرة، فهم القادرون دون غيرهم على سبر أغوار هذه السنن وإدراكها، ثم توظيفها بما يسعف على السير نحو تغيير إيجابي، يروم بناء مستقبل أفضل، وحضارة إنسانية شامخة.

هذا ومن حق المسلمين الافتخار بكون هذه السنن مستمدة من كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن علم الله الكامل المطلق.

## المصلب الأول: السنن الكونية وسؤال المفهوم والحقيقة

ويمكن تعريف السنن الكونية بأنها: "منهج الله تعالى في تسيير هذا الكون وعمارته وحكمه، وعادة الله في سير الحياة الإنسانية، وعاداته في إثابة الطائعين وعقاب المخالفين طبق قضائه الأزلي على مقتضى حكمته وعدله"<sup>1</sup>.

وهذا التعريف وصف لمنهج الله تعالى في تسيير أمور الخلق، فهو منهج يطبق وفق علم الله تعالى وحكمته دون أن يلزم الله تعالى بشيء، كما يعتبر علامات وقواعد كلية يستنير بها المسلم ليكون على بينة من أمره فيما يأتي وما يذر.

ويعرفها عبد الكريم زيدان في كتابه "السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد"، بقوله: "الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه، وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> السنن الإلهية في الحياة الإنسانية، لشريف الخطيب، ص: 85

<sup>2</sup> السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، لعبد الكريم زيدان (ت: 2014م)، ص: 10

وكون هذه السنن تسير وفق قانون عام، فيه معنى التماثل في النتائج إذا تماثلت المقدمات؛ لذا فإن فهم السنن الكونية يشكل دعامة أساسية من دعائم الفهم الشامل لدين الإسلام.

يقول سيد قطب معلقا على قول الله تعالى: {فَدَّ خَلَّتْ مِ مِ فَبَلِيكُمْ سُنَّ} <sup>1</sup>:  
"والقرآن الكريم يرد المسلمين هنا إلى سنن الله في الأرض، يردهم إلى الأصول التي تجري وفقها الأمور، فهم ليسوا بدعا في الحياة، فالنواميس التي تحكم الحياة جارية لا تتخلف، والأمر لا تمضي جزافا، إنما هي تتبع هذه النواميس، فإذا هم درسوها وأدركوا مغازيها، تكشفت لهم الحكمة من وراء الأحداث، وتبينت لهم الأهداف من وراء الوقائع، واطمأنوا إلى ثبات النظام الذي تتبعه الأحداث، وإلى وجود الحكمة الكامنة وراء هذا النظام، واستشرفوا خط السير على ضوء ما كان في ماضي الطريق، ولم يعتمدوا على مجرد كونهم مسلمين لينالوا النصر والتمكين بدون الأخذ بأسباب النصر، وفي أولها طاعة الله وطاعة الرسول" <sup>2</sup>.

ومن باب حسن الأخذ بالأسباب اعتبار سنن الله تعالى ثابتة لا تتغير ولا تتبدل، وأن من استكشفها استطاع أن يدرك الماضي، وأن يتصور المستقبل متوخيا أفضله، ويدل على أهمية الموضوع تلك العناية التي أولاه إياه القرآن الكريم، وفيها إشارة واضحة لضرورة عناية المسلمين بالموضوع، وأن يولوه من الأهمية ما يستحق، حتى تكون هذه السنن منارا لنا وهاديا لتسخير الكون بكل ما فيه، من أجل امتلاك الأدوات المساعدة على استشراف المستقبل وتصوره، كما يبعث ذلك على الطمأنينة والوضوح

<sup>1</sup> سورة آل عمران، الآية: 137

<sup>2</sup> في ظلال القرآن، 478/1



لدى حديثي الاعتناق لهذا الدين، سيما ونحن نتحدث عن هذه السنن من منظور القرآن الكريم، والذي تحدث عن تاريخ البشرية وما رافقها من مجريات وأحداث، تجعل الإنسان قادرا على أن يأخذ منها تجارب تفيده في رسم مستقبله، كما تحميه من الوقوع فيما وقع فيه غيره من البشر في سالف الأزمنة، حتى عد أبو حامد الغزالي العلم بالسنن الإلهية من القسم المحمود فقال: "وأما القسم المحمود إلى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله، وسنته في خلقه. وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا، فإن هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به إلى سعادة الآخرة، وبذل المقدور فيه إلى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب، فإنه البحر الذي لا يدرك غوره، وإنما يحوم الحائمون على سواحله وأطرافه بقدر ما يسر لهم، وما خاض أطرافه إلا الأنبياء والأولياء والراسخون في العلم"<sup>1</sup>. فهو بهذا الكلام يدعو إلى ضرورة العودة إلى دراسة السنن وحسن العناية بها والاستفادة منها كقواعد لا تتخلف، ولأن العلم بهذه السنن هو الضامن لتوجيه الحياة وتصريفها بما وضع الله في خصائصه من طاقات لتصوير الظواهر الكونية، والعلم بهذه السنن هو الذي وضع المسلمين في مكان الصدارة يوم أن كان العلم بأوسع معانيه هو القائد لهم.

إن الحديث عن السنن الكونية يعتبر مجالا علميا خصبا بالنسبة للمسلم الواعي المتعهد لكتاب الله دراسة وتدبرا ووعيا، قصد استلهام ما في ذلك من دروس وعبر، يقول صاحب المنار رحمه الله: "إن إرشاد الله إيانا إلى أن له في خلقه سننا، يوجب علينا أن نجعل هذه السنن علما من العلوم، لنستلهم ما فيها من الهداية والموعظة على أكمل وجه، فيجب على الأمة في مجموعها أن يكون فيها قوم يبينون لها سنن الله

<sup>1</sup> إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي (ت: 505هـ)، 39/1

في خلقه، كما فعلوا في غير هذا العلم من العلوم والفنون التي أرشد إليها القرآن بالإجمال، وقد بينها العلماء بالتفصيل عملاً بإرشاده، كالتوحيد والأصول والفقه، والعلم بسنن الله تعالى من أهم العلوم وأنفعها، والقرآن يحيل عليه في مواضع كثيرة، وقد دلنا على مأخذه من أحوال الأمم، إذ أمرنا أن نسير في الأرض لأجل اجتلائها، ومعرفة حقيقتها"<sup>1</sup>.

فالمسلمون — وهم ينشدون التغيير — مدعوون إلى العودة إلى استجلاء هذه السنن وتبيينها للناس عموماً، وللشباب خاصة، قصد الخروج بهم من عالم الاضطراب وغابات الحيرة، إلى عالم النور وبساتين الثبات على دينهم، والمسلمون لن يحققوا تقدماً ولا نهضة ما حادوا عن هذه السنن — ولو ظلوا ساجدين عابدين باكين في المحارب والمساجد — فهي سنن من عمل وفقها وصل، ومن حاد عنها ضل الطريق.

## المصـلب الثاني: خصائص السنن الكونية في القرآن الكريم

للسنن الكونية من منظور القرآن الكريم خصائص عديدة، فالناظر والمتفحص لمنهج الله تعالى في تسيير الكون، يدرك أن هذه الخصائص لا تكاد تنفك عن هذه السنن تحقيقاً لحكمة الله وعدله مع خلقه.

والخصائص التي تتميز بها السنن الكونية كثيرة، يتضمنها القرآن الكريم، وتشاهد رأي العين على مستوى الحياة والعيش، وطبيعة هذا البحث لا تسمح بتتبع هذه الخصائص واستقراءها وتصنيفها، ولكن حسبي فيه أن أجتزئ منها ما يسترشد به القارئ ويدله على أن عملية التغيير لا يمكن الحديث عنها دون استحضار هذه السنن كأسس وقواعد أساسية للتغيير.

<sup>1</sup> تفسير المنار، محمد رشيد رضا، 4/114

## — الخلاصة الأولى: الربانية

فالسنن الكونية ربانية المصدر، فهي من عند الله تعالى؛ لأنه الخالق المدبر لهذا الكون، العالم بما يصلح للبشرية وما لا يصلح، فقد أضاف الله هذه السنن لنفسه في مواضع من كتابه، من ذلك قول الله تعالى: {قُلْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} <sup>1</sup>. فهي منه سبحانه؛ إذ هو الخالق المدبر العالم بما خلق، العادل في قسمه، الحكيم في صنعه، {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} <sup>2</sup>.

## — الخلاصة الثانية: الثبات

فالسنن الكونية ثابتة لا تتبدل ولا تتغير، فالثبات صفة تتميز بها؛ لذلك يصح القياس فيها على النتائج بالنظر إلى مقدماتها، فالمسلم مطالب بإعمال بصره وبصيرته في تاريخ وسير السابقين الأولين للاتعاظ بها والإفادة منها درسا وعبرة، في آنه ومستقبل أيامه، ومن أدلة هذه الخاصية قول الله تعالى: {وَلَسْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} <sup>3</sup>، وقوله تعالى: {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ قُلْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} <sup>4</sup>، وهذا عين الحق ومحض العدل وعظمة شريعة محمد صلى الله عليه وسلم.

<sup>1</sup> سورة فاطر، الآية: 43

<sup>2</sup> سورة الأنبياء، الآية: 23

<sup>3</sup> سورة الأحزاب، الآية: 62

<sup>4</sup> سورة فاطر، الآية: 43 — 44

ولفظه (لن) في الآيتين تفيد النفي بالتأييد،<sup>1</sup> فيما يراد بالضرورة الثبات لهذه السنن، وهو زيادة في التأكيد، وذلك "أن الله لا يخالف سنته لأنها مقتضى حكمته وعلمه فلا تجري متعلقاتها إلا على سنن واحد، والمعنى: لن تجد لسنن الله مع الذين حلوا من قبل ولا مع الحاضرين ولا مع الآتين تبديلاً"<sup>2</sup>.

وخاصية الثبات يمكن أن نلخصها أيضا — إضافة إلى دلالة القرآن عليها — عندما نستعرض الأحداث التاريخية وكيف كانت أحوال الأمم السابقة تتقدم وتأخر، وانتصارا وهزاما، من خلال تعامل هؤلاء وأولئك مع سنن الله التي أودعها في كونه.

وعدم التبدل أو عدم التحول بمعنى واحد كما قال الرازي، والحكمة من التكرار تتمثل في أن عدم التبديل يفيد حصول العلم بأن العذاب لا تبديل له بغيره، وأن عدم التحويل يفيد حصول العلم بأن العذاب لا يتحول عن مستحقه إلى غيرهم، فتكامل المعنيان، قال رحمه الله: "نقول: بقوله: {فلن تجد لسنن الله تبديلاً} حصل العلم بأن العذاب لا تبديل له بغيره، وبقوله: {ولن تجد لسنن الله تحويلاً}، حصل العلم

<sup>1</sup> ذهب الزمخشري في كتابه (الأنموذج) وفي (الكشاف) إلى القول بإفادة (لن) التأييد وخالفه في ذلك أكثر النحاة، خاصة في آية الأعراف: {قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني} لما يترتب على اختياره من نفي النظر إلى وجه الله في الجنة، وقد عقب عليه في ذلك ابن مالك في الكافية فقال: "ومن يرى النفي بلن مؤبداً . فقوله اردد وخلافه اعضدا"، ثم قال ابن مالك شارحاً هذا البيت: "ثم أشرت إلى ضعف قول من رأى تأييد النفي ب (لن) وهو الزمخشري في أنموذجه، وحمله على ذلك اعتقاده أن الله لا يرى، وهو اعتقاد باطل، بصحة ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أعني: ثبوت الرؤية جعلنا الله من أهلها، وأعادنا من عدم الإيمان بها"، وفي المسألة قول ثالث، وهو احتمال (لن) للتأييد في مواضع دون أخرى حسب السياقات التي تساق فيها، وآيات السنن هنا يبدو أن القول بالتأييد فيها أوجه، بل هو المتعين.

<sup>2</sup> التحرير والتنوير، 112/22

بأن العذاب — مع أنه لا تبديل له بالثواب — لا يتحول عن مستحقه إلى غيره فيتم تهديد المسيء<sup>1</sup>.

فإذا اقتضت حكمة الله وسنته نصر المؤمنين الصادقين العاملين بمنهجه، والمستجيبين لأوامره، فإن هذه السنة ثابتة لا تتغير، وبالمقابل إذا اقتضت سنة الله تعالى معاقبة المفسدين في الأرض المتكبيين لشرعه، العاصين لأوامره، فإن هذه السنة كذلك ثابتة لا تتغير، والعبرة في ذلك كله بالعاقبة.

والله تعالى لا يفرق بين المتماثلين، كما أنه سبحانه لا يساوي بين المتناقضين<sup>2</sup>.  
والقرآن الكريم ضرب لنا الأمثلة من الأمم السالفة لتكون لنا هديا ونبراسا في صياغة مستقبل الأمة وما ينبغي لها أن تكون عليه بين الأمم، قال الله تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْآرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}<sup>3</sup>.

وهكذا فإن سنن الله في كونه ثابتة لا تتبدل ولا تتحول، أما ما يلاحظ على المسلمين اليوم من تأخر على مستوى الصناعة والتكنولوجيا وغيرها من العلوم الدنيوية، وغيرهم رائد ومنتج؛ فإن مرد ذلك إلى حكمة يريد بها الله تعالى بعد أن ابتعد المسلمون عن السير وفق المنهج الذي سطره القرآن الكريم، وما أن يعودوا إليه ويلتزموا بأوامره

<sup>1</sup> مفاتيح الغيب، للفخر الرازي (ت: 606هـ)، 26/247

<sup>2</sup> جامع المسائل، لابن تيمية (ت: 728هـ)، 2/195

<sup>3</sup> سورة النور، الآية: 53

حتى تتحقق فيهم سنته تعالى في تغيير الوضع إلى الوضع السليم، وهي سنته سبحانه التي قد خلت من قبل وهي "طريقة الله وعاداته السالفة في نصر أوليائه على أعدائه"<sup>1</sup>.

### الخاصية الثالثة: حتمية الوقوع

وتؤخذ خاصية الوقوع من عموم قوله تعالى: {إِذَا فُضِيَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}<sup>2</sup>، فهي تنبي على ما سبقها، فقوله تعالى: {قَلَّ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا}  وَلَمْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا<sup>3</sup>، يقضي بتحقيق هذه السنة من غير شك ولا ريب، فسنته في كونه مثل قضائه متحققة لا محالة؛ إذ هي جزء من القضاء، سبحانه لا راد لأمره ولا لقضائه، وليس بمقدور الإنسان مهما أوتي من قوة العلم وجبروت الإمكانية أن يحول بين هذه السنن وبين وقوعها وتحقيقها ونفوذها، "والأمور لا تمضي في الناس جزافا، والحياة لا تجري في الأرض عبثا، فهناك نواميس ثابتة تتحقق، لا تبدل ولا تتحول، والقرآن يقرر هذه الحقيقة ويعلمها للناس ... فيوجههم دائما إلى ثبات السنن واطراد النواميس"<sup>4</sup>، {وَعَدَ اللَّهُ لَا يَخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ}<sup>5</sup>.

وسنن الله في كونه بهذا نافذة لا تتخلف، فكلما وجدت مقدمات الأمر كانت نتيجته متلازمة معه، لهذا قص الله علينا في كتابه قصص من كان قبلنا عبرة وعظة بهم،

<sup>1</sup> التفسير المنير للزحيلي (ت: 2015م)، 190/26

<sup>2</sup> سورة آل عمران، الآية: 47

<sup>3</sup> سورة فاطر، الآية: 43 — 44

<sup>4</sup> في ظلال القرآن، 2949/22 — 2950

<sup>5</sup> سورة الروم، الآية: 5

وحتى لا نسلك مثل ما سلكوا فنهلك كما هلكوا، ولكن الله يريد<sup>1</sup> منا أن نأخذ بأسباب النجاة من أن يصيبنا مثل ما أصابهم، فالأمر متحقق الوقوع، وقد بين الله تعالى في غير ما آية من كتابه أنه من يعمل سوءاً يجز به، وأن العبد ملاق عمله، إن خيراً فخير وإن شراً فشر، قال الله تعالى: {بِمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ} ﴿٨﴾ وَمَنْ يَّعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} <sup>2</sup>، وهذا من تمام حكمة الله في ذكر قصص الأولين، "لأن الجزاء بحسب سنة الله تعالى أثر طبيعي للعمل لا يتخلف عنه.

فسنة الله تعالى ثابتة ومطرودة وعامة غير مقتصرة على فرد دون فرد، ولا على قوم دون قوم، ولولا ثباتها واطرادها وعمومها لما كان معنى في ذكر قصص وأخبار الأمم السابقة وطلب الاعتبار بما حل بهم، ولكن لما كان ما جرى لهم وعليهم يجري على غيرهم إذا فعلوا فعلهم، حسن ذكر قصصهم وطلب الاعتبار والاتعاظ بها"<sup>3</sup>. فقصاص الماضين لا يقصها القرآن لمجرد الإخبار بها وللتسلية فحسب، ولكن للاعتبار والاتعاظ بها، فيقتدى بالصالحين المصلحين منهم، ويحصل الانزجار مما كان عليه الفاسدون المفسدون منهم.

### الخاصية الرابعة: الشمولية

قال الله تعالى: {لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَّعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا} ﴿١٢٢﴾ \* (ثمن) وَمَنْ يَّعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ ائْتَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ

<sup>1</sup> المقصود بالإرادة هنا الإرادة الشرعية لا الكونية

<sup>2</sup> سورة الزلزلة، الآية: 8 — 9

<sup>3</sup> السنن الإلهية، في الحياة الإنسانية، لعبد الكريم زيدان (ت: 2014م)، ص: 11

نَفِيرًا<sup>1</sup>، ومعنى ذلك أن السنن الإلهية في الكون شاملة لكل الناس، لا تحابي فردا ولا تستثني أمة، فهي قاعدة كلية شاملة لا تتخلف، فسنن الله تعالى لا تنحرم، فلا اعتبار لفرد على فرد، ولا لأمة على أمة، ولا للجماعة على أخرى، فهي تسري على كل أمة بما يناسب فعلها والتزامها بحيثيات هذه السنن إيجابا أو سلبا، وهي قاعدة كبرى وقانون عام في علاقة العمل بالجزاء، وشمولية هذه السنن وعمومها من مقتضى العدل والحكمة، فلو انحرفت سنة من السنن، واقتصرت على قوم دون غيرهم لصار ذلك مدعاة إلى الركون عنها، ولكان ذلك منافيا لشموليتها التي تجعل الناظر فيها مطمئن البال، أما وهي سنن ثابتة وشاملة وعامة مطردة، فإن الاطمئنان كل الاطمئنان لها، بما يبرز الحكمة من معرفتها والعمل بمقتضاها، وقد ذكر جمهور المفسرين أن "لفظ الآية عام، والكافر والمؤمن مجازى بالسوء يعمل، فأما مجازاة الكافر بالنار، لأن كفره أوبقه، وأما المؤمن فبنكبات الدنيا"<sup>2</sup>.

والناظر في التاريخ البشري يجد أن ما انطبق على أمة سارت وفق هذه السنن ينطبق على أية أمة سارت مثل سيرهم، فهي لا تحابي أحدا بمن في ذلك المسلمون فإنهم إذا تنكبوها أصابهم مثل ما أصاب غيرهم ممن تنكبوها، بل "إن الله يقيم الدولة العادلة وإن كانت كافرة، ولا يقيم الظالمة وإن كانت مسلمة،... فالباغي يصرع في الدنيا وإن كان مغفورا له مرحوما في الآخرة، وذلك أن العدل نظام كل شيء، فإذا أقيم أمر الدنيا بعدل قامت، وإن لم يكن لصاحبها في الآخرة من خلاق، ومتى لم تقم بعدل لم تقم، وإن كان

<sup>1</sup> سورة النساء، الآية: 122 — 123

<sup>2</sup> المحرر الوجيز، لابن عطية، (ت: 541هـ)، 116/2



لصاحبها من الإيمان ما يجزى به في الآخرة"<sup>1</sup>، إنها عدالة الله في الأرض، وسنته مع الخلق تمضي.

### المصلب الثالث: السنن الكونية ومحورها في التغيير

ليس من نافلة القول التذكير بأن دراسة السنن الإلهية في الكون، المستقاة من القرآن الكريم من أوجب الواجبات التي يتعين على دعاة التغيير معرفتها والإلمام بها؛ ليستفيدوا منها في تحليل الأحداث والظواهر المراد تغييرها، قصد توظيف ذلك في استشراف نتائج التغيير التي يراد تحقيقها من التغيير، على اعتبار أن هذه السنن تحدث وفق علم الله تعالى وحكمته التي ربطت الأحداث والمتغيرات بسنن لا تتبدل ولا تتغير.

وهذه السنن بما لها من خصائص تمثل مادة غنية وقاعدة كبرى وأدوات لا بد من استحضارها واستثمارها في عملية التغيير، فالمسلم إنما يستمد من هذا القرآن الكريم، فهو المصدر الوحيد الذي يمتلك المصادقية المطلقة في علومه ومعارفه، لأنه كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو بالتالي الأقدر والأصدق في التعبير عن استشراف النتائج المستقبلية، وفق ما جاء فيه بالحرف دون افتراء أو مزايادة، ودون خوف من أن تأتي نظرية أقوى فتبطل ما أثبت غيرها؛ لأنه كلام رب العالمين القائل في كتابه المبين: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}<sup>2</sup>.

وعملية التغيير عملية منظمة تبدأ وجوبا من دراسة الماضي بكل ما فيه من أحداث ونتائج وسنن، مروراً بالحاضر المعيش وما يموج به من ظواهر يرام تغييرها، ومفاسد يراد إصلاحها، ولا تتم هذه العملية بالشكل الصحيح الضامن للنتائج المرضية ما لم

<sup>1</sup> مجموع الفتاوى، 146/28

<sup>2</sup> سورة الملك، الآية: 15.

تدرس سنن الله تعالى فيما سبق من الأقوام، وينظر في التاريخ بالعين الناقدة البصيرة، وبهذا تعتبر دراسة السنن الإلهية الخطوة الأولى في طريق التغيير نحو مستقبل زاهر للأمة الإسلامية<sup>1</sup>.

والعمل وفق السنن الإلهية من شأنه أن يبعث في نفس المؤمن الطمأنينة والارتياح، لما يعلم من ثباتها واطرادها وشموليتها، ويقينه بجريانها وفق ما أخبر به القرآن الكريم لا تتبدل ولا تتحول، فيبقى منتظرا لوعد الله تعالى ما دام قد أخذ بالأسباب وسار وفق سننه في كونه، فيجاري هذه السنن، ويستفيد منها موقنا بأنها لن تتخلف؛ لأن الله تعالى لا يخلف وعده.

قال سيد قطب في الظلال: "فالنواميس التي تحكم الحياة جارية لا تتخلف والأمر لا تمضي جزافا، إنما هي تتبع هذه النواميس، فإذا هم درسوها، وأدركوا مغازيها، تكشف لهم الحكمة من وراء الأحداث، وتبينت لهم الأهداف من وراء الوقائع، واطمأنوا إلى ثبات النظام الذي تتبعه الأحداث، وإلى وجود الحكمة الكامنة وراء هذا النظام، واستشرفوا خط السير على ضوء ما كان في ماضي الطريق، ولم يعتمدوا على مجرد كونهم مسلمين، لينالوا النصر والتمكين بدون الأخذ بأسباب النصر، وفي أولها طاعة الله وطاعة الرسول"<sup>2</sup>.

فالتغيير مرهون باعتار هذه السنن وبحسن توظيفها لصالح مشروع التغيير الذي أريد له أن يكون منطلقه من القرآن المجيد، وذلك بحسن فهم آياته، وحسن تدبرها، وتطبيقها في بناء وصياغة عملية التغيير، يقول الإمام المراغي في تفسيره المعروف باسمه:

<sup>1</sup> ينظر تفسير المنار، 392/2 — 393

<sup>2</sup> في ظلال القرآن، 478/4

"إن النظر في أحوال من تقدمكم من الصالحين والمكذبين يهديكم إلى الطريق المستقيم، فإن انتم سلكتم طريق الصالحين فعاقبتكم كعاقبتهم، وإن سلكتم سبيل المكذبين فحالكم كحالكهم"<sup>1</sup>، فالسنن الإلهية وعملية التغيير لا يمكن الفصل بينهما، لأن التغيير الإيجابي مرهون بشروط، من أهمها عدم التعارض بين عملية التغيير وبين السنن التي أودعها الله في كونه.

## المصلب الرابع: سنة الأسباب والمسببات

يجدر بنا أن ندرك علاقة الأسباب بالمسببات، وعلاقتها معا بالسنن الكونية، ثم علاقة كل ذلك بالتغيير الذي جاء به القرآن الكريم ودعا إليه.

يمكن تعريف السبب بأنه هو: "كل شيء يتوصل به إلى غيره وكل شيء يتوصل به إلى شيء غيره وقد تسبب إليه، والجمع أسباب وكل شيء يتوصل به إلى الشيء فهو سبب، وجعلت فلانا لي سببا إلى فلان في حاجتي، والسبب هو الحبل الذي يتوصل به إلى الماء، ثم استعير لكل ما يتوصل به إلى شيء"<sup>2</sup>.

والسبب: الحبل والطريق لأنك تصل به إلى ما تريد، وعرفه الزمخشري بقوله: "ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو آلة"<sup>3</sup>.

وكاد أهل اللغة والتفسير يتوافقون على هذا المعنى، وسيأتي مزيد التوضيح له شرحا وتفسيرا عن طريق توظيفه أثناء دراسة الآيات ذات التعلق بموضوع الأسباب والمسببات.

<sup>1</sup> تفسير المراغي، 76/4

<sup>2</sup> لسان العرب، 458/1

<sup>3</sup> تفسير الكشاف، 743/2. ومدارك التزويل وحقائق التأويل، للنسفي، (ت710هـ)، 316/2

إن القرآن المجيد ليزخر بالآيات التي تدعو إلى الأخذ بالأسباب ووجوب مباشرتها بالجوارح مع الاعتماد على الله بالقلب<sup>1</sup>، من ذلك قول الله تعالى: {إِنَّا مَكْنَنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا} <sup>2</sup>، وغيرها من الآيات التي تتحدث عن موضوع سنة الله تعالى في الأسباب والمسببات، والتي تشغل في القرآن الكريم مساحة ليست باليسيرة مقارنة بالسنن الأخرى، بل إن السنن الأخرى مدارها كلها على الأسباب؛ إما بصورة مباشرة أو غير مباشرة، "حتى تبدو للمتأمل فيها كأنها من مفردات سنة الله في الأسباب وليست سننا مستقلة، وكل السنن تبقى مع ذلك قائمة على سنة الله تعالى في الأسباب ومعتمدة عليها"<sup>3</sup>.

سياق الآية الحديث عن الرجل الصالح ذي القرنين، الذي حكم الأرض بشرع الله وعدله حتى دان له أهل الأرض شرقا وغربا، فللقارئ أن يتساءل؛ بأي شيء كان له ذلك بعد إرادة الله تعالى؟ أخذ ذو القرنين — كما حدثنا القرآن الكريم — بالأسباب وسخرها للهدف الذي أنيط به تحقيقه، وكلفه به خالقه، فقد مكنه الله تعالى من الأسباب فلم يهملها، بل كان يبحث عن كيفية توظيفها واستثمارها تحقيقا للهدف المنشود، قال الله تعالى: {ثُمَّ اتَّبَعَ سَبَبًا}، يرى الإمام الرازي — معلقا على الآية — "أنه تعالى لما أعطاه من كل شيء سببه فإذا أراد شيئا اتبع سببا يوصله إليه ويقربه منه، وأنه إذا أراد بلوغ المغرب فإنه يتبع الأسباب التي توصله إليه حتى يبلغه"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> وهو محض التوكل

<sup>2</sup> سورة الكهف، الآية: 83

<sup>3</sup> السنن الإلهية، لعبد الكريم زيدان (ت: 2014م)، ص: 26 — 27

<sup>4</sup> مفاتيح الغيب، 495/21

إن الأخذ بالأسباب والبحث عنها مدعاة إلى تحقيق الهدف المنشود، والوصول إلى المبتغى.

وقال الزمخشري: "فأراد بلوغ المغرب فاتبع سببا يوصله إليه حتى بلغ، وكذلك أراد المشرق، فاتبع سببا، وأراد بلوغ السدين فاتبع سببا"<sup>1</sup>.

هذا وإن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل، بل هو مطلوب في تحصيل المنافع ودفع المضار، فلو استغنى أحد عن السبب لاستغنت عنه مريم بنت عمران، فقد ندبها الله عز وجل لذلك وهي في أضعف حال، قال الله تعالى: {وَهَزَّزْنِي إِلَىٰكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تَسْقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا}<sup>2</sup>، وهذا في حق العباد ظاهر ولازم في أن يبذلوا الأسباب للوصول إلى النتائج.

ويرى ابن تيمية أن "السبب المعين لا يستقل بالمطلوب بل لا بد معه من أسباب أخرى، ومع هذا فله موانع، فإن لم يكمل الله الأسباب ويدفع الموانع، لم يحصل المقصود"<sup>3</sup>، ويترتب على هذا أن المطلوب يحصل بتوافر أسبابه، وانتفاء جميع موانعه، والعبد مأمور ببذل كامل وسعه وطاقته لتوفير الأسباب وإبطال الموانع، وتبقى النتائج بيد الله عز وجل، الحكيم في صنعه العادل في حكمه.

والله تعالى جعل لكل شيء سببا، وعلى هذا فليس من المقبول منطقا ولا عقلا ترك الأسباب بحجة أن الله يفعل ما يريد، بل الإنسان مأمور ببذل الجهد وكامل الوسع مع حسن التوكل على الله تعالى، فإنه لا يقع في هذا الكون إلا ما أراده الله تعالى وقضاه.

<sup>1</sup> تفسير الكشاف، 743/2

<sup>2</sup> سورة مريم، الآية: 24.

<sup>3</sup> مجموع الفتاوى، 137/1

ويمكن لأمة القرآن أن تعود إلى مسارها الصحيح، وأن تغير وضعها إلى الأحسن، إن هي أحسنت التعامل مع كتاب الله عز وجل، وأخذت بالأسباب كما أمرها ربها سبحانه وتعالى، فهي مؤهلة لذلك بما أوتيت من هذا الكثر العظيم، وبما حباها الله تعالى به؛ من الوسطية والاعتدال في دينها.

فأما أمة فهمت السنن الإلهية وتعاملت معها بجدية ويقين وأولتها العناية المناسبة كان لها ما تروم تحقيقه وفق سنن الله الثابتة.

يقول الإمام الزحيلي في تفسيره المنير: "السنة في الماضين واللاحقين هي أن من سار على منهاج الطائعين المؤمنين الموفقين حظي بالسعادة والنصر والفلاح، ومن سار في طريق العصاة المذنبين كانت عاقبته خسرا ودمارا وهلاكاً، ففي أحوال المسلم أن من سار على الأصول المطلوبة والنظم العلمية والخبرات المعروفة في شؤون الزراعة والصناعة والتجارة وغيرها، نجح وظفر بمراده، وإن كان ملحداً أو وثنياً أو مجوسياً، وإن جانب المعقول، وخرج عن المألوف، كان من الخاسرين وإن كان صالحاً تقياً... ومن سار في الأرض، وتعقب أحوال الأمم، وتدبر التاريخ، وعرف الأخبار، يجد مصداق تلك السنن الإلهية الثابتة، وهي الفوز لمن أحسن، والخيبة لمن أساء"<sup>1</sup>.

تتمثل الاستفادة من سنة الله تعالى في الأسباب والمسببات في دراسة الأسباب المؤدية للنهوض والتغيير، ورفض كل مفردات التأخر والتخلف وراء الأمم، لينطلق منها إلى وضع منهاج عملي يقوم على حصر أسباب القوة والتمكين من منظور القرآن المجيد، فلا تعارض بين الأخذ بالأسباب وبين الإيمان بالقدر، بل توهم ذلك يعد من سوء الفهم لهذا الدين، وخذشا في الاعتقاد، فما من أمة أخذت بأسباب القوة، وسلكت طريق

<sup>1</sup> التفسير المنير، لوهبة الزحيلي، 98/4

التغيير بمقتضى الأسباب قولاً وعملاً إلا كان لها ما تصبو إليه من القوة، وتغيير وضعها إلى أحسن، وكانت لها صولات وجولات، وما من أمة ركنت إلى الراحة والدعة، وأهملت أسباب النهوض، واكتفت بالدعاء والبكاء إلا كان مآل أمرها إلى الضعف والهوان، ولا يفيدها كثرة العدد في شيء.

إن الاستعداد والعمل على التغيير يعتبر أمراً ربانياً، يحاسب المسلم إن هو قصر في تحصيله بما آتاه الله من وسائل وأساليب، وذلك جلي في قول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} <sup>1</sup>، فجعل القرآن الكريم منطلق عملية التغيير من الإنسان أولاً، وإلا كان مسئولاً عن الوسائل والأسباب التي مكنه الله منها إن هو أهملها وفرط في الأخذ بها؛ إذ ترك الأسباب وإهمالها ترك للإصلاح، وترك الإصلاح نوع من الإفساد ووجه من أوجهه، قال الله تعالى: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ} <sup>2</sup>، وفي هذه الآية بيان لعدل الله تعالى مع خلقه، وأنه تعالى لا يظلم أحداً، فلم يكن سبحانه ليهلك قوما وهم لا يستحقون الإهلاك، فمفهوم المخالفة في هذه الآية يفيد أنه سبحانه لا يهلك المصلحين، وإنما يهلك المفسدين المستحقين للإهلاك، وهذه القاعدة جارية على جميع الأمم، مسلمة كانت أو كافرة، فلو أن أمة كافرة أقامت العدل بين أفرادها وحاربت الفساد لم تكن السنة جارية عليها بالهلاك والزوال، وفي مقابل ذلك: لو أن أمة مسلمة غيبت العدل وانتشر فيها الظلم

<sup>1</sup> سورة الرعد، الآية: 12

<sup>2</sup> سورة هود، الآية: 117

لجرت عليهم سنة الله في استحقاق الهلاك والزوال، قال ابن تيمية: "الدنيا تدوم مع العدل والكفر، ولا تدوم مع الظلم والإسلام"<sup>1</sup>.

وقال الطاهر بن عاشور: "فلو أن قوما غير مسلمين عملوا في سيرتهم وشؤون رعيتهم بمثل ما أمر الله به المسلمين من الصالحات بحيث لم يعوزهم إلا الإيمان بالله ورسوله لاجتنبوا من سيرتهم صورا تشبه الحقائق التي يجتنبها المسلمون؛ لأن تلك الأعمال صارت أسبابا وسننا، تترتب عليها آثارها التي جعلها الله سننا وقوانين عمرانية، سوى أنهم لسوء معاملتهم ربهم بحجوده، أو بالإشراك به، أو بعدم تصديق رسوله، يكونون بمنأى عن كفالاته وتأييده إياهم، ودفع العوادي عنهم، بل يكلهم إلى أعمالهم وجهودهم على حسب المعتاد، ألا ترى أن القادة الأوروبيين بعد أن اقتبسوا من الإسلام قوانينه ونظامه بما مارسوه من شؤون المسلمين في خلال الحروب الصليبية ثم بما اكتسبوه من ممارسة كتب التاريخ الإسلامي والفقه الإسلامي والسيرة النبوية، قد نظموا ممالكهم على قواعد العدل والإحسان والمواساة وكراهة البغي والعدوان، فعظمت دولهم، واستقامت أمورهم، وإن كان ذلك على الأقل في الظاهر"<sup>2</sup>.

وقال أبو السعود عند تفسير هذه الآية: {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ}<sup>3</sup>: "ما صح وما استقام بل استحال في الحكمة أن يهلك القرى التي أهلكتها وبلغتك أنباؤها أو ما يعمها وغيرها من القرى الظالم أهلها، والمراد

<sup>1</sup> رسالة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لابن تيمية، 29/1

<sup>2</sup> التحرير والتنوير، 284/18

<sup>3</sup> سورة هود، الآية: 117



تزيه الله تعالى عن ذلك على أبلغ وجه وإلا فلا ظلم منه تعالى فيما يفعله بعباده كائنا ما كان لما علم من قاعدة أهل السنة"<sup>1</sup>.

فعلى المسلمين اليوم أكثر من أي وقت مضى أن يعلموا أن للتغيير الإيجابي أسبابا يتعين الأخذ بها ومباشرتها، منها: إقامة العدل ودفع الظلم، والضرب على يد الظالمين حتى يعودوا إلى رشدهم؛ فإن الظلم ما انتشر في قوم إلا حل الهلاك بساحتهم، والهلاك إذا حل بأهله لا يفرق بين صغير وكبير، ولا بين صالح وطالح، بل يقع كالنار تأتي على الأخضر واليابس، قال الله تعالى: {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً}<sup>2</sup>، وبالجملة فإن دراسة السنن الإلهية تعتبر خير معين وأعظم زاد لمن رام التغيير، بل ينبغي أن تكون هي منطلق التغيير، وعليه فإن الأخذ بالأسباب مدعاة لحصول النتائج، والمسلمون مطالبون بالأخذ بها.

## المصلب الخامس: سنة التدافع والتغيير

إن الحديث اليوم جار عن التدافع بين الحضارات، وما يتصل بذلك من غزو فكري منظم، وما يخشى على الشباب المسلم اليوم ذي الثقافة المتواضعة فيما يتعلق بدينه؛ من الانصياع والانحراف، إما مع التيارات المتطرفة التي لا تؤمن بالإسلام دينا حضاريا ولكن تحصره في مسائل الاعتقاد والتعبد والجمود الفقهي، وإما مع التيارات التي تسعى لسلخ الإسلام من قيمه ومبادئه، وتعمل على تغييبه من حياة الناس العامة.

<sup>1</sup> تفسير أبي السعود (ت: 982هـ)، 247/4.

<sup>2</sup> سورة الأنفال، الآية: 25

التدافع مأخوذ من الدفع الذي يعني تنحية الشيء وإزالته، قال ابن فارس: "الدال والفاء والعين أصل واحد مشهور، يدل على تنحية الشيء، يقال: دفعت الشيء أدفعه دفعا، ودافع الله عنه السوء دفعا"<sup>1</sup>.

وقال ابن منظور: "الدفع: الإزالة بقوة. وتدافعوا الشيء: دفعه كل واحد منهم عن صاحبه، وتدافع القوم أي دفع بعضهم بعضا"<sup>2</sup>.

ويمكن أن يخلص من هذا إلى أن الدفع يتضمن معنى المغالبة والتنازع على شيء بين اثنين أو أكثر، أو بين أمة وأخرى، أو بين حق وباطل، أو بين خير وشر قصد تثبيت أحدهما ورفع الآخر وإسقاطه، فالتدافع أيضا: سنة إلهية تقرر دوام الصراع بين حزب الحق وحزب الباطل إلى أن يشاء الله تعالى، وحزب الحق (دعاة التغيير الإيجابي) مطالبون بإدراك ما عليهم تجاه هذه السنة الإلهية؛ مما يسعفهم لإدارة دفة الصراع لصالح ما يحملون من الحق، فقد يحسن أهل الباطل تزييف باطلهم بشبه يزينونه بها، ويسيء أهل الخير طريقة تقديم ما يحملون من الخير للناس، ثم يتساءلون: لماذا تخلفنا ونحن أهل الحق وسبق غيرنا على ما هم عليه من باطل؟ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوَامِعُ وَبِيَاعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا بِاسْمِ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَفَوْيٌّ عَزِيزٌ﴾<sup>3</sup>.

وسنة التدافع واضحة في الآية أيما وضوح، فإن الله تعالى قضى بأن التدافع سنة إلهية، وأن التدافع لا مناص منه؛ إذ به يبقى الصالح ويندثر الطالح، ﴿لَيَهْلِكَ مَنْ

<sup>1</sup> معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (ت: 395هـ)، مادة دفع 288/2

<sup>2</sup> لسان العرب، مادة دفع، 8/87

<sup>3</sup> سورة الحج، الآية: 38

هَلَاكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّىٰ عَنْ بَيِّنَةٍ<sup>1</sup>، والمتأمل في الآية الكريمة بتدبر يحس بذلك الدفء وبتلك الطمأنينة التي تسري في شعور المسلم عندما يقرأ هذه الآية، وهي مستهلة بتقرير وعد الله بنصر المظلومين، {وإن الله على نصرهم لقدير}، وأنه سبحانه على هذا النصر قدير، وتنتهي بتقرير القاعدة الكلية في أن الله تعالى ينصر من نصر دينه وكل من انحاز إلى صف ناصريه وسلك سبيلهم.

هذا وإن المعركة قائمة بين الهدى والضلال، والخير والشر، منذ أن خلق الله الإنسان، وتولى الله الدفاع عن أهل الحق، فهم في حمايته، كما وعد بحماية أماكن ذكره وعبادته؛ من بيع وصوامع ومساجد، يحميها بدفاع الناس بعضهم ببعض: دفاع حماة الدين.

فالباطل لا يكف ولا يقف عن الطغيان إلا إذا قوبل ودفع بمثل القوة التي يصول بها ويجول أو أكبر، فلا يجمل بدعاة التغيير الإيجابي أن يراهنوا فقط على كونهم مسلمين، ظانين أن ذلك كاف في الحسم في التدافع لصالحهم، بل لا بد من النهوض للأخذ بأسباب القوة والتمكين، دافعين الشر بالخير، وقد ذكر الفخر الرازي أن "عادة الله جل جلاله أن يحفظ دينه بهذا الأمر"<sup>2</sup>. يقصد بالأمر التدافع.

إن دعاة التغيير الإيجابي مطالبون بالحاح أن يمتلكوا أدوات التدافع بدل الاعتماد على الكلام المفرغ عن العمل والجهد، قال الشوكاني: "والمعنى: لولا ما شرعه الله للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء لاستولى أهل الشرك، وذهبت مواضع العبادة من

<sup>1</sup> سورة الأنفال، الآية: 43

<sup>2</sup> مفاتيح الغيب، 229/23

الأرض، وقيل: المعنى: لولا هذا الدفع لهدمت في زمن موسى الكنائس، وفي زمن عيسى الصوامع والبيع، وفي زمن محمد المساجد"<sup>1</sup>.

وقال النسفي: "ولولا أن الله تعالى يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الأرض وبطلت منافعها من الحرث والنسل، أو ولولا أن الله تعالى ينصر المسلمين على الكافرين لفسدت الأرض بغلبة الكفار وقتل الأبرار وتخريب البلاد وتعذيب العباد"<sup>2</sup>.

أراد الله لسنة التدافع أن تبقى قائمة بين الناس، والأيام في التدافع بينهم دول، ليميز الله الخبيث من الطيب، وليتقرر عند الناس أن الزبد بكل جبروته وما يبدو للعيان من كثرته وقوته فإنه سرعان ما يذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس وخلقوا من أجله، — وهو الحق — فيمكث في الأرض متحديا أصناف الطواغيت على مر الزمان؛ لذلك ينبغي أن تثير سنة التدافع في نفوس دعاة التغيير مزيدا من الشعور بالمسؤولية تجاه ما ينبغي لهم فعله نحو دينهم ووطنهم وأمتهم، فهم مطالبون بامتلاك أسباب القوة والريادة.

إن التأمل في سنة التدافع بين الناس، والصراع بين الحضارات من منظور القرآن الكريم، يجعل دعاة التغيير على بينة من أمرهم، في استشرفهم لنتائج التغيير المنشود، إذا هم ملكوا زمام المبادرة في توجيه دفة التدافع والسير بها نحو حسم القضية لصالحهم. فالمسلمون عموما ودعاة التغيير بصفة خاصة، مدعوون اليوم إلى الرجوع إلى القرآن الكريم ليستشفوا منه الدروس والعبر فيما يتعلق بسنة التدافع ودورها في عملية التغيير،

<sup>1</sup> فتح القدير، للشوكاني (ت: 1229هـ)، 541/3

<sup>2</sup> مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي (ت: 710هـ)، 207/1

على أن معتقد كل مسلم أن الإسلام غالب لا مغلوب، وأن حسم الصراع بين الحق والباطل سيكون من نصيب هذا الدين.

إن موضوع سنة التدافع لمن المواضيع التي تستوجب العناية والرعاية اللازمتين؛ لما لاستحضارها وحسن استثمارها من دور فعال في عملية التغيير وتبيين معالمه، حتى يسار فيه على نور وبصيرة.

## المبحث الخامس: أساليب القرآن الكريم في الدعوة إلى التغيير الفكري والعقدي

لم يدع القرآن الكريم مجالا إلا تناوله بإقامة البراهين الساطعة والحجج القاطعة، محاجا بها خصومه في مشاهد جليلة، وصور واضحة يدركها الجاهل فضلا عن عالم أو متعلم، دامغا كل شبهة بأساليب واضحة، لا تحوج المكلف إلى جهد لإدراك القضية المطروحة، يذكر الحقائق ويقررهما فيلمسها المتأمل دون عناء؛ إذ هو كتاب هداية سلك بالبشرية فيما تختلف فيه من القضايا العقائدية والاجتماعية وغيرها الطريق السوي الموصل إلى الحقيقة باتفاق العقلاء، فما هي أساليب القرآن الكريم نحو التغيير الفكري والعقدي؟ وكيف وظف القرآن الكريم هذه الأساليب؟

### المصلب الأول: أسلوب الحوار في القرآن البصير

سلك القرآن الكريم طريق الحوار العقلي كأداة للتغيير بعيدا عن الهوى والتعصب، فوضع للحوار قواعد وأصل له أصولا لحل جميع التزايدات، وليعلم الناس أن الطريقة المثلى لإظهار الحق وإحقاقه لا تتأتى باستعمال القوة حتى من صاحب الحق، ولكن بالحوار العقلي الحضاري كيفما كان الموضوع المختلف فيه، والحوار من المسائل المهمة في المنهج القرآني، كأسلوب عملي للوصول إلى الحقائق، تؤطر به القضايا الفكرية

والسياسية والاجتماعية؛ إذ هو الوسيلة المثلى التي تتيح الفرصة للإنسان للتعبير عن رأيه وفكره بكامل حرите كما يشاء.

والمستقرئ لآيات القرآن المجيد يلفي حواراً متميزاً في الكثير من آيات هذا الكتاب، حوار متميز يلفت الأنظار، ويدع للعقول المجال الرحب لاستنباط العبر واستخراج العظات من أنواع الحوارات التي يحفل بها الكتاب المجيد، والتي تتغنى التغير الإيجابي في مواضيع مختلفة تم البشرية في عاجلها وآجلها.

أسلوب الحوار في القرآن المجيد من الأساليب التي وظفها القرآن أساساً في معالجة قضية الإيمان بالله وبالبعث والجزاء، وإثبات الأدلة المقنعة على وحدانيته سبحانه، وأحقته بعبادة الخلق له دون سواه.

والإيمان بالله وبالبعث والجزاء من أهم القضايا التي كانت محل حوار وجدل في الكتاب العزيز على أوسع نطاق، وقد عرض القرآن الكريم أنماطاً للحوار، منها ما كان أحد طرفيها الله عز وجل، فقد حاور الحق سبحانه الملائكة، كما حاور إبليس، وحوار الرسل، كما حاور الرسل والأنبياء أقوامهم، تبليغاً لرسالات ربهم، وسعيًا في تغير أحوالهم الفكرية والعقدية.

## نماذج من الحوار في القرآن العبيد

1 حوار سبانه وتعالى الملائكة، فقد حاورهم عز وجل واستقبل طرهم وإن كان فيه ما يشبه الاعتراض على الله، فقد قال الملائكة — كما حكى القرآن الكريم ذلك —: {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ

بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ<sup>1</sup>، فكان ذلك جوابهم على قول الله تعالى: {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيقَةً}<sup>2</sup>، وهذا الحوار منه سبحانه للملائكة حوار تميز عن غيره؛ إذ هو نموذج أعلى حيث جعل سبحانه وتعالى من ذاته مثلاً أعلى للاستبصار بهذا الحوار النموذجي الإلهي، في مواقف تعرض لذي سلطان أو حكم أو جاه، جاء في تفسير المنار: أن هذه الآيات من التشابهات التي لا يمكن حملها على ظاهرها؛ لأنها بحسب قانون التخاطب إما استشارة، وذلك محال على الله تعالى، وإما إخبار منه سبحانه وتعالى للملائكة واعتراض منهم ومحااجة وجدال، وذلك لا يليق بالله سبحانه وتعالى أيضاً ولا بملائكته، ولا يوافقه ما جاء به الدين من وصف الملائكة بكونهم: {لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}<sup>3</sup>، ولكن المتأمل لهذه الآيات قد يتبادر إلى ذهنه ثمة معارضة من الملائكة لله تعالى على خلقه وقراراته، والواقع ليس كذلك، بل هو مجرد اختلاف في الرأي مع الله سبحانه وتعالى، وما كان لهم أن يضعوا أنفسهم في هذا الموقف مع الخالق سبحانه، ولكن الله وضعهم فيه ليعطي من خلاصهم لمخلوقاته دروساً في الشورى التي هي واجب على ولي الأمر، فجعل المولى عز وجل ذاته طرفاً في حوار يختلف فيه الرأي مع الملائكة في خلق آدم عليه السلام<sup>4</sup>.

وفيه إشارة لذوي الجاه والسلطان ألا يضيقوا ذرعاً بمن خالفهم، ولكن لتسع صدورهم وقلوبهم لقبول ما يواجههم من تساؤلات، بعيدين عن منطق الغضب ومنطق القوة في حوارهم، ضامنين للمخالف حريته، مع اعتمادهم الحجة والمنطق، حتى يتضح

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية: 29

<sup>2</sup> السورة نفسها، والآية نفسها

<sup>3</sup> سورة التحريم، الآية: 6

<sup>4</sup> ينظر تفسير المنار، 210/1

الحق فيرجع المجانب له عن رأيه إلى الصواب؛ إذ هذه هي الغاية والمقصد من أسلوب الحوار كأداة للتغيير.

2 حوار سبحانه لنبيه الخليل إبراهيم عليه السلام عندما سأل ربه قائلا: {رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى}، فحاوره ربه سبحانه حوارا علميا مقنعا، فقال له: {أَوَلَمْ تُؤْمِسْ}؟ قال: {بَلَىٰ وَلَٰكِنَّ لِّيَظْمِئَنَّ قُلُوبُكَ}.<sup>1</sup>

3 حوار عز وجل لنبيه نوح عليه السلام، فقد ناجى ربه ليتدارك ولده بالرحمة وينقذه من الغرق، فحاوره سبحانه مبينا له الصواب، قال الله تعالى: {وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِن أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ}  قَالَ يَبْنَوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِن أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ}  قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ} <sup>2</sup>، وقد أخبرنا القرآن الكريم أن نوحا عليه السلام دعا قومه ألف سنة إلا خمسين عاما فلم يؤمن منهم إلا قليل، فأرسل الله الطوفان على من كفر منهم، وكان ابنه مع الهالكين، فوقع سيدنا نوح عليه السلام بين صراعي النبوة كني مختار، وعاطفة الأبوة كإنسان تعتريه الصفات البشرية التي لا تقدر في نبوته، فرجع إلى ربه محاورا وقائلا: {رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِن أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ} <sup>3</sup> فأجابه الله عز وجل بقوله: {يَبْنَوحُ

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية: 259

<sup>2</sup> سورة هود، الآية: 45 — 47

<sup>3</sup> سورة هود، الآية: 45



إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ<sup>1</sup>، فبين له الحق سبحانه أنه عندما تعارضت رابطة النسب ورابطة العقيدة قدمت رابطة العقيدة.

4 حوار سبحانه لنبیه موسی علیه السلام حین سأل ربه رؤيته وذلك في قوله تعالى: {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرِيْنِي وَلَٰكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ، فَسَوْفَ تَرِيْنِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِفًا فَلَمَّا أَبَاقَ قَالَ سُبْحَنَكَ ثُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ<sup>2</sup>}

5 حوار سبحانه وتعالى لإبليس العاصي المخالف أوامر الله عز وجل، مع ذلك حاوره الله سبحانه ليعلم البشرية من خلال ذلك أن الحوار حق للمخطئ والمصيب، وهو القناة التي يمكن أن يتوصل عبرها إلى الحقيقة، فمن رفض محاوره مخالفه بدعوى أن الحق معه، وأن مخالفه على خطأ فليتذكر حوار الحق سبحانه لإبليس، وليستحضر أن الحوار أسلوب قرآني ومنهج رباني.

تباين بين وفرق كبير؛ إذ طرفا الحوار هنا هما: الأول هو الله الخالق سبحانه وتعالى العلي علوا كبيرا ، والثاني: هو أخط خلق الله مترلة، إنه إبليس.

لكن الله تعالى أنزل لنا في كتابه هذا الحوار القرآني ليبين لنا، أنه مهما كان الخصم وأيا كانت مرتبته وشدة خصومته، حتى ولو كان معاندا ومستكبرا، فما دام هناك قضية، فلا بد من سماع دعواه، قال الله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ

<sup>1</sup> سورة هود، الآية: 46.

<sup>2</sup> سورة الأعراف، الآية: 143

فُلْنَا لِلْمَلَكَةِ إِسْجُدُوا ۖ لَا دَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١٦﴾  
 قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ  
 مِن طِينٍ<sup>1</sup>، وفي موطن آخر: {وَإِذْ فُلْنَا لِلْمَلَكَةِ إِسْجُدُوا ۖ لَا دَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا  
 إِبْلِيسَ قَالَ ۖ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا}<sup>2</sup>، وقد عرض القرآن الكريم القصة في أكثر  
 من موضع؛ لنستثير بها في كل موضع نورا جديدا، وإيمانا متجددا، وأن الفضيلة إنما  
 تحصل للعبد بفضل الله عز وجل، لا بسبب فضل أصل العبد وجوهره، وأن الاعتبار  
 بالنهايات لا بسبب المادة والأصل.

## المصْلَبُ الثَّانِي: أسلوب السؤال والجواب

تتنوع أساليب وطرق القرآن المجيد في دعوة المشركين إلى توحيد الله عز وجل  
 وتصديق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، فمن ذلك أسلوب الدعوة عن طريق  
 السؤال والجواب، قال الله عز وجل: {قُلْ لِّمَنْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ  
 كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْفِيْئَةِ لَا رَيْبَ فِيْهِ الَّذِينَ  
 خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ}<sup>3</sup>، قال الفخر الرازي: "أمره بالسؤال أولا، ثم  
 بالجواب ثانيا، وهذا إنما يحسن في الموضع الذي يكون الجواب فيه قد بلغ في الظهور إلى  
 حيث لا يقدر على إنكاره منكر، ولا يقدر على دفعه دافع"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> سورة الأعراف، الآية: 10 — 11

<sup>2</sup> سورة الإسراء، الآية: 61

<sup>3</sup> سورة الأنعام، الآية: 13

<sup>4</sup> مفاتيح الغيب، 489/12

وقال تعالى: {فَلْ أَرِيتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَداً إِلَى يَوْمِ  
الْفَيْمَةِ مِإِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيَكُمْ بَلِيلٌ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَقْبَلًا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِنْ  
رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ  
تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾  
وَنَزَعْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيداً فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ  
عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} <sup>1</sup>.

فالناس بطبعهم وفطرتهم يشربون إلى إشراق الصبح عندما يطول بهم الليل،  
ويشتاقون إلى ضياء الشمس إذا توارت عنهم وراء السحاب، فماذا لو فقدوا الضياء؟  
وماذا لو أرخى عليهم الليل سدوله إلى يوم القيامة؟ فعلى الفرض والتقدير أنهم بقوا  
أحياء، فإن حياتهم كلها ستؤول إلى التلف والبوار، وفي المقابل يستروحون إلى ظلام  
الليل كلما طال عليهم الهجير حيناً من النهار، وتجدهم يحنون إلى الليل ويتخذون ظلامه  
وسكونه ملجأ وقراراً، وحياة بني آدم كلها في حاجة إلى الليل لتجدد ما أنفقوا من  
الطاقة في نشاط النهار، فكيف بهم لو ظل عليهم النهار سرمداً إلى الأبد؟ فعلى فرض  
استمرار حياتهم، فإن حياتهم كلها بذلك ستكون معرضة للتلف، آيلة للبوار، إن دام  
عليها النهار <sup>2</sup>.

<sup>1</sup> سورة القصص، الآيات: 72-75

<sup>2</sup> ينظر في ظلال القرآن، 2708/20

وقال كريسي موريسون<sup>1</sup>: "إن الشمس التي هي مصدر كل حياة، تبلغ درجة حرارة سطحها 12.000 درجة فهرنهايت، وكرتنا الأرضية بعيدة عنها إلى حد يكفي لأن تمدنا هذه النار الهائلة بالدفع الكافي، لا بأكثر منه، وتلك المسافة ثابتة بشكل عجيب، وكان تغيرها في خلال ملايين السنين من القلة، بحيث أمكن استمرار الحياة كما عرفناها، ولو أن درجة الحرارة على الكرة الأرضية قد زادت بمعدل خمسين درجة في سنة واحدة، فإن كل نبت يموت، ويموت معه الإنسان حرقاً أو تجمداً، والكرة الأرضية تدور بمعدل ثمانية عشر ميلاً في الثانية، ولو أن معدل دورانها كان مثلاً ستة أميال أو أربعين ميلاً في الثانية، فإن بعدنا عن الشمس أو قربنا منها يكون بحيث يمتنع معه نوع حياتنا، ولو أن شمسنا أعطت نصف إشعاعها الحالي فقط لكننا تجمدنا، ولو أنها زادت بمقدار النصف، لأصبحنا رماداً من زمن بعيد، هذا إذا كنا قد ولدنا بوصفنا شرارة بروتوبلازمية (خلية) للحياة، ومن ذلك نجد أن شمسنا هي الصالحة لحياتنا من بين ملايين الشمس غير الصالحة لهذه الحياة"<sup>2</sup>.

وإن تعاقب الليل والنهار بهذا النظام البديع الدقيق المحكم، ليدل دلالة واضحة على عظمة خالقها وقدرته سبحانه، وأنه المستحق للعبادة، لذلك كان الخطاب بأسلوب السؤال والجواب تبكيتاً لهم وإلزاماً لهم بالحجة.

<sup>1</sup> كاتب وعالم كيميائي أمريكي نصراني، رئيس سابق لأكاديمية العلوم بنيويورك، رئيس المعهد الأمريكي بمدينة نيويورك، عضو المعهد الملكي البريطاني، (ت1370هـ).

<sup>2</sup> العلم يدعو للإيمان، لكريسي موريسون، ص: 55 الطبعة الخامسة 1965م.

## المصلب الثالث: أسلوب عرض البراهين العقلية

فالقرآن الكريم لا يدعو إلى عقيدة غامضة، ولكنه يدعو للتي هي أقوم، نعم هي أقوم على كل المستويات وبأدلة مقنعة، وبراهين عقلية واضحة، ولا يهاجم معتقدا مخالفا لما يدعو إليه إلا بعد أن يقيم الحجة على تفاهته وبعده عن الصواب ومصلحة العباد عاجلا وآجلا، فتعدد المعبودات - مثلا - تجعل الناس عبيدا لهذه المعبودات، وتوقع الأعباء الكثيرة على كواهلهم من غير طائل يعود عليهم بذلك في دنياهم أو آخرتهم، قال تعالى: {ءَأَرْبَابٌ مُّتَّبِعُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٢٢﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءَ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ لَكُمْ إِلَهٌ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} <sup>1</sup>، فالقرآن الكريم يبين هنا في غاية الوضوح أن منطق العقل يحكم بأن مصلحة الإنسان تقتضي أن يكون له معبود واحد يستحق أن يعبد؛ لأنه خالقه ورازقه ونافعه وضاره ومعطيه ومانع، فرق عظيم وبون شاسع بين عبادة إله واحد، الكل يخضع لحكمه، وما يستتبعه ذلك من التخفيف على كواهل الناس من شعائر رهيبة، وأغلال تثقل الأعناق، وبين عبادة آلهة متعددة، تنشأ عنها اختلافات وشقاقات، كما ينفي القرآن الكريم أن يكون لتعدد المعبودات أساس من شرع أو حق، ولذلك دعا الناس في كل عصر أن يرجعوا إلى عقولهم ويخلصوا العبادة للخالق وحده، فذلك محض سعادتهم ومصلحتهم عاجلا وآجلا، قال الفخر الرازي: "إن كونه تعالى واحدا

<sup>1</sup> سورة يوسف، الآيتان: 39-40

يوجب عبادته؛ لأنه لو كان له ثان لم نعلم من الذي خلقنا ورزقنا، ورفع الشرور والآفات عنا، فيقع الشك في أننا هل نعبد هذا أم ذاك؟<sup>1</sup>.

وهذا الذي قاله الرازي هو بعض ما يفهم من بعض مقتضيات التوحيد، ومن ذلك قوله تعالى: {فَلِإِلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ءَآلَهُ خَيْرٌ آمَّا تُشْرِكُونَ}،<sup>2</sup> وفي الآية الكريمة استفسار إنكاري وتهكم وتقريع للمشركين، إذ من الواضح غياب الموازنة بين معبوداتهم التي لا تجلب لهم نفعا ولا تدفع عنهم ضرا، وبين من لا خير إلا خيره، ولا راد لقضائه ولا معقب لحكمه.

قال سيد قطب: "ويبدو هذا السؤال بهذه الصيغة وكأنه تهكم محض، وتوبيخ صرف؛ لأنه غير قابل أن يوجه على سبيل الجدل، أو أن يطلب عنه جواب"<sup>3</sup>.

ويستمر القرآن المجيد في عرض البراهين والحجج العقلية الدالة على وحدانية الله تعالى، وعظيم قدرته وبالع حكمته، قال الله تعالى: {أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنبِتُوا شَجَرَهَا ؕ أَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿١٢﴾ أَمْ مَنْ جَعَلَ الْأَرْضَ فَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ؕ أَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ أَمْ مَنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ؕ أَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ فَلْيَلَا مَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٤﴾ أَمْ مَنْ يَهْدِيكُمْ فِي

<sup>1</sup> مفاتيح الغيب، 458/18.

<sup>2</sup> سورة النمل، الآية: 61.

<sup>3</sup> في ظلال القرآن، 2655/20.

ظَلَمْتَ الْبَرَّ وَالْبَحْرَ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيْحَ نَشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۚ أَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى  
اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٦﴾ أَمْ يَبْدَوُا أَنْ يَخْلُقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ۖ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ  
وَالْأَرْضِ ۖ أَلَمْ يَكُنْ مَعَ اللَّهِ فَلْهَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ۚ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ<sup>1</sup>.

أسئلة مستمدة من واقع الكون حولهم، فهم يشاهدونه ويلمسونه ويستغلون خيراته،  
فمن نظر نظرة تدبر وتأمل في خلق السموات والأرض وما فيهما من إبداع واتساق،  
علم يقينا أنه لا يمكن أن يكون ذلك من قبيل الصدفة والاتفاق.

فالأرض التي هي مستقر الكائنات الحية، من إنسان وحيوان، والأنهار التي تجري  
خدمة لمصلحة الإنسان، والجبال التي جعلت أوتادا لتثبيت الأرض واستقرارها، وما  
جعله الله في البحار من حواجز تفصل بين المياه العذبة والمياه المالحة<sup>2</sup>، كل ذلك يدل  
على استحالة وجود شريك معه في ملكه سبحانه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

ويأتي الاستفهام الإنكاري هنا، لاستنهاض الذهن الخامل وبعثه على القيام بالموازنة  
بين من يجيب المضطر كلما دعاه لرفع ما نزل به من مكروه وبلاء، أو رفع ما ألم به من  
حوادث، وجعل أهل الأرض يعمرونها جيلا تلو الآخر، وبين معبودات لا تملك لنفسها  
دفع ضر ولا جلب مصلحة فضلا عن أن تنفع من يعبدونها.

ومن يرشدهم إلى حاجاتهم في أسفارهم وهم يقطعون الصحاري والبحار في ظلام

دامس؟

ومن يسوق الرياح مبشرات بترول الغيث رحمة للبلاد والعباد؟

<sup>1</sup> سورة النمل، الآية: 62-66

<sup>2</sup> ينظر تفسير ابن كثير، 6/203

إنه الله الخالق القادر المدبر، الغني المتزه عن مشاركة المخلوق العاجز له في ملكه سبحانه.

ثم تختم هذه الأسئلة المعجزة بسؤال المشركين عن الخلق والبعث والرزق: من بدأ خلق الإنسان؟ ومن يعيده بعد فناءه؟ ومن يرزقه؟

قال الزمخشري: "كيف قال لهم ذلك وهم منكرون للإعادة؟ والجواب: أنه قد أزيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والإقرار، فلم يبق لهم عذر في الإنكار"<sup>1</sup>، ثم قال لهم: {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ} إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ، قال أبو حيان: "وناسب ختم كل استفهام بما تقدمه، فلما ذكر إيجاد العالم العلوي والسفلي، وما امتن به من إنزال المطر، وإنبات الحقائق، اقتضى ذلك أن لا يعبد إلا موجد العالم، والممتن بما به قوام الحياة، فختم بقوله: {بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ}، أي: يعدلون عن عبادته، أو يعدلون به غيره مما هو مخلوق مخترع، ولما ذكر جعل الأرض مستقرا، وتفجير الأنهار وإرساء الجبال، وكان ذلك تنبيها على تعقل ذلك والفكر فيه، ختم بقوله: {بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}، ولما ذكر إجابة دعاء المضطر وكشف سوء واستخلافهم في الأرض ناسب أن يستحضر الإنسان دائما هذه المنة، فختم بقوله: {فَلْيَلَا مَا تَذَكَّرُونَ} إشارة إلى نسيان الإنسان إذا صار إلى الخير، بعد زوال سوء عنه، ولما ذكر الهداية في الظلمات، وإرسال الرياح مبشرات، ومعبوداتهم التي لا تهدي ولا ترسل، وهم يشركون بها، ختمه بقوله سبحانه: {تَعَلَّى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ}، واعتقب كل واحدة من هذه الجمل قوله: {أَلَا لَهُ مَعَ

<sup>1</sup> الكشاف، 3/377



اللَّهِ} على سبيل التوكيد والتقرير، إنه لا إله إلا هو تعالى"<sup>1</sup>، ترتيب واتساق وأسلوب في غاية من الدقة والإعجاز.

## المصـلب الرابع: أسلوب ضرب المثل

من أساليب القرآن الكريم في التغيير الفكري والعقدي أسلوب ضرب المثل للتذكير والاعتبار، وتصوير المعتقدات الفاسدة والنحل الباطلة بصور محسوسة؛ لما في ذلك من تقريب الحقائق إلى الأنظار، وتثبيتها في الأذهان، والإسراع في الفهم والامتثال، قال الله عز وجل: {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْفُرْعَانِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ}<sup>2</sup>، ومعنى المثل: الوصف، ومنه قوله تعالى: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلُّهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا}<sup>3</sup>، المثل في اللغة معناه: الشبه والتشبيه وزنا ومعنى في الجملة<sup>4</sup>، ونقل الميداني<sup>5</sup> عن المبرد<sup>6</sup>: المثل: مأخوذ من المثال، وهو: قول سائر يشبه به حال الثاني بالأول، والأصل فيه التشبيه<sup>7</sup>، وفي جمهرة

<sup>1</sup> البحر المحيط، 260/8 بتصرف

<sup>2</sup> سورة الزمر، الآية: 26

<sup>3</sup> سورة الرعد، الآية: 36

<sup>4</sup> لسان العرب، حرف اللام، فصل الميم، (مثل) 610/11

<sup>5</sup> هو: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري الأديب (ت518هـ)، من كتبه مجمع الأمثال الذي يعتبر مرجعا في بابيه، كان فاضلا عارفا باللغة، اختص بصحبة أبي الحسن الواحدي صاحب التفسير، ثم قرأ على غيره، وأتقن فن العربية خصوصا اللغة وأمثال العرب، روى الحديث وقال الشعر. ينظر كتاب وفيات الأعيان، 148/1.

<sup>6</sup> هو: أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان بن سليم بن سعد المبرد، من مشاهير النحو، ولد بالبصرة ثم انتقل إلى بغداد، سمع الكتاب من الجرمي والمازني، توفي عام 286هـ. ينظر تاريخ العلماء النحويين للتونخي (ت: 442هـ)، ص:

53

<sup>7</sup> مجمع الأمثال للميداني (ت: 518هـ) 5/1

الأمثال لأبي هلال العسكري<sup>1</sup> أن كل كلمة سائرة تسمى مثلاً، وقد يأتي القائل بما يحسن من الكلام أن يتمثل به، إلا أنه لا يتفق أن يسير فلا يكون مثلاً<sup>2</sup>، وقد نفى الله عز وجل المشابهة عن نفسه من كل وجه، فقال تعالى: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}<sup>3</sup>.

هذا وتعد الأمثال في القرآن الكريم مظهراً من مظاهر الإعجاز البياني الذي تحدى به القرآن المجيد فصحاء العرب ولسنهم دقة في التعبير، وبراعة في التصوير، وللأمثال القرآنية أهمية كبيرة في بيان مقصد الشارع وكشف الحقائق، وإقناع للعقل، وتأثير في الوجدان، وتقريب إلى الأفهام، وعرض للمعقولات في معرض المحسوسات، وتشبيه الغائب الغامض بالمنظور الحاضر، كما تكسي الأمثال المعاني أبهة، وتكسيها منقبة، وتحرك تجاهها النفوس؛ وذلك عن طريق تحويل الصور الأصلية إلى صور التمثيل، على اختلاف المعاني المقصود إيصالها إلى العقول. يقول عبد القاهر الجرجاني<sup>4</sup> — مبينا الأغراض التي تتغيها الأمثال — : " فإن كان ذما كان مسه أوجع، وميسمه ألدع، ووقعه أشد، وحده أحد. وإن كان حجاجا كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر،

<sup>1</sup> هو: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران أبو هلال اللغوي العسكري، غلب عليه الأدب والشعر، ويعرف الفقه أيضاً، وممن روى عنه: أبو سعد السمان، من تصانيفه: التلخيص في اللغة، وكتاب صناعتي النظم والنثر، وكتاب جمهرة الأمثال، ومعاني الأدب وغيرها، واختلف في تاريخ وفاته، وكان حيا سنة خمس وتسعين وثلاثمائة، ينظر الوافي بالوفيات لصالح الدين الصفدي (ت764هـ)، 50/12.

<sup>2</sup> ينظر جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري (ت: 95هـ)، 7/1.

<sup>3</sup> سورة الشورى، الآية: 9.

<sup>4</sup> هو: عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي، أخذ النحو عن ابن أخت الفارسي، ولم يأخذ عن غيره لأنه لم يخرج من بلده، كان من كبار أئمة العربية والبيان، وكان شافعيًا أشعريًا، من كتبه: المغني في شرح الإيضاح، المقتصد في شرحه أيضاً، إعجاز القرآن الكبير، والصغير، الجمل، العوامل المائة، العمدة في التصريف، وغيرها، مات سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، وقيل أربع وسبعين وأربعمائة. ينظر (بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة) لجلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، 2/ 106.

وبيانه أبحر. وإن كان افتخارا كان شأوه أمد، وشرفه أجد، ولسانه ألد. وإن كان اعتذارا كان إلى القبول أقرب، وللقلوب أخلب، وللسخائم أسل، ولغرب الغضب أفل، وفي عقد العقود أنفث، وحسن الرجوع أبعث. وإن كان وعظا كان أشفى للصدر، وأدعى إلى الفكر، وأبلغ في التنبيه والزجر...<sup>1</sup>.

وقد تنوعت الأغراض والمقاصد التي رامها القرآن الكريم واستهدفها من خلال ضرب المثل، حتى عزت عن العد والإحصاء، وجلت عن الحصر والاستقصاء، غير أنها تعود بمجموعها عند تأملها إلى الغرض الأم والهدف الأسمى، وهو تغيير الإنسان على مستويات عدة؛ من عقيدة وفكر وسلوك وتربية وخلق.

وقد اعتبر أبو الحسن علي بن محمد الماوردي الأمثال من أهم علوم القرآن، فقال: "من أعظم علم القرآن علم أمثاله، والناس في غفلة عنه"<sup>2</sup>، ولأهميتها أناطها القرآن الكريم بأهل العلم خاصة، وحصر فهمها وإدراكها فيهم دون من سواهم، فقال سبحانه: {وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}<sup>3</sup>، وقد ذكرت لفظة مثل ومشتقاتها في القرآن الكريم أكثر من مائة مرة.<sup>4</sup>

## نماذج من أسلوب ضرب المثل في القرآن العبيد

1 من الأمثال التي ضربها الله تعالى لغباء المشركين، المخالفين لنهج أنبيائه — حيث اتخذوا آلهة من دون الله، يرجون نفعها وهي لا تملك لهم ولا لنفسها جلب نفع ولا دفع ضر — : ضرب المثل بالعنكبوت اتخذت بيتا، بيتا لا يغني عنها في حر ولا

<sup>1</sup> أسرار البلاغة للجرجاني (ت: 471هـ) ص: 115

<sup>2</sup> الإتقان في علوم القرآن، 44/4

<sup>3</sup> سورة العنكبوت، الآية: 43

<sup>4</sup> المعجم المفهرس، لمحمد فؤاد عبد الباقي (ت: 1968م)، ص: 659 — 661

برد، ولا مطر ولا أذى، قال تعالى: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ إِتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} <sup>1</sup>.

قال ابن كثير: "هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين في اتخاذهم آلهة من دون الله، يرجون نصرهم ورزقهم ويتمسكون بهم في الشدائد، فهم في ذلك كبيت العنكبوت في ضعفه ووهنه، فليس في أيدي هؤلاء من آلتهم، إلا كمن يتمسك ببيت العنكبوت، فإنه لا يغني عنه شيئاً، فلو علموا هذا الحال لما اتخذوا من دون الله أولياء، وهذا بخلاف المسلم المؤمن قلبه لله، وهو مع ذلك يحسن العمل في اتباع الشرع، فإنه متمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها لقوتها وثباتها" <sup>2</sup>.

وقال القرطبي: "وهذا مثل ضربه الله سبحانه لمن اتخذ من دونه آلهة لا تنفعه ولا تضره، كما أن بيت العنكبوت لا يقيها حراً ولا برداً" <sup>3</sup>.

وقال ابن القيم: "وهذا من أحسن الأمثال، وأدلها على بطلان الشرك، وخسارة صاحبه، وحصوله على ضد مقصوده" <sup>4</sup>.

**2** ضرب القرآن الكريم المثل في بيان حقارة معبودات المشركين وتفاهتها بالذباب، قال الله عز وجل: {يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ

<sup>1</sup> سورة العنكبوت، الآية: 41

<sup>2</sup> تفسير ابن كثير 279/6

<sup>3</sup> الجامع لأحكام القرآن، 363/16

<sup>4</sup> الأمثال في القرآن، لابن القيم (ت: 751هـ)، ص: 1

تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْفِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَلُوبُ<sup>1</sup> .

قال ابن قيم الجوزية: "حقيق على كل عبد أن يستمع لهذا المثل، ويتدبره حق تدبره، فإنه يقطع موارد الشرك من قلبه، وذلك أن المعبود أقل درجاته أن يقدر على إيجاد ما ينفع عابده، وإعدام ما يضره، والآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله لن تقدر على خلق ذباب، ولو اجتمعوا كلهم لخلقهم، فكيف ما هو أكبر منه؟ ولا يقدر على الانتصار من الذباب، وإذا سلبهم الذباب شيئاً مما عليهم من طيب ونحوه، فيستنقذونه منه فلا هم قادرون على خلق الذباب الذي هو من أضعف الحيوان، ولا على الانتصار منه، واسترجاع ما يسلبهم إياه، فلا أعجز من هذه الآلهة، ولا أضعف منها، فكيف يستحسن عاقل عبادتها من دون الله تعالى؟

وهذا المثل من أبلغ ما أنزل الله سبحانه في بطلان الشرك، وتجهيل أهله وتقييح عقولهم، والشهادة على أن الشياطين قد تتلاعب بهم أعظم من تتلاعب الصبيان بالكرة ... إلى أن يقول: وأدل من ذلك على عجزهم وانتفاء آلهتهم، أن هذا الخلق الأقل الأذل العاجز الضعيف، لو اختطف منهم شيئاً واستلبه، فاجتمعوا على أن يستنقذوه منه، لعجزوا عن ذلك ولم يقدرُوا عليه..<sup>2</sup>

**3** ضرب الله تعالى لهم مثلاً من أنفسهم، إقامة للحجة عليهم بما لا يستطيعون إنكاره، فإذا كانوا يعترفون أن الله خالقهم فكيف يسوغون لأنفسهم أن يشركوا معه غيره؟ قال الله تعالى: {ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ مِّنْ مَّلَكَةٍ

<sup>1</sup> سورة الحج، الآية: 71

<sup>2</sup> إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم (ت: 751هـ)، 139/1

أَيْمَنُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ<sup>1</sup>.

قال ابن كثير: "هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين به، العابدين معه غيره، الجاعلين له شركاء وهم مع ذلك معترفون أن شركاءه من الأصنام والأنداد عبيد له، ملك له كما كانوا يقولون: لبيك لا شريك لك، إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك"<sup>2</sup>.

وقال ابن القيم: "وهذا دليل قياس احتج الله سبحانه به على المشركين، حيث جعلوا له من عبيده وملكه شركاء، فأقام عليهم حجة يعرفون صحتها من نفوسهم، ولا يحتاجون فيها إلى غيرهم، ومن أبلغ الحجاج أن يأخذ الإنسان من نفسه، ويحتج عليه بما هو في نفسه مقرر عندها معلوم لها.

والمعنى: هل يرضى أحد منكم أن يكون عبده شريكه في ماله وأهله، حتى يساويه في التصرف في ذلك، فهو يخاف أن ينفرد في ماله بأن يتصرف فيه، كما يخاف غيره من الشركاء والأحرار، فإذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم، فلم عدلتم لي من خلقي من هو مملوك لي؟ فإن كان هذا الحكم باطلاً في خاطركم وعقولكم، مع أنه جائز عليكم، وممكن في حقكم، إذ ليس عبيدكم ملكاً لكم حقيقة، وإنما هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، وأنتم وهم عبادي، فكيف تستجيزون مثل هذا الحكم في حقي؟ مع أن من جعلتموهم لي شركاء عبيدي وملكي وخلقي، فهكذا يكون تفصيل الآيات لأولي العقول"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> سورة الروم، الآية: 27

<sup>2</sup> تفسير ابن كثير، 312/6

<sup>3</sup> الأمثال في القرآن، لابن القيم، ص: 21

4 — ومن ذلك قول الله تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ

مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} <sup>1</sup>، في هذه الآية شبه القرآن الكريم المشركين بالله بالمملوك الذي يشترك فيه أناس كثيرون، فهم شركاء فيه، وبينهم تشاكس واختلاف، فهم يتنازعونه في حاجاتهم، هذا يأمره، وذاك ينهاه ويأمره بمخالفة ما أمره به غيره، وثالث يأمره أن يشرك، ورابع يغربه، مما يجعل المملوك المشرك في حيرة واضطراب، لا يدري السبيل إلى إرضائهم؟ وفي المقابل شبه من يوحد الله بالعبد الذي يملكه شخص واحد، حسن الأخلاق، لين الجانب، لا منازعة ولا معارضة مما يحقق للعبد الاستقرار والهدوء، فيوجه إليهم القرآن في ذلك السؤال الذي يملكون جوابه، قال الرازي: "وهو مثل ضرب في غاية الحسن في تقييح الشرك وتحسين التوحيد" <sup>2</sup>.

5 — ومن الأمثال التي ضربها القرآن الكريم قصد التنويه بالتوحيد والتشجيع على الشرك قول الله تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِيَانِ ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ ۚ

<sup>1</sup> سورة الزمر، الآية: 28

<sup>2</sup> مفاتيح الغيب، 451/26

وَمَنْ يَأْمُرْ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ<sup>1</sup>، ففي هذه الآية مثالان كلاهما في غاية من الأهمية:

الأول: ضربه الله عز وجل لنفسه وللمعبودات الباطلة، وذلك أن مثل المشركين مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف، وبين شخص يتمتع بحريته يتصرف في شؤونه كما يشاء، وهما في البشرية سيان، فما الظن بالخالق سبحانه الذي أشركوا به أعجز المخلوقات؟ وهو المالك لكل شيء، ينعم على خلقه ليلاً ونهاراً، والأوثان مملوكة عاجزة لا تقدر على شيء.

وقيل هو للمؤمن والكافر، وهو قول ابن عباس وقتادة، فالكافر هو الذي لا يقدر على شيء؛ لأنه عديم الخير، وصاحب الرزق أريد به المؤمن، لما لديه من الخير<sup>2</sup>. وقد علق ابن القيم على القولين فقال: "والقول الأول أشبه بالمراد، فإنه أظهر في بطلان الشرك، وأوضح عند المخاطب، وأعظم في إقامة الحجة، وأقرب نسبا بقوله: {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئاً وَلَا يَسْتَطِيعُونَ}  فَلَا تَضُرُّوهُ لِيْلِهِ إِلَّا مَثَالٌ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ<sup>3</sup>4".

الثاني: هو مثل ضربه الله عز وجل لنفسه، ولما يعبدون من دونه من الأصنام الباطلة، فشبه الصنم بمثلة الأبكم الذي لا ينطق ولا يعقل، ولا يقدر على شيء، فحيثما وجهه صاحبه لا يأتيه بخير، فهل يستوي الرجل الأخرس الذي لا يفيد شيئاً، والرجل البليغ المتكلم بأفصح بيان، السائر على طريق الحق والهدى والاستقامة؟

<sup>1</sup> سورة النحل، الآيتان: 75-76

<sup>2</sup> ينظر زاد المسير، 573/2

<sup>3</sup> سورة النحل، الآيتان: 73-74

<sup>4</sup> الأمثال في القرآن، ص: 22



يتبين من هذا أن ضرب المثل من الوسائل التي أثبت الله تعالى بها قدرته العظيمة، وعجز كل ما عبد من دونه، فهو من الأساليب التي أقام بها القرآن الحجة على من أشركوا.

## المصطلب الخامس: أسلوب الجدل

جاء في لسان العرب: "الجدل هو: اللد في الخصومة والقدرة عليها... يقال: جادلت الرجل فجادلته جدلاً، أي: غلبته، ورجل جدل إذا كان أقوى في الخصام"<sup>1</sup>. وفي مقاييس اللغة لابن فارس: "الجيم والدا واللام، أصل واحد، وهو من باب استحكام الشيء في استرسال"<sup>2</sup>.

وفي الحديث: "أنا خاتم النبيين في أم الكتاب، وإن آدم لمنجدل في طينته"<sup>3</sup>. تبين من خلال ما سبق أن الجدل يعني في اللغة اللد في الخصومة، ومراجعة الكلام. أما اصطلاحاً فقد عرفه أبو البقاء<sup>4</sup> في كتابه: الكليات، فقال: "الجدل هو عبارة عن دفع المرء خصمه عن فساد قوله بحجة أو شبهة، وهو لا يكون إلا بمنازعة غيره"<sup>5</sup>. وقال أحمد الفيومي<sup>1</sup> في المصباح المنير — بعد ذكره معنى الجدل في اللغة — : "ثم استعمل على لسان حملة الشرع في مقابلة الأدلة؛ لظهور أرجحها، وهو محمود إن كان للوقوف على الحق، وإلا فمذموم"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> لسان العرب، فصل الجيم، (جدل)، 105/11

<sup>2</sup> معجم مقاييس اللغة، (جدل)، 433/1

<sup>3</sup> المستدرک علی الصحیحین، باب ذکر أخبار سید المرسلین وخاتم النبیین محمد بن عبد الله، للحاکم، الحديث رقم: 4175،

وصحيح ابن حبان، باب ذكر كتبة الله جل وعلا عنده محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين، الحديث رقم: 4604

<sup>4</sup> أيوب بن موسى الحسيني القريشي الكفوي أبو البقاء صاحب (الكليات)، كان من قضاة الأحناف، ولي القضاء في كفة وبتركيا، وبالقُدس، وببغداد، توفي بأستنبول عام 1094هـ. الأعلام للزركلي، 38/2

<sup>5</sup> كتاب الكليات، لأبي البقاء الكفوي، ص: 353

والجدل في القرآن الكريم أنواع، منها:

1\_\_\_\_\_ الرد على المعاندين ومطالبتهم بالحجة والبرهان والتي هي أحسن، وهذا ما جاء على ألسنة الرسل والأنبياء عليهم السلام، قال الله تعالى: {وَجَدِلْهُمْ بَالِيتٍ هِيَ أَحْسَنُ} <sup>3</sup>، وقال سبحانه: {وَلَا تُجَدِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} <sup>4</sup>.

2- الحوار قصد الترجي استرشادا واستطلاعاً، ومنه جدل إبراهيم عليه السلام مع الله عز وجل بسبب تأخير العذاب عن قوم لوط عليه السلام، قال الله تعالى: {قَلَمَّا ذَهَبَ عَنِ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجْدِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ} <sup>5</sup>.  
ومنه جدال الملائكة: {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ فَالَوْ أَن تَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْشُ نُسِخَ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ} <sup>6</sup>.

---

<sup>1</sup> هو أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس: لغوي، اشتهر بكتابه (المصباح المنير) وله كتب أخرى، منها: (نثر الجمان في تراجم الأعيان) ولد ونشأ بالفيوم (بمصر) ورحل إلى حماة بسورية، توفي نحو 770هـ. الأعلام للزركلي بتصرف، 224/1

<sup>2</sup> المصباح المنير لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت770هـ)، مادة (ج د ل)، 93/1

<sup>3</sup> سورة النحل، الآية: 125

<sup>4</sup> سورة العنكبوت، الآية: 46

<sup>5</sup> سورة هود، الآية: 73

<sup>6</sup> سورة البقرة، الآية: 29

ومن ذلك جدال خولة بنت ثعلبة المذكورة في سورة المجادلة قال الله تعالى: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ} <sup>1</sup>.

3- منه اعتراضات الحق والدعاوي الباطلة، كما قال تعالى: {وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ} <sup>2</sup>.

وواضح أن الجدل في القرآن المجيد يستهدف ويتغى إثبات الوحدانية لله تعالى بأدلة وبراهين، في أسلوب واضح جلي، وقد سلك القرآن الكريم في الجدل والاستدلال على وحدانية الله تعالى مسلكين اثنين:

**أحدهما:** إقامة الدليل على وحدانية الله تعالى بانتظام الكون وتناسقه العجيب، وسلامته من أي خلل أو فساد أو تصادم، من ذلك ما يسمى عند علماء الكلام بدليل التمانع، ومنه قول الله تعالى: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ} <sup>3</sup>؛ أي لو كان في السموات والأرض آلهة أخرى غير الله، لفسدتا وهلك من فيهما، إذ لو كان فيهما آلهة متعددة، فإما أن يختلفوا أو يتفقوا في التصرف في الكون، أما الأول فظاهر البطلان؛ لأنه إما أن ينفذ مرادهم جميعاً، فيريد بعضهم الإيجاد وبعضهم لا يريده، فيثبت بذلك الوجود والعدم لشيء واحد اختلفوا فيه، وإما أن ينفذ مراد بعضهم، فيكون البعض الآخر مغلول اليد موصوفا بالعجز،

<sup>1</sup> سورة المجادلة، الآية: 1

<sup>2</sup> سورة غافر، الآية: 4

<sup>3</sup> سورة الأنبياء، الآية: 22

والإله لا يكون كذلك، والثاني باطل أيضا؛ لأنهما إذا أوجدها معا توارد الخلق من خالقين على مخلوق واحد.

فثبت إذن بالدليل المنطقي أن المدير للسموات والأرض لا يكون إلا واحدا، وأن ذلك الواحد لا يكون إلا الله، قال: {بَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ}، وقال تعالى: {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ} <sup>1</sup>.

قال ابن القيم: "فلا بد من أحد أمور ثلاثة: إما أن يذهب كل إله بخلقه وسلطانه، وإما أن يعلو بعضهم على بعض، وإما أن يكونوا كلهم تحت قهر إله واحد، يتصرف فيهم ولا يتصرفون فيه، ويمتنع من حكمهم ولا يمتنعون من حكمه، فيكون وحده هو الإله الحق، وهم العبيد المربوبون المقهورون، وانتظام أمر العالم العلوي والسفلي وارتباط بعضه ببعض، وجريانه على نظام محكم لا يختلف ولا يفسد، من أدل دليل على أن مدبره واحد، لا إله غيره" <sup>2</sup>، وقال تعالى: {قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ إِذَا لَآتَبَغَوْا إِلَيَّ لَأَعْرَضَ سَبِيلًا} <sup>3</sup>، أي "إذا لطلبوا مع الله منازعة وقتالا، كفعل ملوك الدنيا بعضهم ببعض" <sup>4</sup>.

<sup>1</sup> سورة المؤمنون، الآية: 92

<sup>2</sup> التفسير القيم، لابن القيم، ص: 388

<sup>3</sup> سورة الإسراء، الآية: 42

<sup>4</sup> الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي (ت: 427هـ)، 101/6، وهذا أحد وجهي تفسير الآية الكريمة، والوجه الآخر لو كان الأمر كما تقولون، لكان أولئك المعبودون يبتغون سبيلا إلى التقرب إليه بعبادته، وطاعته ويطلبون الزلفى لديه، وهو قول قتادة واختيار ابن جرير.

**ثانيهما:** التركيز على إبطال آلهة المشركين ومعبوداتهم، ومناقشتهم فيها مناقشة واضحة صريحة إذ لا تخلق ذبابة، ولا تدفع عن أنفسها ضرا، ولا تجلب نفعاً، فضلاً عن نفع غيرها أو إضراره، مما يدل على أنها أسماء ما أنزل الله بها من سلطان، وأنها ليست إلا وليدة الهوى والظن.

ومن أصنام العرب المشهورة اللات والعزى، ومناة، قال تعالى: {أَقْرَأْتُمْ آلَ لَآتٍ وَالْعَزَّىٰ} ١٩ وَمَنْوَةَ الثَّالِثَةَ الْآخِرَىٰ} ٢٠ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْإُنثَىٰ} ٢١ تِلْكَ إِذًا فِسْمَةٌ ضِيزَىٰ} ٢٢ إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ} <sup>1</sup>، والمجادلة هنا هي أنهم كانوا يعظمون البنين ويحتقرون الإناث، فكيف نسبوا ما يحتقرونه إلى الله؟ وما يحبونه ويعظمونه نسبوه لأنفسهم؟ فهي — لعمر الله — قسمة جائزة وضيّزى، حتى بين المخلوقين، فكيف بينهم وبين رب العالمين؟ <sup>2</sup>، كما بينت الآية الكريمة أمر معبوداتهم وكشفت حقيقتها، وأنها أسماء جاءت من نسج الخيال، وأنهم لم يستندوا في تسميتها ولا عبادتها إلى علم أو برهان، وإنما استندوا إلى مجرد الظن والتخريص.

<sup>1</sup> سورة النجم، الآيات: 19 - 23

<sup>2</sup> التفسير الحديث، لعزة دروزة (ت: 1404هـ)، 99/2

## المصطلب السادس: أسلوب الترغيب والترهيب

الترغيب والترهيب أسلوب قرآني، استعمله القرآن الكريم أداة للتغيير على مستويات عدة، وقد ورد في أكثر من موضع من القرآن الكريم، بل لا تخلوا منه سورة من سوره.

ولأن العنصر البشري المراد تغييره بالقرآن قبل غيره في حاجة إلى أسلوب الترغيب والترهيب، فهو أسلوب تربوي تسعى إلى تطبيقه اليوم المنظومات التربوية الحديثة، بغض النظر عن مدى اعترافها بسبق القرآن الكريم لهذا الأسلوب من عدمه.

إذا كان المقصود من الترغيب هو: كل ما يشوق المدعو إلى الاستجابة وقبول الحق والتمسك به، وكان المقصود من الترهيب: كل ما يخيف ويحذر المدعو من عدم الاستجابة أو رفض الحق، أو عدم التمسك به بعد قبوله، فإن القرآن الكريم قد اتخذ هذا الأسلوب أداة لتحقيق جملة من المقاصد والغايات، وفي مقدمتها تغيير الإنسان عقيدة وفكرا.

وكثيرة هي صور الترغيب والترهيب في القرآن المجيد، اعتمدها القرآن الكريم في تغيير النفس البشرية من الضلال إلى الهدى، ومن الشقاء إلى السعادة، ومن كل شر إلى كل خير، وكان الترغيب والترهيب شعارا لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم، بل هو شعار الرسالات السماوية كلها، فكان الأنبياء والرسل جميعا مبشرين ومنذرين، قال الله تعالى: {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مَبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ} <sup>1</sup>.

وواضح أن الغاية من رسالات الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام هي: نقل الناس مما فيه هلاكهم إلى ما فيه صلاحهم عاجلا وآجلا، وكثيرا ما نجد في القرآن

<sup>1</sup> سورة الأنعام، الآية: 49

الكريم الترغيب والترهيب كأداة للتغيير مرتبطين بالثواب والعقاب، فالترغيب يؤول إلى الثواب، والترهيب يؤول إلى العقاب، فالترغيب عبارة عن حث المكلف وحضه على ما يجمل فعله قبل فعله، بينما الترهيب عبارة عن زجر الإنسان عن فعل ما يقبح فعله قبل فعله.

أما المجالات التي رغب فيها القرآن الكريم فكثيرة، أكتفي منها بنماذج، منها:

## 1 الترغيب في تحقيق التوحيد لل

إن الهدف الأساس والمقصد الأسمى الذي من أجله خلق الله الخلق، وأنزل الكتب وأرسل الرسل، هو تحقيق العبودية لله رب العالمين، قال الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}<sup>1</sup>، وقال تعالى: {يَتَأْتِيهَا النَّاسُ مُعْبِدُونَ رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} (٢٠) الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ<sup>2</sup>، هذا خطاب للناس جميعا يحثهم على الاعتراف بنعم الله، مستدلين بها على لزوم عبادة الله ووجوبها له سبحانه.

## 2 الترغيب في العبادة

العبادات قسمان، قسم يعتبر عبادة محضة يتعلق بالله عز وجل، وقسم عبادة لله أيضا، لكن له تعلق بالمكلفين أنفسهم؛ بحيث ينظمهم في شؤونهم الاجتماعية والاقتصادية.

<sup>1</sup> سورة الذاريات، الآية: 56

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآيتان: 20—21

فمثال الأول: الصلاة، ومثال الثاني: الزكاة، وقد رغب القرآن الكريم في هاتين العبادتين في أكثر من موضع، من ذلك قول الله تعالى: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُفَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} <sup>1</sup>، وقد تكرر الترغيب في الصلاة كثيرا في القرآن الكريم وارتبط ذكرها ببعض مقاصدها الروحية والتربوية والاجتماعية، من ذلك قول الله تعالى: {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ} <sup>2</sup>.

أما الزكاة فقد رغب فيها القرآن الكريم؛ لما لها من أثر في توطيد العلاقة بين أطراف المجتمع، ولئلا يكون المال دولة بين الأغنياء، ثم إن الزكاة وسيلة لتطهير النفوس: نفوس الأغنياء من البخل والشح وحب عرضها الزائل، وتطهير لنفوس الفقراء من الحقد والضغينة على أرباب الأموال، قال الله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتِكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} <sup>3</sup>، فالزكاة إذن طهارة للنفوس، وتزكية للأرواح، وتنمية للمال، وصيانة للمجتمع من الأحقاد والضغائن التي من شأنها تخريب المجتمعات.

### 3 الترغيب في التوبة والإنابة إلى الله

كثيرا ما يقنط الإنسان نتيجة إسرافه على نفسه بالذنوب من جهة، ونتيجة جهله بسعة رحمة الله تعالى من جهة ثانية، فيرى أن كثرة ذنوبه تفقده الأهلية لنيل قبول توبته عند ربه، وهو سوء أدب مع الله، بل الله يفرح بتوبة عبده إذا تاب وأتاب، مع أنه

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية: 109

<sup>2</sup> سورة العنكبوت، الآية: 45

<sup>3</sup> سورة التوبة، الآية: 104



سبحانه غني عن العالمين، وهم الفقراء إليه، قال الله تعالى: {فَلْ يَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَفْنَوْا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ}<sup>1</sup>، وفي الآية ما لا يخفى من مظاهر رحمة الله بعباده، فقد دلت على وسع رحمته بهم؛ حيث أضافهم لنفسه: (عبادي) ثم نهاهم عن القنوط من رحمته مهما أكثروا من الذنوب، ثم أخبر أنه سبحانه يغفر الذنوب جميعا، وفي لباب التأويل في معاني التنزيل للخازن: "وفي الآية رد على المعتزلة والقدرية حيث قالوا: لا يجوز في الحكمة أن يغفر لصاحب كبيرة، وعند أهل السنة أن الله تعالى يفعل ما يشاء لا مكره له ولا حرج عليه"<sup>2</sup>، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ}<sup>3</sup>، قال محمد علي الصابوني: "وهذا إطماع من الله لعباده في قبول التوبة، تفضلا منه وتكرما، لأن العظيم إذا وعد وفى"<sup>4</sup>؛ لأنه الفاعل المختار سبحانه، بخلاف العبد فإنه إذا لم يؤت من ضعفه أوتي من طمعه، لذلك يفي أحيانا ويخلف أخرى.

## نماذج الترهيب في القرآن الكريم

من المواضيع التي ورد الترهيب منها في القرآن الكريم:

<sup>1</sup> سورة الزمر، الآية: 50

<sup>2</sup> تفسير الخازن، 387/1

<sup>3</sup> سورة التحريم، الآية: 8

<sup>4</sup> صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، 410/3

## 1 الترهيب من الكفر بالله وآياته

من المعاصي التي رهب منها القرآن الكريم لكونها تسبب لصاحبها الشقاء الأبدي إن مات عليها: الكفر بالله وآياته، وقد أغلظ القرآن الكريم القول فيها ترهيباً منها ومن سوء عاقبة صاحبها، قال الله تعالى: {وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ} <sup>1</sup>، كما رهب الله تعالى من كفران النعم التي من الله بها على العباد، وأغدقها عليهم حتى إنهم ليعجزون عن عدها وإحصائها لكثرتها، قال الله تعالى: {وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَنَسِّنْ لَظُلُومًا كَقَبَارٍ} <sup>2</sup>، نعم من جحدها وبدلها كفراً كان مصيره في الدنيا زوالها عنه وتحولها إلى غيره، وفي الآخرة عذاب أليم.

## 2 الترهيب من التكذيب بالغيب

حذر القرآن الكريم من التكذيب بالغيب، وذلك أن الغيب هو جوهر الفكرة الإيمانية، ويشمل الغيب وجود الله واليوم الآخر والحساب والعقاب والجنة والنار، قال الله تعالى: {بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا} <sup>3</sup> إِذَا رَأَوْهُمْ مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا <sup>3</sup>.

<sup>1</sup> سورة الملك، الآية: 6

<sup>2</sup> سورة إبراهيم، الآية: 36

<sup>3</sup> سورة الفرقان، الآية: 11 — 12

### 3 الترهيب من قتل النفس بغير حق

رهب القرآن الكريم من قتل النفس بغير حق، وأوجب لمن فعل ذلك جهنم خالدا مخلدا فيها، وأنزل عليه غضبه، وألحق به اللعنة، قال تعالى: {وَمَنْ يَفْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَعَزَّازُوهُ جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا} <sup>1</sup>.

هكذا استعمل القرآن المجيد أسلوب الترغيب والترهيب في تغيير الإنسان في كثير من المجالات، فهو مما يلائم طبيعة الإنسان التي تميل إلى كل ما هو محبوب، سيما إذا رغبت فيه، وتنفر من كل ما هو مستقبح لذا الطباع السليمة، سيما إذا رهبت منه، وذكرت بمآل صاحبه وجزائه.

---

<sup>1</sup> سورة النساء، الآية: 92

# الفصل الثاني

— الفصل الثاني: التغيير الأخلاقي في القرآن الكريم، وفيه

ثلاثة مباحث

— المبحث الأول: علاقة الأخلاق بالعقيدة في القرآن المجيد،

— المبحث الثاني: العبادات والتغيير الأخلاقي،

— المبحث الثالث: التغيير بالقوة في القرآن المجيد،

## المبحث الأول: علاقة الأخلاق بالعقيدة في القرآن الكريم

لا يمكن الحديث عن الأخلاق بعيداً عن العقيدة، فقد ربط القرآن الكريم بين المفهومين: العقيدة والأخلاق في أكثر من موضع؛ للدلالة على أنهما لا ينفكان، فتكون الأخلاق الحسنة بمثابة مظاهر ودلالات على صحة الاعتقاد.

### المصطلح الأول: مكانة التغيير الأخلاقي في القرآن الكريم

تبوأ التغيير الأخلاقي في القرآن المجيد مكانة مهمة، حيث عني بالأخلاق عموماً، وبالتغيير الأخلاقي بصفة خاصة، حتى أثنى الله على سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلْيِ عَظِيمٍ}<sup>1</sup>، فعمل القرآن الكريم — عبر موضوع الأخلاق — على بناء الإنسان السوي، الخالي من الأمراض الفتاكة بالمجتمعات: الأمراض القلبية والنفسية، مثل الحسد والبغض والكراهية وغيرها من سوء الأخلاق التي تمجها الفطرة، ويرفضها العقل السليم، كما قال ابن حزم رحمه الله: "لذة العاقل بتميزه، ولذة العالم بعلمه، ولذة الحكيم بحكمته، ولذة المجتهد لله تعالى باجتهاده، أعظم من لذة الأكل بأكله، والشارب بشربه، والكاسب بكسبه..."<sup>2</sup>.

هذا ويمكن إجمال أهمية التغيير الأخلاقي في القرآن الكريم في دعوته إلى تحقيق ما يأتي:

1 — تكوين شخصية إنسانية تعزز بهويتها الدينية والاعتقادية: شخصية تقدم بين يديها أخلاقها كوسيلة عظمى للتعريف بهويتها ودينها والدعوة إليه، قبل الدعوة

<sup>1</sup> سورة ن، الآية: 4

<sup>2</sup> الأخلاق والسير في مداواة النفوس، لابن حزم الأندلسي (ت: 456هـ)، ص: 13

باللسان والخطب، ومن وصايا النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم: "اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن"<sup>1</sup>.

2 ————— بناء مجتمع إنساني تسود بين أفرادهِ روح التضامن والتكافل الاجتماعي، يتآمرون بالمعروف ويتناهون عن المنكر، قال الله تعالى: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} <sup>2</sup> وَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

3 ————— التجانس الاجتماعي والرقى الإنساني، وتبادل التعامل الإيجابي، الذي من شأنه أن يحقق الأمن على النفوس والأموال والأعراض، ويرتقي بالحياة إلى المستوى اللائق بالإنسان، يقول محمود شاكر: "وهذه العناية بالأصل الأخلاقي هي التي حفظت على الثقافة الإسلامية تماسكها وترابطها مدة أربعة عشر قرناً مع كل ما مر عليها من القوارع والنكبات، ووقائع الدهر على طول المدى"<sup>3</sup>، وفي سورة الحجرات دعا القرآن الكريم إلى التخلق بالأخلاق الفاضلة، ونبذ الأخلاق الذميمة، على مستوى الأفراد والجماعات، وبين الحكمة من خلق الناس ذكورا وإناثا، وجعلهم شعوبا وقبائل، وأن ذلك لحصول التعارف والتآلف، لا للتدابير والتخالف.

<sup>1</sup> مستدرك الحاكم، حديث سمرة بن جندب، رقم الحديث: 178. ومسنند أحمد، حديث أبي ذر الغفاري، رقم الحديث: 21354.

<sup>2</sup> سورة التوبة، الآية: 72

<sup>3</sup> رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، لمحمود شاكر، ص: 33

## المصلب الثاني: أثر العقيدة في النفس قبل السلوك

النفس البشرية — بما أودع الله فيها من قبول الحق واختياره — لو سلمت لفطرهما المتناغمة مع الكون ما وسعها إلا الإيمان بربها، هذه الفطرة التي تنادى من قبل آيات الكون الدالة على عظمة الباري، فمن عبد غير الله فقد خالف الفطرة قبل أن يخالف النصوص الشرعية، فإن ما أودع الله في الإنسان من الفطرة والقابلية للحق، وما أودع في الكون من آياته الدالة على قدرته كاف للدلالة على وجود خالق هذا الكون، وإنما أنزل الله الكتب وأرسل الرسل والأنبياء لإقامة الحجة على الخلق، قال الله: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِنَبِيٍّ يَكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} <sup>1</sup>، بصحة الاعتقاد المقتضي للإيمان بالله والاستسلام له، يتحرر الإنسان من أي سلطة تريد التحكم في قلبه ووجدانه، وبذلك يحدد الوجهة التي يختار سلوك طريقها، ولا يتأثر بعد رسوخ عقيدة الإيمان في قلبه بأي باطل مزيف حوله، وتوحيد الإنسان ربه وعبادته له شرف لإنسانيته؛ إذ بعقيدة التوحيد يحررها من أن تهمان بالشرك، ويصونها من الحيرة التي تنتج عن تعدد المعبودات التي لا تضر ولا تنفع، قال الله تعالى: {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا لِّلْحَمْدِ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ} <sup>2</sup>، وكل الناس — فرادى وجماعات — يرومون الحرية وينشدونها، ولا سبيل إليها إلا بتوحيد الله عز وجل، عقيدة التوحيد هي الضامنة لحرية الإنسان، وبها يدرك حقيقة الوجود،

<sup>1</sup> سورة النساء، الآية: 164

<sup>2</sup> سورة الزمر، الآية: 29

ويدرك دوره ومكانته فيه، وأنه جزء من هذا الكون، حيث لا مجال فيه للانانية والفردية، وأن عقيدة التوحيد هي التي تجعل الإنسان يدرك حقيقة الحياة بكل أبعادها، وبعقيدة التوحيد يعيش الإنسان هدى وطمأنينة، وبدونها يعيش حيرة واضطرابا، قال الله تعالى: ﴿فَلْأَنذَرُوهُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْبَغُ لَهُمْ أَلَّا يُصِرُّوا عَلَىٰ عُصْيَانِهِمْ فَذُكِّرُوا بَعْدَ إِذِ هَدَيْنَا اللَّهَ كَالَّذِينَ اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانًا لَهُمْ أَصْحَابٌ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ الْهُدَىٰ إِيْتِنًا فَلْيَنصَحُوا إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۚ وَمِمَّا زَكَّرْنَا لِلنُّسْلِمِ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>1</sup>.

الرقى والرفع بالإنسان إلى سماء الإنسانية محتاج إلى مرتقى الحرية والإرادة، ومتوقف على الوحدة في الألوهية، وبدونها لا يمكن تصور المستوى الفاضل للإنسانية، وبدونها يبقى الإنسان متخلفا، ومحروما من إنسانيته التي يريد لها القرآن المجيد بغض النظر عن اختياره العقدي والفكري والديني.

هذا وإن مجتمعا تغير بالقرآن تغيرا إيجابيا وترى على مائدته مجتمع لا يضاهيه إلا مجتمع تربي على مثل ما تربي عليه، مجتمع متميز في إدراكه وإحساسه ووعيه بقيمة الحرية بمعناها الصحيح، الحرية المستمدة من صحيح الاعتقاد ومن معين القرآن المجيد، مجتمع لم يزل القرآن الكريم يتعهد نفوس أفرادها منذ أن غيرها بالحرية المستمدة من صحيح الاعتقاد ومن معين القرآن المجيد، مجتمع لم يزل القرآن الكريم يتعهد نفوس أفرادها منذ أن غيرها بإحلال عقيدة التوحيد فيها محل العقائد الفاسدة، إلى أن ترسخت في القلوب، واستقام أصحابها عليها، ولم يرغبوا بعد ذلك في سواها؛ لأنهم اعتنقوها عن حب وعلم ويقين، وترجموها إلى أعمال يؤطرها الإخلاص ويحكمها الوحي.

<sup>1</sup> سورة الأنعام، الآية: 71



## المصلب الثالث: حمة الاعتقاد وأثره في السلوك

إذا أردنا أن نتحدث عن آثار العقيدة في السلوك، واعتبار أي سلوك صادر عن صاحبه معبرا عن عقيدة يضمها، فإن القرآن الكريم يربي أبناءه على عقيدة التوحيد التي تثمر سلوكا واعيا ومسؤولا، قادرا على مسايرة حركة الزمان والمكان، سلوكا حضاريا وتعاملا مع الكون بجميع مكوناته؛ من بشر وحيوان وشجر وجمادات، فالعقيدة الصحيحة تنتج سلوكا يجعل صاحبه ينظر إلى الآخرين نظرة احترام، ويدرك الأخوة الإنسانية التي تجمعهم بسائر الناس، فضلا عن الأخوة الإيمانية التي تجمعهم بأهل ملته: الإسلام، رحمة وعدل وإنصاف وصدق مع البشرية كلها، ويضيف إلى ذلك مع أهل الإسلام الحب والمودة والولاء.

إن أهل القرآن أولى بإدراك مفهوم الإنسانية من غيرهم، وفي كتاب "الإنسان في القرآن" للعقاد: "إن العالم الإنساني كلمة غير مفهومة عند من يدين برب غير رب العالمين، وإن قيم الأخلاق كيل جزاف حين تنقطع الأسباب بين الحسنات والسيئات، وبين الثواب والعقاب، وإن الإنسانية الجامعة شيء لا وجود له قبل أن يوجد الإنسان المسؤول، وإنما توجد الإنسانية الواحدة ويتساوى الإنسان والإنسان مع الإله الواحد الأحد، رب الناس ورب العالمين أجمعين، أفضلهم عنده أتقاهم، وأصلحهم وأسبقهم للخيرات"<sup>1</sup>.

إن الإيمان المنتج للسلوك الحسن، والنبيل في الأخلاق مع كل أفراد الإنسانية هو الإيمان المبني على علم ويقين، أجمل صورة لهذا النوع من الإيمان جسدها في الواقع من اختارهم الله لصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، غيرهم القرآن تغييرا جذريا، فمثّلوا

<sup>1</sup> الإنسان في القرآن، للعقاد (ت: 1964م)، ص: 49 — 50

مجتمعا منقطع النظير، يستحيل أن يتكرر مجتمع مثل مجتمعهم، لكن قريبا من ذلك شريطة العودة إلى المنبع الذي أخذوا منه ونهلوا من معينه، إنه القرآن الكريم الذي {يَهْدِي لِلتي هِيَ أَفْوَومٌ}<sup>1</sup>، فرسول الله صلى الله عليه وسلم حين شرع في تغييرهم لم يبدأ بتغييرهم على مستوى الإدارة أو الاقتصاد أو السياسة، ولكنه بدأ بتغييرهم عقيدة وفكرًا، فلما تغيروا في فكرهم وعقيدتهم واعتنقوا عقيدة الإيمان بالله عز وجل، سهل عليهم أن يتغيروا على مستوى السلوك والأخلاق، فهم الذين كانوا يندون الإناث، ويشربون الخمر إلى حد الشمل، ويأتون الفواحش، ويقطعون الطريق، ويعيشون على السلب والنهب، تحولوا إلى حماة الأعراض، ودعاة إلى العفاف والورع، بالأمس القريب كانوا يشنون الغارات ويعتدون على حقوق غيرهم، فما لبثوا أن صاروا نماذج في الزهد والابتعاد عن الشبهات بله المحرمات، وهم الذين كانوا يحبون الفخر والمدح، ويتلفون أموالا طائلة بتقديمها عطايا للشعراء مقابل مدح وثناء، وبعد أن خالط القرآن مشاعرهم ووجدانهم إيمانا وفهما وعملا صاروا يتعاملون مع الأعمال التي يتقربون بها إلى الله كأنها عورات، يودون أن لا يعلم بها غير الله، ويأبى الله إلا أن تعرف، ويلبسهم رداء الوقار، ويلقي محبتهم في قلوب المؤمنين.

إنها تربية قرآنية وتغيير جذري، إنه دين الإنسانية الذي يأخذ بمجامع القلوب إن خلي بينه وبين الفطرة.<sup>2</sup>

هذا القرآن الذي غير الرعيل الأول على كل المستويات، وجعلهم قادة الدنيا وسادتها، كفيل بتغيير حال الناس اليوم إذا أحسنوا العودة إليه، وعملوا بما جاء به على

<sup>1</sup> سورة الإسراء، الآية: 9

<sup>2</sup> ينظر كتاب: منهاج الانقلاب الإسلامي، لأبي الأعلى المودودي (ت: 1399هـ)، ص: 69 وما بعدها

الوجه الأكمل والأشمل؛ إذ كلما فصلت العقيدة عن السلوك والأخلاق شوهدت صورة الإسلام لدى الجاهلين به، وكثيرة هي التجارب الإصلاحية التي باءت بالفشل نتيجة هذا الانفصال بين العقيدة والأخلاق.

إن الواحد ليأخذ منه العجب كل مأخذ حينما يرى أثر التدين على شخص ما ويلفيه مدافعا عن عقيدة التوحيد، داعيا إليه بلسانه، بل لا يخلوا كلامه في كل مناسبة من الحديث عن أهمية العقيدة، وأنها أولوية الأولويات، ثم لم يلبث أن يهدم بسلوكه السيئ ما كان يؤسس لبنائه، حتى صار المجتمع يرى الإخلال بالأخلاق شعارا لكل ناصح وداع إلى التغيير الإيجابي، قياسا على تجارب فاشلة، ثم صار أفراد المجتمعات الإسلامية ينظرون إلى المجتمعات الغربية نظرة إعجاب؛ لما حققت من ألوان الرقي الاجتماعي، وصنوف الحضارة المادية من جهة، والتراثة لدى المسؤولين واللفظ في التعامل، وقيم رفيعة وأخلاق عالية من جهة أخرى، بل صار الغرب محل الثقة في كل شيء، على عكس المجتمعات الإسلامية التي فقدت فيها الثقة أو كادت، وخيل إلى كثير من عوام المسلمين، وحتى بعض مثقفهم الحديثين أن الحضارة والرقي الاجتماعيين لن يعرفا للوجود سبيلا في بلاد المسلمين، ما لم يقتفوا طريق الغرب بحذافيرها، وبالغوا في رفض منهاج القرآن ونظامه تارة، أو لي نصوصه وتفسيرها وفق مشاريعهم وأطاريحهم الحداثية ومغالطاتهم الواهية تارة أخرى، ومن مغالطاتهم محاسبتهم الإسلام على أخطاء بنييه، ومناقشته انطلاقا من مواقف حامليه.

ولا ريب أن المسلمين يتحملون الحظ الأوفر من المسؤولية بسبب أخطائهم الشنيعة، ومواقفهم المشينة، فقد أساءوا بها إلى الإسلام، وأعطوا عليه صورة معكوسة في مواطن كثيرة، وفي مواقف ليست باليسيرة.

## المصلب الرابع: بين العقيدة والأخلاق

علاقة الأخلاق بالعقيدة في القرآن المجيد علاقة مقدمات بنتائجها، وعلاقة أسس بمقاصد على شكل تسلسلي؛ فإنه لا ريب أن تحقيق التوحيد في دنيا الإنسانية مقصد رئيس من مقاصد التغيير في القرآن الكريم، ولم يمنع كونه مقصدا رئيسا للتغيير القرآني أن يكون في الآن نفسه أساسا لتحقيق مقاصد أخرى تستهدف إسعاد الإنسان في دنياه.

إذن فالعلاقة بين العقيدة والأخلاق علاقة لا تقبل الانفكاك في منهج القرآن الكريم، ولم يوقع المسلمين فيما هم فيه؛ من تخطط واضطراب وضعف وتبعية إلا إخلالهم بمنهج القرآن الكريم الذي لا يتغير بالزمان والمكان، حيث فصلوا بين العقيدة والأخلاق، وولوا وجوههم شطر الفلسفة البشرية المتهافتة، ومن تهافتها أن ما يعد مطلوبا مرغوبا فيه في فلسفة، فهو مرفوض ومنبوذ في أخرى، وما تدعو إليه فلسفة ما اليوم وتحت الناس عليه، سوف تحذر منه غدا أو بعده وترى البقاء عليه تأخرا وجمودا.

ولعل أكثر فلسفة أثرت في المسلمين في موضوع الأخلاق في علاقتها بالعقيدة فلسفة أرسطو الذي يأتي على رأس قائمة من دعوا إلى الفصل بين العقيدة والأخلاق، ف "منذ أن استبعد أرسطو كل أساس ميتافيزيقي للفلسفة الأخلاقية أصبح ذلك النسق مسلما به لدى معظم فلاسفة الأخلاق من بعده حتى عصر (كانت)، إنهم يختلفون معه في الغاية، أو في وسيلة تحقيق الغاية، أو في وصف طبيعة العلم الأخلاقي: معياري أو وضعي أو في إدراك الخير بالعقل أو بالحدس أو بالتجربة، ولكنهم يلتقون معه في أن

موضوع العلم: الخير الإنساني المحدد لا المطلق، وأن النسق اللازم له استقرار الوقائع والصعود منها إلى النظريات، لا الصعود عن المبادئ والأصول"<sup>1</sup>.

هذا وليس للفكر البشري مطلق الصلاحية في اختيار النسق الأخلاقي المطلوب السير عليه؛ لما تعرفه الأفكار البشرية والعقول من تفاوت في الإدراك، فإن الأفكار تظل وليدة البيئة ونتاج التربية، كل ذلك يمضي ويتطور عبر التجارب و وفق المراحل التي تقطعها البشرية عبر الزمان.

والمتتبع لمنهج القرآن يدرك الفرق بينه وبين المناهج البشرية التي قد تحظى بالنجاح أحيانا، وتبوء بالفشل أحيانا أخرى، وحتى التي تحظى بالنجاح في وقت معين، لم تلبث أن تتقادم وتحتاج إلى استبدال أو تهذيب حسب ما يقتضيه الوضع الراهن، بخلاف منهج القرآن الكريم، ففيه ما يكفي صاحبه ويغنيه عما وراءه، {إِلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} <sup>2</sup>، ومن مظاهر إتمام الله النعمة على عبده أن يوفقه لمنهج القرآن الكريم ويعصمه من التمرد عليه، "فإذا ما تمرد المؤمن على هذه المبادئ، وبدأ يلقي بقياده إلى عقله، حتى ولو كان يريد أن يصل عن طريق ذلك إلى نفس النتيجة التي أتى بها الدين، فإنه منحرف عن هدي العبودية لله إلى هدي العبودية للعقل، وهو يفعل ذلك تقديسا لنفسه، وذلك نوع من عبادة الذات، أو نوع من غرور العقل، ... والوضع الصحيح — إذن — بالنسبة لأساس الأخلاق أن نلجأ إلى الدين نستمد منه الهداية والإرشاد، فإنه هو وحده المعصوم، ...

<sup>1</sup> الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي، لأحمد محمود صبحي (ت: 2004م)، ص: 20

<sup>2</sup> سورة المائدة، الآية: 4

أما العقل والضمير والفكر الإنساني فإنه يتأرجح ويتذبذب لأنه محتاج إلى القائد المربي، وليس هذا القائد المربي إلا الدين<sup>1</sup>.

وفي وصف القرآن الكريم النبي صلى الله عليه وسلم بأنه على خلق عظيم ما يجسد مكانة الأخلاق في شريعته، مما جعل الأخلاق الكريمة مقصداً أسمى من مقاصد بعثته صلى الله عليه وسلم، قال الله تعالى: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ}<sup>2</sup>، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"<sup>3</sup>، وغير هذا كثير من الآيات القرآنية التي نصت على الترابط المحكم بين العقيدة والأخلاق.

## المبحث الثاني: العبادات والتغيير الأخلاقي

قبل أن يبعث النبي محمد صلى الله عليه وسلم بقليل حبيب إليه التحنث والتعبد بغار حراء، بعيداً عن الصخب والضوضاء، فلم يزل صلى الله عليه وسلم يتردد على الغار، يتأمل الكون ويعتصر فؤاده بحثاً عن الطريق إلى العبادة الحقة، حتى جاءه ملك الوحي جبريل عليه السلام بأول الوحي إليه صلى الله عليه وسلم بعد الرؤيا الصالحة، فجاءه بأول العلق من عند ربه، قال الله تعالى: {إِفْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝۱ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝۲ إِفْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝۳ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝۴ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}<sup>4</sup>؛ ليتغير مفهوم العبادة في دنيا الناس من مفهوم ضيق لا يتجاوز الممارسة

<sup>1</sup> ينظر الإسلام والعقل، لعبد الحليم محمود (ت: 1978م)، ص: 61 — 75 بتصرف

<sup>2</sup> سورة ن، الآية: 4

<sup>3</sup> السنن الكبرى، للبيهقي (ت: 458هـ)، 323/10، رقم الحديث: 20782، والبخاري (ت: 292هـ) في مسنده، 364/15، رقم الحديث: 8949

<sup>4</sup> سورة العلق، الآيات: 1 — 5

التعبدية في الصوامع والبيع، دون أن يكون لذلك أثر في مشاكل الناس وقضاياهم، إلى مفهوم شامل وواسع يوطره الوحي، ويربطه بمقاصد حقوقية وروحية وتربوية واجتماعية، فالعبادة على اختلافها ما بين عبادة يومية أو سنوية أو عمرية، فإنها — إضافة إلى كونها طاعة وقربى — تعد أيضا وسائل لتغيير المجتمعات تغييرا إيجابيا.

## المصلب الأول: الصلاة والتغيير الأخلاقي

تعتبر الصلاة أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين، وفي الآن نفسه منهج متكامل لتغيير الأفراد والمجتمعات، على المستويين: الظاهر والباطن، خاصة التغيير في المجال الأخلاقي، فقد تكفلت الصلاة بتغيير ما عجزت عن تغييره كبريات الدراسات الأخلاقية والفلسفية والاجتماعية، وقد أعرب البيان الإلهي عن بعض الحكم التي من أجلها شرعت الصلاة، من ذلك مثلا النهي والانتهاز عن الفحشاء والمنكر، قال الله تعالى: {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ<sup>1</sup>، هذه هي الصلاة التي تعلو بصاحبها إلى سمو الأخلاق، وتقتلع جذور الفواحش من أصلها، إنه منهج قرآني متناسق لتغيير الفرد والمجتمع، تعميق لحب الفضائل في النفوس، وتشجيع على ما تنكره الأذواق الرفيعة، وترفضه الفطر السليمة، وتمجده الطباع المستقيمة.

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخبر عن امرأة تقوم الليل، فإذا أصبحت أذت جيراتها، قال: "هي في النار"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> سورة العنكبوت، الآية: 45

<sup>2</sup> الحاكم (ت: 405هـ) في المستدرک، رقم الحديث: 7304. وأحمد (ت: 241هـ) في المسند، مسند أبي هريرة، رقم الحديث:

إن موضوع التغيير الأخلاقي ليس أقل أهمية من التغيير الفكري والعقدي، صحيح أن التغيير الفكري والعقدي هو منطلق كل تغيير في جميع الرسائل السماوية، غير أن التغيير الأخلاقي والسلوكي يكون أحياناً أصعب، وأكثر خطورة من التغيير الفكري والعقدي؛ ذلك لأن التغيير الأخلاقي والسلوكي تغيير مركب، لأنه يتضمن التغيير الفكري والعقدي وزيادة، فالتغيير الفكري يجسد الوعي بالفكرة وقبولها، بينما التغيير السلوكي يستدعي الإيمان بالفكرة وقبولها، والاعتناع بها، ثم يجسد ذلك على مستوى الفعل والسلوك والممارسة، وإلا فما معنى اشتراط النية كأول فرض من فرائض الصلاة؟ وكيف لا تكون الصلاة كذلك؟ وكيف لا تحرر العباد من أسر الشهوات؟ وهي تحديد للعهد بين العبد وخالقه خمس مرات في اليوم واليلة، كما تعتبر عوناً للمؤمن على التخلص من كبائر الذنوب وصغارها.

فالصلاة وقاية وحماية للمؤمن من الزيغ، ودعوة لترك الرذائل وإتيان الفضائل، فهي تقتضي استحضار التقصير في العبادة، وهي اتصال بالخالق، واستشعار من العبد بالتقصير، وهي أيضاً تزكية وتطهير لا تنفق ودنس الفحشاء.

من خلال عبادة الصلاة يتربى المسلم على نكران ذاته، ويروض نفسه على ترك شهواتها وقيامها بحقوق ربها والمحافظة عليها، فإذا لم تثمر كريم الأخلاق فينبغي إعادة النظر في حقيقتها، وقد نفى القرآن الكريم على المصلين المداومين عليها جملة من الصفات الذميمة والأخلاق الدنيئة؛ كالهلع والجزع والشح، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً ۝ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً ۝ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً ۝ إِلَّا



الْمُصَلِّينَ ﴿٢٣﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ<sup>1</sup>، رغبة في أداء صلاة الجماعة تفد جماعات المسلمين على بيوت الله في منظر جميل، تغمهم السكينة والوقار، ليكونوا صفوفًا متماسكة جنبًا إلى جنب، فتدوب في صفوف الصلاة الأحساب والجنسيات والمراكز الدنيوية، يقف الغني إلى جانب الفقير والرئيس إلى جانب المرؤوس، حيث يتربى الجميع على التواضع، والاعتراف للناس بكرامتهم وحقوقهم، فيقف الجميع مستشعرين أنهم بين يدي خالقهم، دأهم فيما بينهم تسامح ورضى وحرص على مصلحة الجماعة، ومن هنا فضلت صلاة الجماعة على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة.

## المصلب الثاني: الزكاة والصفحة النفسية

ماذا يمكن أن يستوعب العقل البشري المحدود في قضية الزكاة؟ فما هي حدود وأبعاد تسمية هذه الشعيرة بهذا الاسم؟ : (الزكاة) الحامل للدلالة على الزيادة والنمو، ألم يقتض إخراج بعض المال النقص الذي هو نقيض الزيادة؟ وهل بإمكان العقل البشري إدراك الغاية والحكمة من فرض الزكاة؟ قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا فِئَلَهُمْ أَنْعِفُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطَعِمُ مَس لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطَعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ<sup>2</sup>﴾.

إن الزكاة تغطي جانبًا ليس باليسير من منهج التغيير الذي جاء به القرآن الكريم، صقل لنفوس الأغنياء من داء الحرص والبخل، وصيانة لماء وجه الفقير المحتاج من أن

<sup>1</sup> سورة المعارج، الآيات: 19 — 23

<sup>2</sup> سورة يس، الآية: 46

يريقه بالسؤال، ولم تزل الزكاة عاملا من أهم عوامل تغيير السلوك البشري تغييرا إيجابيا، فهي سمو ورفعة وتنمية للمال، وتطهير للنفوس وتزكية لها من داء الحقد والكراهية، قال الله تعالى: {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}<sup>1</sup>، قال البيضاوي: "وتزكيهم بها: أي تنمي بها حسناتهم، وترفعهم إلى منازل المخلصين"<sup>2</sup>.

والتزكية مهمة الأنبياء والرسل، قال تعالى: {بَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن تَرْجَى}<sup>3</sup>، خطاب وجهه موسى عليه السلام لفرعون.

التزكية عملية ليست بالأمر الهين، إنها عملية تتطلب مجاهدة النفس حتى تتحرر من حب المال؛ إذ المال صار جزءا من حياة الإنسان، والقرآن الكريم قدمه في الذكر على الولد، قال الله تعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}<sup>4</sup>، فالزكاة أيضا قوة إيمانية وبعد أخلاقي ودعوة للتجرد من حب الدنيا ومتاعها، فمتاع الدنيا بالرغم من كونه من كسب العبد ونتيجة عمله، لكنه ملك لله عز وجل، يمنحه من يشاء ويمنعه من يشاء، وهي عقيدة مسلم بها لدى المؤمن، تحمله على الثقة بالله وما لديه من خير، فتجده لا يدفع ما يدفع تفضلا، وإنما يعطي ما يعطي مستشعرا أنه يسلم لأصحاب الحقوق حقوقهم، مما يجعل الفقير يتسلم الزكاة رافعا رأسه من غير من ولا أذى من قبل المعطي، فالزكاة شكر واعتراف لله بفضله، وهي علاج للقلب وتزكية للنفس، ويحصل

<sup>1</sup> سورة التوبة، الآية: 104

<sup>2</sup> أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (ت: 685)، 96/3

<sup>3</sup> سورة النازعات، الآية: 18

<sup>4</sup> سورة الكهف، الآية: 45

بها التآلف بين أفراد المجتمع، وهي علاج ناجع لكثير من الظواهر السلبية؛ كالتسول والبطالة والنهب.

من مظاهر التغيير التربوي والأخلاقي في الزكاة أنها تدرب صاحبها على حب الخير للغير، فبعد أن كان يحتاج إلى حمل نفسه على إخراج الزكاة حملاً نتيجة حب النفس الجرم للمال، سيأتي يوم يتلذذ فيه بإخراج الزكاة ودفعها لمستحقيها.

وهي أيضا علاج لآفات اجتماعية كثيرة؛ كالحسد والحقد، وهي محاربة للفوارق الاجتماعية بين الأفراد الناتجة عن كون المال دولة بين فئة من الأثرياء، وهي أيضا وسيلة للتآلف الاجتماعي وتقوية أواصر المودة بين أفراد المجتمع، تحقيقاً لمبدأ الأخوة المنشود في قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} <sup>1</sup>، وسعياً لنيل الخير الموعود به في قول الله تعالى: {وَمَا أَنْقَضْتُمْ مِّنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ} <sup>2</sup>، كما أن الزكاة لها دور فعال في تحريك عجلة الاقتصاد، فكلما تسلم الفقراء حقهم من الأغنياء شاركوا في تنشيط عملية الحركة الاقتصادية، وأول من يستفيد من هذه الحركة أرباب الأموال أنفسهم، فكم ضيع الشح من فوائد على الأغنياء قبل غيرهم بسبب منعهم الزكاة، {وَمَنْ يُؤَقِّ شُحَّ نَفْسِهِ، فَإِنَّ زَكَاتَهُ تَنْمِيهِ لِلْمَالِ، وَتَرْبِيَةً لِلنَّفْسِ عَلَى الْعَطَاءِ، وَدَرءٌ لِلْبُخْلِ وَالشَّحِّ، وَإِسْعَافٌ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمُحْتَاجِينَ، وَتَطْهِيرٌ لِلْمَجْتَمَعِ مِنَ السُّلُوكِيَّاتِ الْمَشِينَةِ؛ مِنْ تَسْوَلٍ وَنَهْبٍ، وَعِلَاجٌ لِّأَمْرَاضِ الْقُلُوبِ؛ كَالْحَقْدِ وَالْحَسَدِ.

<sup>1</sup> سورة الحجرات، الآية: 10

<sup>2</sup> سورة سبأ، الآية: 39

<sup>3</sup> سورة الحشر، الآية: 9

## المصلب الثالث: الصيام وتقويم السلوك

تنوعت العبادات؛ ما بين عبادة بدنية محضة، وعبادة مالية محضة، وعبادة تجمع بينهما، كما تنوعت أيضا من حيث إن منها ما يتكرر كل يوم خمس مرات، ومنها ما يتكرر كل أسبوع، ومنها ما يأتي مرة في السنة، ومنها ما يطالب به المكلف مرة في العمر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إن اجتنبت الكبائر"<sup>1</sup>.

ولا شك أن وراء هذا التنوع حكما ومقاصد وغايات، تستهدف تغيير نفوس المكلفين وأخلاقهم على مستويات مختلفة، لذا فلا عجب أن يكون شهر رمضان مدرسة للتغيير، يتلقى فيه المسلمون التكوين كل سنة على المستويين: الروحي والسلوكي على مائدة القرآن الكريم، حيث الصيام والقرآن، فيتكامل منهج التغيير، يتشبه فيه الصائمون بالملائكة في نهاره بترك ما لذ وطاب من المأكّل والمشرب والمنكح، وفي ليلته حيث القيام بالقرآن تلاوة وتدبرا وامثالا، فيتعمق فيه المنهج القرآني في التغيير، شهر لا كالشهور، شهر تستوقف أيامه ولياليه المتميزة السائر لينهل من معين نفحاتها، فتحلق الأرواح في معارج الإيمان واليقين، وتشعر النفوس بلذة القرب، ويغمرها الأنس بالقرآن وشهر القرآن، فلطالما تفيؤوا ظلال القرآن والصيام رغبة منهم في التغيير، وجدير بالسماء أن تحتفي بهذا الشهر الذي كانت بداية الاحتفاء به بتزول

<sup>1</sup> صحيح مسلم (ت: 261هـ)، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر، رقم الحديث: 233، ومسند أحمد (ت: 241هـ)، مسند أبي هريرة، رقم الحديث: 9197

القرآن فيه، {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ} <sup>1</sup>.

في مدرسة رمضان يتربى المؤمن كيف يعيش لله، ويبحث في الوقت نفسه عن خطي رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي اختاره ربه عز وجل من فوق سبع سماوات ليحمل علم التغيير في هذه الدنيا ويخلفه في ذلك مصلحو أمته.

كل الأمم تحتفل وتعني بذكريات أيامها وانتصاراتها، وتتخذ من أيام ذكرياتها ومناسباتها فرصة سانحة لشرح أسسها ومبادئها، وشهر رمضان يمثل ثورة الحرية على العبودية، والتوحيد على الشرك، والهدى على الضلال، {هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ}.

شهر رمضان محطة للتزود حيث النفوس تزكو بالصيام، وتتغذى فيه أكثر من غيره بغذاء القرآن والصيام، يدخل الصائم بطلوع الفجر من يوم صيامه في نسق من التجارب مع نفسه، فيواصل الليل بالنهار في ترويضها على الطاعة وإحجامها عن المخالفة، في كل لحظة من لحظات نهاره تعرض له شهوة مما هو مأذون له فيه قبل رمضان وفي ليلاليه، ولا شيء يمنعه من ذلك إلا استحضار مراقبة الله له، يرجو بذلك رحمته ويخاف عذابه، ومن ثم يتدرب كيف يعيش لله طيلة وقته، وتتوطد علاقته بربه، وتتحقق فيه الغاية من مشروعية الصيام، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} <sup>2</sup>,

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية: 184.

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية: 182

فالتقوى هي المحرك والباعث على مواصلة السير في صالح الأعمال، غير أن مفهوم التقوى أدق وأعمق مما يظن الكثيرون، يقول محمد شلتوت: "وليست التقوى هو ذلكم اللون الشاحب، والصوت الخافت، أو الرقبة المنحنية، ولا هي المهمة بكلمات تعرف التسبيح والتهليل، ولا الهزيمة بآيات تقرأ وتتلّى، وإنما التقوى ذات عنصر سلبي، يمنع من فعل الشر للنفس وللغير، وهذه التقوى التي لا يعرف القرآن سواها فرض الله الصوم وجعله مددا للإيمان، وبها كان الصوم عنصراً قوياً من عناصر تكوين المجتمع في نظر الإسلام ومنهجه"<sup>1</sup>، إذا تحققت لدى العبد قيمة التقوى تطلع بقلبه ووجدانه إلى الحياة الأخروية، بناء على أن مقياسه مقياس أخروي، فكل ما يصدر عنه من قول أو فعل فالدافع له هو انتظار الجزاء الأخروي، أما أرباب المقياس المادي فإن الصوم في نظرهم لا يعدو أن يكون حرماناً للنفس وتعذيباً للذات.

فالصيام ——— وصيام شهر رمضان خاصة ——— له أثر مباشر على صلاح المجتمع، حيث تقل المعاصي والمنكرات، يتعد عنها المؤمن امتثالاً لأوامر ربه واجتناب نواهيه، وطمعاً فيما عنده، ويتركها العاصي الغافل موافقة للوضع الاجتماعي السائد حينه، ولا يتجرأ على المجاهرة بمعصيته، وهذا أمر يسعف على إصلاح المجتمع وتربيته، فصالح مجتمع الصحابة لا يعني غياب حوادث فردية فيه؛ من سرقة وشرب خمر وزنى، لكنها على وجه القلة التي لا تكاد تظهر، فإن تضرر المجتمع إنما يحصل بإعلان المخالفات والجهار بها على مرأى ومسمع من الناس، فيتجاوز ضررها الفرد إلى المجتمع فيتلوث بها، ومن هنا ندرك دور الصيام في إصلاح المجتمع وتخليقه.

<sup>1</sup> منهج القرآن في بناء المجتمع، لمحمد شلتوت (ت: 1383هـ)، ص: 65

## المصلب الرابع: الحج ممارسة أخلاقية

إذا كانت الصلاة والزكاة والصيام وسائل لإصلاح المجتمع وتخليقه بالخلق الحسن، إضافة إلى كونها عبادات يتقرب بها إلى الله، فإن الحج جماع ما في الصلاة والزكاة والصيام، فالمؤمن إذ يؤدي مناسك الحج، فإنما تعود به تلك المناسك إلى منبت الصلاة، حيث رفعت منارتها للعالمين على لسان أبي الأنبياء الخليل إبراهيم عليه السلام، قال تعالى: {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ}<sup>1</sup>، تحدث القرآن الكريم عن الحج أكثر من غيره من العبادات، وفصل فيه القول ما لم يفصل في غيره، حيث ورد الحديث عنه في سورة البقرة، وآل عمران والمائدة والتوبة والحج، وهي السورة الوحيدة التي سميت باسم ركن من أركان الإسلام؛ مما يدل على أهمية ومكانة شعيرة الحج في الإسلام.

ففي شعيرة الحج وأداء مناسكه ما من شأنه أن يعود المسلم على البذل والعطاء؛ حيث ينفق المسلم من ماله في الهدي والتنقل وغيره، فمناسك الحج يمكن القول بأنها احتوت على معظم مبادئ التغيير الأخلاقي والاجتماعي، مناسك تعيد للإنسان المسلم إنسانيته، ليعود إلى أهله بأخلاق غير الأخلاق السابقة، وسلوك غير السلوك الذي كان عليه من قبل، عودة إلى الفطرة، ونقاء في السريرة، وفي الحديث: "من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه"<sup>2</sup>، وقال تعالى: {إِلْحَاجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ مِمَّنْ قَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَبْتَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ

<sup>1</sup> سورة إبراهيم، الآية: 39

<sup>2</sup> صحيح البخاري (ت: 256هـ)، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، الحديث رقم الحديث: 1521، وغيره واللفظ له

يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى<sup>1</sup>، فمفارقة الأهل والأوطان والمال تضحية، وتحرير للإنسان المسلم من تقديم محبة غير الله على محبته سبحانه، فالدخول في الإحرام بالتلبية وخلع ملابسه المعتادة وارتداء ثوب الإحرام شعور بالوحدة الجامعة بين أفراد المجتمع الموحد، وتحرر من المظاهر الزائفة.

شعائر ومناسك لها ارتباط بالزمان والمكان واللباس، تحمل دلالات التغيير الاجتماعي على مستويات متنوعة، حتى يحرم عليه حتى مجرد إزعاج صيد البر في الحرم، وإلقاء ما قد يعلق بالجسم من حشيرات وغيرها، في ذلك كله ما يرمز إلى العدل والإنصاف، واعتبار الآخر والرفقة به على ضعفه وحقارته في نظر الإنسان، إلى درجة التضحية من أجله، قال تعالى: {وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ<sup>2</sup>}، منهج تغييره لم ولن يصل إليه الوضع البشري والمحاولات البشرية مهما كانت، آفة هذا المنهج أنه بقي حبيس الوحي والتنظير، فهو فرصة للمسلمين — لو قاموا بتزيله في واقعهم — لنبد سموم الخلاف وعقارب الشقاق.

الحج بمثابة هدنة إنسانية عالمية، يعرف فيها الناس مهمتهم في هذه الحياة؛ من العمل على عمارة الأرض وترسيخ القيم الإنسانية، كالحبة والتعاون والتضامن، وترك العدوان ونبد الظلم والأنانية، "وهو في واقعه لأهل العصر الواحد فرصة تهيئ لهم — لو آمنوا به ونزلوا على مقتضاه واتبعوا شرع الله فيه — حسن التفاهم والعمل على قطع أسباب الخلاف والتخاصم، وعلى إقرار الأمن والسلام، هو بمثابة هدنة إلهية يتدبر الناس فيها شؤونهم، فيعرفون مهمتهم في الحياة؛ من حسن التعمير وإسعاد البشرية على

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية: 196

<sup>2</sup> سورة الحج، الآية: 23



أساس من المحبة والتعاون، وبذلك يكفون عن العدوان وعن الجشع المثير للحروب، القاضي على الهناء والاطمئنان المفسد لخلافة الإنسان في الأرض"<sup>1</sup>.

عن طريق مناسك الحج يتربى المجتمع الإسلامي، ويتغير أخلاقيا وسلوكيا، ويتعلم كيف يتعامل مع غيره بحب وإيمان واحترام، إنها رياضة وجدانية جماعية، تشارك فيها ثلة من مسلمي العالم، على اختلاف الأجناس والبلدان واللغات والألوان، كل ذلك من شأنه أن يجعل موسم الحج بمثابة مؤتمر عالمي تتلاقح فيه الأفكار، ويتبادل فيه المسلمون التجارب والخبرات<sup>2</sup> وتجتمع فيه مظاهر القوة وعناصر الرحمة، وتبرز فيه حقيقة الإسلام واضحة متمثلة في قيمة المنافع التي دعا القرآن الكريم الحجاج لشهودها، منذ أن أذن إبراهيم عليه السلام في الناس امتثالا لأمر ربه، قال تعالى: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٥﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَاجِعَ لَهُمْ﴾<sup>3</sup>، وليس بعد أن يتربى الناس على حسن السلوك وجميل الخلق، مرتبة يسعدون بها مثل هذه المرتبة، وهل بإمكان أي فلسفة بشرية أن ترسخ هذه المبادئ في قلوب الناس مثل رياضة الحج؟ إذا فالحج ليس عبارة عن عبادة بدنية ومالية فحسب، — كما يصطلح عليه الفقهاء — ولكنه عقيدة وعبادة وسلوك وتربية تناط به مقاصد وغايات يراد منه تحقيقها.

<sup>1</sup> الإسلام عقيدة وشريعة، لمحمد شلتوت (ت: 1383هـ)، ص: 119

<sup>2</sup> ينظر أركان الإسلام الخمسة وأثرها في حياة الأفراد والجماعات، ليجي أحمد الدرديري (ت: 1956م)، ص: 133

<sup>3</sup> سورة الحج، الآية: 25 — 26

والتأمل في حديث القرآن عن مناسك الحج يقف على طائفة من المقاصد والحكم،  
ومما يؤسف له انشغال المؤلفين والمهتمين بالجانب الفقهي لأداء المناسك، وعدم إغناء  
جانب المقاصد والغايات التي شرع الحج من أجلها وبغية تحقيقها.  
فمن مقاصده العظمى تحقيق التوحيد، وترسيخ العقيدة الصحيحة، وقد جعل القرآن  
الكريم النهي عن الشرك مقرونا ببناء البيت، قال الله تعالى: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ  
مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ  
السُّجُودِ<sup>1</sup>}.  
ومن مقاصده أيضا تطهير النفوس من ذميم الأخلاق تعظيما للبيت والحج من جهة،

وليتعود المسلم الترفع عن الدنيا في كل أوقاته وحيثما كان من جهة ثانية.  
ومن مقاصده أيضا التوازن بين المصالح الدينية والدنيوية؛ فإن ذلك من محاسن هذا  
الدين الحنيف، ومن مظاهر ذلك في الحج مشروعية الجمع بين أداء المناسك والتجارة  
في الوقت نفسه.

ومن مقاصده أيضا ترسيخ مبدأ المساواة بين الناس، يتحد الكل في اللباس والطواف  
والسعي وغيره، لا فرق بين غني وفقير، ولا بين رئيس ومرؤوس، ولا بين أبيض  
وأسود، فالترسيخ لهذا المبدأ وإن كان موجودا أيضا في الصلاة، لكنه في الحج أكثر  
وبشكل أوضح.

<sup>1</sup> سورة الحج، الآية: 24.

## المصطلب الخامس: العبادات بين المقصد والوسيلة

يقرأ المؤمن آيات ربه المتلوة، ويشاهد أخرى في نفسه وفي الكون، وفي كل منهما ما يدعو إلى عبادة ربه وتوحيده بإلحاح، فالعبادة رباط وثيق بين العبد وربّه، بها تخشع القلوب، وتلين الجلود، ويتحقق الغرض الأسمى من وجود الإنسان على البسيطة، قال الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مَزْجًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} <sup>1</sup>، والعبادات صلاة وغيرها بمثابة محطات يتزود منها المؤمن، ويراجع نفسه ليستأنف السير من جديد بنفس أطول، إلى أن تنتهي رحلته بوصوله إلى ربه.

فلئن كانت العبادة مقصدا وغاية من وجود الإنسان في هذا الكون، فإنها أساس ووسيلة لتحقيق جملة من المقاصد والغايات، التي هي ثمارها ونتائجها، شيء جميل أن يحافظ المسلمون على الصلاة والزكاة والصيام ويؤدوا مناسك الحج، وأجل منه أن تؤتي هذه العبادات أكلها بتحقيق مقاصدها وغاياتها التي ربطها الشارع بتحقيقها، إن على مستوى العقيدة والفكر، أو على مستوى الأخلاق والقيم، والتعامل بأخلاق القرآن وتمثل قيمه، مما يجعل العبادات ذات معنى وذات أثر إيجابي على مستوى الحياة العامة، بدل أن تبقى حبيسة معناها الفقهي.

إذن فالعبادات — وإن كانت مقصدا وهدفا في ذاتها — فهي أساس ووسيلة تتغنى مقاصد وأهدافا، تتجلى هذه المقاصد في معالجة أمراض المجتمع وفساد

<sup>1</sup> سورة الذاريات، الآيات: 56 — 58

القلوب وخبث النفوس؛ إذ الصلاة تربط صاحبها بربه، فلا يقرب فاحشة، ولا يعاقر منكرا، لأن صلاته تنهاه.

والصيام مدرسة أخلاقية تربي على التقوى، وتجعل الصائم قدوة لغيره في كثير من أخلاقيات الصائمين.

والزكاة تطهير للنفوس وتزكية لها من عطب البخل ورذيلة الشح، وكذلك الحج يعتبر نعم ركنا من أركان الإسلام، وعبادة وطاعة لله عز وجل، لكنه مرتبط في الوقت نفسه بمقاصد يتعين تحقيقها: مقاصد روحية وتربوية واجتماعية واقتصادية، سماها القرآن منافع، {لَيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ}<sup>1</sup>، بيد أن المؤسف هو أن يكون بين ظهري المسلمين ناس من بني جلدتهم، يدينون بدينهم، لكنهم لا يرون للتعاليم الإسلامية أثرا على مستوى القيم والسلوك، فضلا عن أن يروها طريقا للقوة المادية والتقدم الحضاري، بل ينظرون إلى العبادات البدنية على أنها أغلال وطقوس تجاوزها التاريخ، ويرون الزكاة إتلافا للمال وإهدارا له من غير فائدة، والأرحم بالناس في زعم هؤلاء أن يتحرروا من العبادات كلها، فهي في نظرهم عبء لا معنى لها، وما علموا أن هذه العبادات وتعاليم الإسلام عموما، لو قام بها الأفراد والجماعات على الوجه الصحيح وفق مراد الله تعالى لوجدوا فيها ما يوجههم نحو السعادة والرقى إلى مرتبة الخلق الحميدة، والخصال النبيلة، والسلوك الحضاري، فشتان بين خلق مبني على أساس متين، مصدره من عند الله العالم بمصالح الخلق، وبين خلق زائف من وضع المخلوقين الماديين، أصله المنفعة العاجلة،

<sup>1</sup> سورة الحج، الآية: 26

وهدفه تحقيقها، فإذا لم تتحقق تلك المنفعة ترمد الإنسان على كل القيم الإنسانية، قال تعالى: {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ} <sup>1</sup>.

فالعبادات واجبات إلهية فرضها الله على عباده ليتقربوا بها إليه، وليأخذوها وسيلة ومنهجاً لتغيير السلوك السليبي، وتعويضه بأخلاق حسنة، فإذا لم تؤت أكلها فليس المشكل في المنهج والوسيلة، وإنما هو في قصور فهم الإنسان وسوء تنزيله، ولن تتغير حياة الناس وأخلاقهم إلى الوجه الأمثل إلا بهذا الكتاب وبهذا المنهج القرآني.

### المبحث الثالث: التغيير بالقوة في القرآن البصير

التأمل في التغيير الذي أحدثه القرآن الكريم في عقيدة بني الإنسان وفكرهم وأخلاقهم، لا بد أن يتساءل عن سر ذلك التحول، وعن الباعث على ذلك الانتقال من المؤلف إلى شيء لم تعهده الإنسانية في سابق تاريخها، يتساءل المؤمن بكتاب ربه أكثر من غيره؛ هل بإمكان المسلمين العودة بالإنسانية إلى ذلك المنهج القرآني؟ لتعود إليهم قيادة الدنيا فيرشدوا الناس إلى الحق، وإلى تحررهم من الأوهام والأباطيل.

### المصلب الأول: أهمية القوة في عملية التغيير

نظريات كثيرة، وفلسفات جمّة، تخيلت منهج التغيير، وخطط أصحابها للتغيير، فلم يعد تخطيطهم في النهاية أن يكون مجرد خيال عقلي، وتصور هائم لم يستطع أن يجد السبيل إلى واقع الناس، لكن القرآن المجيد لما أكرم الله به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم، وأعجز به قومه الفصحاء اللسن، فهو ليس نظرية تحفظ، ولا فلسفة بشرية تقلد، لكنه كتاب منزل من عند الله ليترجم إلى سلوك وعمل في واقع الناس المعيش،

<sup>1</sup> سورة الملك، الآية: 15

فقد كان المتزل عليه محمد صلى الله عليه وسلم القدوة النموذجية للإنسان، تم اصطفاؤه من قبل ربه عز وجل، وفق علمه الأزلي، قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} <sup>1</sup>، وكانت حياته صلى الله عليه وسلم واضحة المعالم لم ينلها غموض؛ ليتم الاقتداء به على أكمل وجه، وقد نقل سليمان الندوي في كتابه: "الرسالة المحمدية" قول العالم الإنجليزي: "باسورت سميث" حيث قال: "ترى الشمس هاهنا مشرقة بارزة بيضاء، تنير أشعتها كل شيء، وتصل إلى كل شيء، ولا شك أن في الوجود شخصيات لا نعلم عنها شيئاً ولا نتبين حقيقتها أبداً، أو تبقى منها أمور مجهولة، بيد أن التاريخ الخارجي لمحمد — صلى الله عليه وسلم — نعلم جميع تفاصيله، من نشأته إلى شبابه وعلاقته بالناس وروابطه وعاداته، ونعلم أول تفكيره وتطوره وارتقائه التجريبي، ثم نزول الوحي العظيم عليه، ونعلم تاريخه الداخلي بعد ظهور دعوته وإعلان رسالته، وأن عندنا القرآن لا مثيل له في حقيقته وفي كونه محفوظاً مصوناً" <sup>2</sup>.

نعم إنه محمد بن عبد الله نبي المسلمين الذي شهدت له أمته بالنبوة والرسالة، وشهد له غيرها من بعض الذين كفروا به بالعقرية والعظمة، ولم يغادر أصحابه رضي الله عنهم شيئاً مما يتعلق بشخصه وحياته إلا سجلوها، كما روت عنه أمهات المؤمنين بدقة كل ما يتعلق بمعاشرته، وعبادته وأقواله وأفعاله، ونومه واستيقاظه، فكان صلى الله عليه وسلم بحركاته وسكناته ترجمة فعلية للقرآن الكريم، كما قالت عائشة رضي الله عنها — وقد سئلت عن خلقه — : "كان خلقه القرآن" <sup>3</sup>، وهي التي قالت له

<sup>1</sup> سورة الأنعام، الآية: 125

<sup>2</sup> الرسالة المحمدية، لسليمان الندوي (ت: 1373هـ)، ص: 106 — 107

<sup>3</sup> الأدب المفرد، للبخاري (ت: 256هـ)، باب من دعا الله أن يحسن خلقه، الحديث رقم: 308، ص: 115. و مسند أحمد (ت:

241هـ)، مسند الصديقة، الحديث رقم: 24601

صلى الله عليه وسلم: "يا رسول الله قد غفر الله لك من ذنبك ما تقدم وما تأخر، فقال صلى الله عليه وسلم: "أفلا أكون عبدا شكورا؟"<sup>1</sup>.

فكان صلى الله عليه وسلم قدوة في كل شيء، في عبادته وطاعته لربه، وفي جهاده صلى الله عليه وسلم يخوض المعارك ببسالة وإقدام ويحمل السلاح، يقول علي رضي الله عنه: "إنما كنا إذا حمي البأس واشتد واحمرت الحديق اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه، ولقد رأيته يوم بدر، فما يكون أحد أقرب إلى العدو منه، ولقد رأيته يوم بدر ونحن نلوذ بالنبى صلى الله عليه وسلم وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس بأسا"<sup>2</sup>.

وقال البراء بن عازب حين سأله رجل: "أفررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر، لقد رأيته على بغلته البيضاء وأبو سفيان — يقصد أبا سفيان بن الحارث بن المطلب آخذ بلجامها والنبى صلى الله عليه وسلم يقول: "أنا النبى لا كذب، أنا ابن عبد المطلب"<sup>3</sup>.

أما عن حياته الزوجية ومع خدمه وجيرانه، فقد ضرب فيها صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة، اجتمع لديه صلى الله عليه وسلم من أمهات المؤمنين تسع، فكان يعاملهن أحسن معاملة في تاريخ البشرية، تقول عائشة رضي الله عنها: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخيظ ثوبه، ويخصف نعله، ويرفع دلوه ويحلب شاته، ويخدم نفسه

---

<sup>1</sup> صحيح البخاري (ت: 256هـ)، كتاب الصلاة، باب قيام النبى صلى الله عليه وسلم حتى ترم قدماءه، رقم الحديث: 1130. و مسلم (ت: 261هـ)، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، الحديث رقم: 2819

<sup>2</sup> مسند أحمد (ت: 241هـ)، رقم الحديث: 654، مسند علي. ينظر الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، الفصل الرابع عشر، الشجاعة والنجدة، 237/1

<sup>3</sup> صحيح البخاري (ت: 256هـ)، كتاب الجهاد والسير، باب من قاد دابة غيره في الحرب، رقم الحديث: 2864. ومسلم (ت: 261هـ) كتاب الجهاد والسير، باب في غزوة حنين، رقم الحديث: 1776

ويقيم البيت، ويعقل البعير، ويعلف ناضحه، ويأكل مع الخادم ويعجن معها، ويحمل بضاعته من السوق.<sup>1</sup>

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم، فمرض فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعود، فقعده عند رأسه فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه — وهو عنده — فقال له: أطع أبا القاسم، فأسلم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم من عنده وهو يقول: "الحمد لله الذي أنقذه من النار".<sup>2</sup>

هكذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم يقطر حيوية وإيجابية؛ مما حبه إلى نفوس الخلق، فكان يتمتع بجميل الخلق على جهة الكمال مع الناس جميعاً، وعن حسن خلقه قال ربنا سبحانه: {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُوفٍ عَظِيمٍ} <sup>3</sup>. ولم يخرج ذلك كله عن صفة البشرية، فليس أسطورة خيالية لا يتحقق ما جاء به في الواقع، ولكنه صلى الله عليه وسلم إنما يأكل ويشرب ويمشي في الأسواق ويتزوج، ويفرح ويغضب، ويعرف الصحابة رضي الله عنهم فرحه وغضبه في وجهه الشريف، وكانت دعوته صلى الله عليه وسلم مبنية على حسن سلوكه مع المدعوين أكثر منها على حديثه إليهم، فكان أسوة حسنة بالفعل كما قال سبحانه: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} <sup>4</sup>.

<sup>1</sup> عيون الأثر، لابن سيد الناس (ت: 671هـ)، 402/2

<sup>2</sup> صحيح البخاري (ت: 256هـ)، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه؟ وهل يعرض على الصبي الإسلام؟

الحديث رقم: 1356

<sup>3</sup> سورة القلم، الآية: 4

<sup>4</sup> سورة الأحزاب، الآية: 21



نعم كان صلى الله عليه وسلم قدوة للجميع، وفي أية حال أو وضع كان الإنسان، فرسول الله صلى الله عليه وسلم قدوته، غنيا كان أو فقيرا، حاكما أو محكوما أو تاجرا، تلميذا أو معلما، أو زوجا أو أبا<sup>1</sup>.

من تنسم عبير القدوة الحسنة من خلال سيرة خير البرية أدرك ما فعلته خلقه صلى الله عليه وسلم بأمة كادت تموت فأحيها صلى الله عليه وسلم بالوحي، فانبعثت تنفض عنها غبار الشرك وتحيى على التوحيد، وإخلاص العبادة للواحد الأحد، قال الله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَمِن ضَلَالٍ مُّبِينٍ} وعقيدة وفكرا، أمة أمية تغيرت وتحولت من هبوط إلى قمة عالية، وقيادة وريادة، تلك نتيجة القدوة الفريدة المتمثلة في رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتي كانت بداية الطريق في منهج التغيير القرآني، لغرس أخلاق القرآن واستئصال أخلاق الجاهلية.

## المصلب الثاني: محمد صلى الله عليه وسلم وإحياء الإنسانية بالقرآن

بينما الإنسانية في أحوال الجاهلية وتحت وطأتها إذ أشرقت الأرض بنور البعثة المحمدية، فوجدتهم صلى الله عليه وسلم قد تعودوا ما رسموه لأنفسهم وما خططوه لحياتهم، من نظم وأعراف وتقاليد، مردوا عليها وتربوا عليها منذ طفولتهم وألفوها، ومن الصعب ترك المألوف، لكن نداء القرآن الكريم غيرهم، فكيف ذلك؟

<sup>1</sup> الرسالة المحمدية، ص: 93 وما بعدها

ليس غريبا أن يلتزم بمنهج القرآن أناس ولدوا في الإسلام ورضعوا لبنه وهم في المهده، ولقنوه من أمهاتهم وأجدادهم، إنما الغرابة في تغير أناس أشربوا حب عبادة الأوثان، وشغفوا بالخمير والميسر وسفك الدماء لأتفه الأسباب.

إنها بيئة جديدة رسم الوحي الإلهي معالمها، وتولى بيانها محمد صلى الله عليه وسلم ما يزيد على عقدين من الزمن، منذ نزول أول العلق إلى نزول قول الله تعالى: {إِلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} <sup>1</sup>، وقوله سبحانه: {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ} <sup>2</sup>، بالقرآن الكريم، بإعجازه وقدرته على النفوذ إلى القلوب، وبالقدوة الطاهرة المترجمة لأخلاق القرآن وقيمه على أرض واقع الناس وحياتهم، تغير القوم غير القوم جذريا؛ حيث تغير الفكر وتغيرت المبادئ والمواقف، فعجزت قوى الكفر أن ترد ولو فردا واحدا منهم إلى ما عهده بالأمس رغم ما مارست عليهم من صنوف التعذيب وأنواع الإيذاء، فثبتوا ثبات الجبال الراسيات، بل يستعذبون ما يتعرضون له بلذة الطاعة والفداء، موقنين وعد الله الذي عرفوه للتو فوحده وعبدوه وحده سبحانه، ولم يزل الدارس لحال هؤلاء الأفذاذ يتساءل: كيف غير القرآن الكريم هؤلاء هذا التغير الجذري؟ وفي وقت وجيز، وفي وسط يعج بالفساد العقدي والفكري والأخلاقي؟

لقد فطر الله الإنسان وأودع فيه القابلية والاستعداد للخير والشر، وزوده بنور العقل الذي ميزه به عن سائر المخلوقات، إن استخدمه نال الخلافة في الأرض،

<sup>1</sup> سورة المائدة، الآية: 4

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية: 280



ولأجل تغيير شامل عمد القرآن المجيد إلى إعادة صناعة الإنسان من جديد وتغييره بالقرآن، فأيقظ فيه إنسانيته، وأحى فيه الخير الكامن في آدميته، فاهتز الكيان الإنساني للنداء القرآني، فانتصر الخير على الشر، وانقادت النفوس بفطرتها لدعوة القرآن المجيد، فارتقت إلى أعلى مستوى في الرقي الإنساني، حيث التحرر من كل معبود من دون الله الفاطر الصمد، فتجردوا إليه وخشعت له قلوبهم.

هذا وقد أعرب البيان الإلهي في سورة الإنسان عن منهج القرآن الكريم في صناعة الإنسان، بعد أن قدمت السورة أطوار خلقه وأصله، {إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْقَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا}<sup>1</sup>، أردفت ذلك بالحديث عن صناعته باعتباره كائنا مسؤولا عن اختياراته، لما أودع فيه من وسائل أهله ليكون مكلفا صالحا للابتلاء، {نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا}، سورة الإنسان من أروع الأمثلة التي أبانت عن منهج القرآن الكريم في صناعة الإنسان، وربطه بالكون، وتذكيره بأصله، وبالتالي معرفته لربه حق المعرفة، وإيمانه به خالقا ومديرا لأمره، وما وراء ذلك من البعث والحساب، والملائكة والرسل والكتب وقضاء الله وقدره، خيرا كان أو شرا، فكانت هذه المعاني بالفعل جديدة على الإنسان رغم قدمها قدم الحياة، لكن الفطرة المستقيمة أسرعت للإجابة سعيا منها إلى الخروج من حدود البهيمية، وضيق الحيوانية إلى سيرة الإنسانية وسعتها، فكلما أنعم الإنسان النظر فيما يتلقاه من الوحيين إلا وجد فيه ما يجعل مداركه تمتد، وأدرك الفرق بين ما كان عليه وما صار إليه.

<sup>1</sup> سورة الإنسان، الآية: 2

تولى القرآن الكريم بناء وصناعة الشخصية الإنسانية كفرد أولاً، ولم يزل يغرس وينمي فيها صحة الاعتقاد، حتى وجدت الشخصية المسلمة نفسها تتفانى في توحيد خالقها وعبادته، وصار المسلم الواعي بحقيقة وجوده — انطلاقاً من كتاب ربه — يرى نفسه لا ينفك عن هذا الكون، يتلقى أوامر ربه ونواهيه بالرضا بعد الإيمان بها وقبولها، وذلك لسمو مصدرها وعلو مقصدها؛ إذ الشريعة المحمدية محيطة بأسرار نفوس بني الإنسان، ثم إن من خصائصها الصلاحية المطلقة مهما امتد الزمان واتسع المكان لأن لها من العصمة ما ليس لغيرها، قال تعالى: {وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ} <sup>1</sup>.

اهتم القرآن الكريم بإصلاح عقيدة الفرد وجعلها أساساً لكل تغيير؛ كالتغيير الأخلاقي المتمثل في طهارة القلوب والألسنة: طهارة القلوب من الشرك والحقْد والبغضاء والحسد، وطهارة الألسنة من فحش القول؛ من الغيبة والنميمة والجهر بالسوء إلا ما استثناه القرآن المجيد: {لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلِمَ} <sup>2</sup>، وهذه العقيدة كفيلة بأن تؤهل الفرد المسلم ليكون ذا صلة حسنة وتواصل إيجابي مع من يلقاه من بني الإنسان، يسعى لإيصال الخير للآخرين بصدق وأمانة وتسامح ومروءة.

هذا الفرد الصالح الذي غيره القرآن الكريم ورباه، ورسخ فيه الاعتقاد الصحيح، يعد اللبنة الصالحة لبناء الأسرة؛ إذ العقيدة والأخلاق يعتبران شيئين متلازمين، ويسريان

<sup>1</sup> سورة فصلت، الآية: 40 — 41

<sup>2</sup> سورة النساء، جزء من الآية: 147

سريان الدم في الجسد في كل مشروع تغيير يقيمه القرآن الكريم صغيرا كان أو كبيرا، فهما لا ينفصلان عن بناء الإنسان، فردا أو أسرة أو مجتمعا.

هكذا غير القرآن الكريم الإنسان عقيدة وفكرا وأخلاقا وسلوكا، يرون ما يسمعون من آيات ربهم المتلوة مترجمة في شخص رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعادت الإنسانية إلى فطرتها، وترفعت عن الدنيا وقاومتها بما تستطيع، ودبت في الإنسانية روح القرآن فأحيتها، {أَوَمَسْ كَانَ مَيِّتًا فَأَخْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَا مَثَلَهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} <sup>1</sup>، أشرق الكون بنور القرآن الكريم على يد الرسول صلى الله عليه وسلم، القدوة الرائدة النموذجية، فتغير الكيان الإنساني، وغمر الدنيا بفضائل الأخلاق، والتعاليم السامية.

### المصلب الثالث: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والأطفال

إن القرآن الذي غير الإنسان وربطه بالقدوة المعصومة وتعهده، لم يغفل دور العادة في حياة الإنسان، وكانت العادات أكبر عائق يعترض طريق التغيير، لذا كانت خطة التغيير في القرآن الكريم تتعهد أبناء المجتمع منذ صغرهم لغرس العقيدة الصحيحة في قلوبهم، وترسيخ قيم القرآن وأخلاقه، كما وظف المنهج القرآني في التغيير قضية حب الوالد لولده في عملية التغيير، مما يجعل الواحد منهم يحرص على جلب كل خير لهم، ودفع كل شر عنهم، وربما قدم مصلحتهم على مصلحته، قال الله تعالى: {يَتَأْتِيهَا

<sup>1</sup> سورة الأنعام، الآية: 123

الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْاً أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً<sup>1</sup>، طبيعة الإنسان وعاطفته تقتضي حصر مهمة الأب مع ولده في السعي والكد للحصول على قوته، وذلك بدافع عاطفي، لكن القرآن الكريم أكد على المصلحة الأبدية التي تغفل من قبل الآباء، حيث يجعلون المصلحة الموقته ملهية عن المصلحة الأبدية، إنها التغذية الروحية القلبية، قال الله تعالى: {وَأْمَرَ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا تَسْأَلْكَ رِزْقاً نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَافِيَةُ لِلتَّفَوُّي<sup>2</sup>}، هكذا يهمس القرآن الكريم في أذن الأب وولي الأسرة، ويدعوه ليكون قدوة صالحة لصغاره منذ نشأتهم، فلسان حاله معهم أبلغ وأكثر تأثيراً فيهم من لسان مقاله، فشعائر الإسلام ومبادئه لا تعادها مبادئ، فهي تحيي في الإنسان إنسانيته، وتجعل الطفل إن هو نشئ عليها واثقاً بدينه الذي يحمله بين جنبيه، لا يقبل فيه المساومة، مهما كان الثمن، لأنه أخذه عن قناعة واعتقاد وترى عليه، وخالط لحمه ودمه، ولا يرضى أن يلقي ربه إلا به، {فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ<sup>3</sup>}، وتعبير القرآن هنا بالمضارع فيه إشارة إلى معنى التجدد والاستمرار في التمسك والمداومة على التعلق إلى آخر لحظة، ثم أكد ذلك بلا الناهية ونون التوكيد مع أسلوب الحصر.

تكوين الطفولة وصناعتها وفق منهج القرآن المجيد وسيلة من أهم وسائل التغيير الجذري للمجتمع، وهي السبيل الكفيل بتخريج أجيال قوية بدينها وعقيدتها وفكرها ووطنيتها الحققة، وهو مقصد غال وثمان، يحتاج إلى يقظة في الفكر، وبعد في التبصر، إذ الطفولة لبنات أساس عليها يقام البناء.

<sup>1</sup> سورة التحريم، الآية: 6

<sup>2</sup> سورة طه، الآية: 131

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية: 131

بالقرآن وبالقرآن وحده صنع النبي صلى الله عليه وسلم طفولة ما لبثت أن تحولت إلى جيل قوي له مبادئه له فكره له إرادته، جيل اختاره الله تعالى ليتربى على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليبقى نموذجا يحتذى به، وكانوا أول نسخة للطفولة، تربت بالقرآن على يد من نزل عليه القرآن.

## نماذج من مواقفه صلى الله عليه وسلم مع الأئمه

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوة ونموذجا يحتذى به في كل شيء، ومن ذلك تربيته صلى الله عليه وسلم الأطفال ورحمته بهم وعطفه عليهم، فمن مواقفه صلى الله عليه وسلم:

### — موقفه صلى الله عليه وسلم مع أنس بن مالك رضي الله عنه

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا، فأرسلني يوما لحاجة فقلت: والله لا أذهب، وفي نفسي أن أذهب لما أمرني به نبي الله صلى الله عليه وسلم، فخرجت حتى أمر على صبيان وهم يلعبون في السوق، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قبض بقفاي من ورائي، قال: فنظرت إليه وهو يضحك فقال: يا أنيس؛ أذهبت حيث أمرتك؟ قال: قلت: نعم أنا أذهب يا رسول الله"<sup>1</sup>.

### — موقفه صلى الله عليه وسلم مع بنت بنته: أممة بنت أبي العاص

<sup>1</sup> صحيح مسلم (ت: 261هـ)، كتاب الفضائل، باب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقا، الحديث رقم: 2310. وسنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في الحلم وأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، الحديث رقم: 4773.



حين ماتت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في السنة الثامنة للهجرة، أشفق على أمانة وحن لها، وربما أخرجها معه أحياناً إلى المسجد، يحملها وهو يصلي، فإذا سجد وضعها على الأرض، وإذا قام حملها، فعن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم "كان يصلي وهو حامل أمانة بنت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأبي العاص بن الربيع بن عبد شمس، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها"<sup>1</sup>.

### — موقفه مع سيئته: الحسن والحسين رضي الله عنهما

عن عبد الله بن شداد عن أبيه قال: "خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدى صلاتي العشي: الظهر أو العصر — وهو حامل الحسن أو الحسين — فتقدم النبي صلى الله عليه وسلم فوضعه ثم كبر للصلاة، فصلى فسجد بين ظهراني صلاته سجدة أطاها، قال: إني رفعت رأسي فإذا الصبي على ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ساجد، فرجعت في سجودي، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة قال الناس: يا رسول الله، إنك سجدت بين ظهراني الصلاة سجدة أطلتها حتى ظننا أنه قد حدث أمر، أو أنه يوحى إليك، قال: كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته"<sup>2</sup>.

هكذا لم يكن صلى الله عليه وسلم رغم اشتغاله بالدعوة إلى الله وبالعبادة وهم الأمة أن يترك مداعبة الأطفال وملاعبتهم ومخاطبتهم بلغتهم.

<sup>1</sup> صحيح البخاري (ت: 256هـ)، كتاب الصلاة، باب إذا حمل جارية صغيرة على عنقه في الصلاة، الحديث رقم: 516، وموطأ مالك (ت: 179هـ)، كتاب الصلاة، باب جامع الصلاة، الحديث رقم: 81.

<sup>2</sup> مستدرک الحاكم (ت: 405هـ)، مناقب ابني بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحسن والحسين، الحديث رقم: 4775.

# الفصل الثالث

الفصل الثالث: التغيير الاجتماعي القرآن المجيد، وفيه خمسة

مباحث

المبحث الأول: صناعة الإنسان الفرد في القرآن الكريم

المبحث الثاني: التغيير الأسري في القرآن الكريم

المبحث الثالث: التغيير الاقتصادي في القرآن الكريم

المبحث الرابع: الحرية والتغيير في القرآن المجيد

المبحث الخامس: التغيير السياسي في القرآن المجيد

## بين يدي هذا الفصل

يلاحظ المتدبر لكتاب الله، المتأمل لآياته، أن قوة الطرح القرآني للقضايا الاجتماعية، ونجاعة منهجه في معالجتها، يبدوان بالقوة في إيجاد التوازن المنطقي بين عنصرين تزعم التجارب البشرية أنهما متناقضان، والحقيقة القرآنية تثبت عكس ذلك، وهما:

1. العنصر الذاتي الشخصي المبني على حب المصلحة للذات، وهو أمر غريزي وفطري في النفس البشرية، لا يمكن تغييبه وإغفاله، بله قمعه والاصطدام به.
2. العنصر الأخلاقي الهادف إلى مصلحة المنظومة الاجتماعية بكل أفرادها قصد تحقيق العدالة الاجتماعية<sup>1</sup>، فكيف طرح القرآن الكريم قضية التغيير الاجتماعي؟ ومن أين بدأ؟ سؤال يتولى هذا الفصل الإجابة عنه بين تضاعيف مباحثه ومطالبه

## المبحث الأول: صناعة الإنسان الفرد في القرآن الكريم

أعتقد أن منهج القرآن الكريم في التغيير الاجتماعي يتمركز ابتداءً في صناعة الفرد أولاً قبل الجماعة، وفي بناء الفرد من الداخل: أي عن طريق إصلاح قلبه وعقيدته وفكره، ليمثل شخصية قوية لا تهزمها الخطوب، ولا تضعف أمام الحوادث، ولا تقعد مستسلمة دون أن تهتدي سبيلاً، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْزَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ}<sup>2</sup>، أي لا تخافوا مما أنتم قادمون عليه في حياتكم ولا تحزنوا على ما فاتكم؛ لأن

<sup>1</sup> ينظر الإنسان وعدالة الله في الأرض، محمد سعيد رمضان البوطي (ت: 2013م)، ص: 19

<sup>2</sup> سورة فصلت، الآية: 29

مشاعر الأسى والحزن سلبية لا تثمر حلا ولا تذهب مشكلا، قال ابن تيمية: "وكثير من الناس إذا رأى المنكر أو تغير كثير من أحوال الإسلام جزع وكل وناح كما ينوح أهل المصائب وهو منهي عن هذا؛ بل هو مأمور بالصبر والتوكل والثبات على دين الإسلام، وأن يؤمن بالله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأن العاقبة للتقوى"<sup>1</sup>.

وحين ينهى القرآن الكريم عن سلوك مشين وموقف سلبي، فإنما ينهى في الدرجة الأولى عن الاعتقاد الفاسد أو المضطرب الذي يصدر عنه ذلك الموقف أو ذاك السلوك، قال الله تعالى: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ}<sup>2</sup>، وقال محمد الغزالي: "الخيلاء شعور طفولي بالعظمة، والفخر حديث المرء عن نفسه أو قومه بإعجاب واعتزاز، وكلا الوصفين ينشأ عن الجهل أو القصور العلمي، أو الذهول عن حقوق الآخرين، ... وفي الإسلام حرب موصولة ضد الاختيال والاستكبار، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد)<sup>3</sup>، وغزارة المعرفة ونفاضة المواهب، وجلالة الشيم، ينبغي أن تستر برداء العبودية لله والإحساس بفضله الأعلى، فهو الواهب لكل جميل"<sup>4</sup>.

هذا وقد تتابعت آيات القرآن الكريم خلال ثلاثة وعشرين عاما، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يربي ويبنى بالقرآن أفرادا أفذاذا ليكونوا نماذج وقدوات للأمة

<sup>1</sup> مجموع الفتاوى، 18/295

<sup>2</sup> سورة لقمان، الآية: 17

<sup>3</sup> صحيح مسلم (ت: 261هـ)، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار، الحديث رقم: 2865

<sup>4</sup> المحاور الخمسة للقرآن الكريم، محمد الغزالي (ت: 1416هـ)، ص: 177 — 178.

تَهْتَدِي بِهِمْ وَتُسِيرُ وَفَقَ سِيرَهُمْ، تَرْبُوا تَرْبِيَةً خَاصَّةً، وَفَقَ مَنَهْجَ قُرْآنِي مُتَكَامِلٍ وَاضِحٍ الْمَعْلَمِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}<sup>1</sup>، وَيُمْكِنُ الْحَدِيثُ عَنْ هَذَا الْبِنَاءِ الْقُرْآنِيِّ لِلْفَرْدِ قَبْلَ الْأُسْرَةِ وَالْمَجْتَمَعِ وَفَقَ الْمَطَالِبِ الْآتِيَةِ:

## المصلب الأول: بناء الفرد في علاقته بربه في القرآن الكريم

لَقَدْ عَاشَتْ الْبَشَرِيَّةُ فِي الْمَجْتَمَعِ الْجَاهِلِيِّ مَعِيشَةً ضَنْكًا نَتِيجَةً جَهْلُهَا بِرَبِّهَا وَبِحَقِيقَةِ نَفْسِهَا وَأَصْلِهَا وَمَآلِهَا، لَا يَعْرِفُونَ مَا هُوَ النَّافِعُ مِنَ الضَّارِّ، حَتَّى جَاءَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِنُورِهِ وَمَنَهْجِهِ الْوَاضِحِ، مَوْجِهاً إِيَّاهُمْ نَحْوَ مَعْتَقَدٍ سَلِيمٍ، وَسُلُوكٍ مُسْتَقِيمٍ، وَبَنَظَرَةٍ سَرِيعَةٍ إِلَى الْبَيَانِ الْقُرْآنِيِّ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْفَتْرَةِ الْمَكِّيَّةِ يَتَبَيَّنُ بِجَلَاءِ مَنَهْجِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي بِنَاءِ الْفَرْدِ عَقِيدَةً وَفِكْرًا، وَكَيْفَ عَالِجِ الْوَاقِعِ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهِ، ثُمَّ إِلَى أَيْ حَالٍ صَارَ الْمُؤْمِنُونَ بِهَذَا الْكِتَابِ؟ كَيْفَ أَحْدَثَ فِيهِمْ تَحْوِيلاً عَجَبِيًّا وَحَبَا مَنَقَطَعَ النَّظِيرَ لِهَذَا الدِّينِ بَعِيدًا عَنِ الْوَثْنِيَّةِ وَأَغْلَاةِهَا، قَالَ تَعَالَى {وَاللَّهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}<sup>2</sup>، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ"<sup>3</sup> وَقَالَ تَعَالَى: {وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا فَذَقْ فَصْلَنَا أَلَا يَتْلُو لِقَوْمٍ

<sup>1</sup> سورة الإسراء، الآية: 9

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية: 162.

<sup>3</sup> صحيح البخاري (ت: 256)، كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار، الحديث رقم: 2736. وصحيح

مسلم (ت: 261)، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، الحديث رقم:

2677.

يَذْكُرُونَ<sup>1</sup>، وقال تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ إِيْسَلَمٌ<sup>2</sup>، كما قارن القرآن الكريم — مخاطبا العقول — بين الصراط المستقيم الذي جاء به، وبين ما كانوا عليه من السبل المنحرفة، تحذيرا منها ومن سوء عاقبة أهلها، فقال تعالى: {وَأَن هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ<sup>3</sup> كما كشف حقائق المعبودات التي عبدوها من دون الله، وشنع على من عبدوها، وأن لا غنى لهم عن خالقهم سبحانه، وأنه الهادي إلى الحق، قال الله تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَفَلَبِهَ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ<sup>4</sup>، وضرب لهم أروع الأمثلة فقال: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ<sup>5</sup> .

فالإنسان البعيد عن القرآن يعتبر ميتا، وإن أكل وشرب وقام وقعد، حتى تحل فيه حياة القرآن، قال الله تعالى: {أَوَمَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا<sup>6</sup>، وقال تعالى:

<sup>1</sup> سورة الأنعام، الآية: 127

<sup>2</sup> سورة آل عمران، الآية: 19

<sup>3</sup> سورة الأنعام، الآية: 154

<sup>4</sup> سورة الجاثية، الآية: 22

<sup>5</sup> سورة العنكبوت، الآية: 41

<sup>6</sup> سورة الأنعام، آية 123

{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا}<sup>1</sup>، وسرُّ هذه العلاقة أن الإنسان مكون من عنصرين: طين وروح من الله: فالعنصر الطيني محكوم ومسير بالعنصر الروحي، أي هو الذي يقوده إما إلى الخير، وإما إلى الشر، قال تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيَهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّيَهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّيَهَا}<sup>2</sup>، هذه الروح هي التي تزين للإنسان الخير أو تغويه فتزين له الشر، وهي التي توزعه إلى الصلاح والإصلاح أو تؤزعه إلى الفساد والصلاح أزا، فما غذاؤها؟ نحن إذ نغذي إنما نغذي أجسامنا، نغذي القسم الطيني فقط، أما الجانب الروحي فإنما يتغذى بالوحي، فلننظر في هذا الأمر وهو أن علاقة هذا القرآن بالإنسان علاقة الروح بالجسد، والذي لا يذكر الله ميت، والقرآن ذكر وحياة، بل هو أفضل الذكر، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت"<sup>3</sup>، وقال تعالى: {يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِسُجُودٍ لِّلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ}<sup>4</sup>، وقال سبحانه: {إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَفَرَأَنَ مُبِينٌ ﴿١٨﴾ لِّتُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا}<sup>5</sup>، أي أن الذي يستفيد من الإنذار والتذكير هو الحي .

فالقرآن الكريم نور يبدد ظلمات الجهل، ويعرض الآيات الكونية ليزيل الحجب عن بعض أسرارهِ وحكمه، تحقيقاً للغاية من حياة الإنسان: عبادة الله وحده، ومن ثم تبرز

<sup>1</sup> سورة الشورى، الآية: 49

<sup>2</sup> سورة الشمس، الآيات: 7 — 10

<sup>3</sup> صحيح البخاري (ت: 256هـ)، كتاب الدعوات، باب فضل ذكر الله عز وجل، الحديث رقم: 6407

<sup>4</sup> سورة الأنفال، الآية: 24

<sup>5</sup> سورة يس، الآية: 68 — 69

قيمة التغيير الذي يعرضه القرآن الكريم، وأن هذا الكتاب صالح لكل زمان ومكان، ثم تأتي ضرورة إبراز محاسن التغيير القرآني؛ إذ القرآن الكريم يأخذ بلب المرء فيجعله يرتقي من حال إلى أحسن وأفضل، بل وإلى أعلى وأسمى في العمل والمعتقد معا، فالفرد يتغير بالقرآن من مرحلة إلى أخرى، حتى يصل إلى القمة مطبقا ما في طاقته من تعاليم القرآن الكريم، الذي فيه سعادته في دينه ودنياه، وكذا المجتمع إذا سار على الدرب نفسه.

وكون القرآن الكريم كتاب تغيير حقيقة مسلمة لا ينكرها عاقل منصف، فهو كتاب تربية وتهذيب وتجديد وتغيير لأمر الإنسان في حياته إن أراد الدنيا أو أراد الآخرة، إذ قال الله تعالى عن النبي الأمي صلى الله عليه وسلم: {يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ} <sup>1</sup>، فالمدرسة القرآنية على هذا الأساس من التعليم وتهذيب النفس وتزكيتها، وتربية القلوب والعقول، لقد عاش الناس في مجتمع جاهلي يتخبطون في كل مناحي الحياة، والتاريخ يثبت تخبطهم في العبادة وفي نظام الأسرة، وفي التعامل الاجتماعي، وفي الاقتصاد والسلوك والمعاملة، فمن تخبطهم في العبادة أن الواحد منهم يصنع إلها بيده ليعبده فإذا جاع أكله، ونحو ذلك من التصرفات التي يرفضها العقل السليم، فجاءهم القرآن بهديه مشتملا على ما يصلح حالهم في عاجلهم وآجلهم، فرباهم أحسن تربية، فمضى عقولهم، وهذب أخلاقهم، ونظم معاملاتهم، وجعل لهم نظاما يسيرون به نحو الرقي على خطى ثابتة يسودون به العالم، {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} <sup>2</sup>، فأحدث القرآن الكريم للبشرية تحولا عالميا، وانقلابا سلميا — على حد تعبير أبي الأعلى المودودي

<sup>1</sup> سورة آل عمران، الآية: 164، وسورة الجمعة، الآية: 2

<sup>2</sup> سورة سبأ، الآية: 28



— بعد نزوله، وطبقه من اختارهم الله لصحبة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم، فبعد أن كانوا في نزاع وتخطب وشقاق في كل مجالات الحياة، أصبحوا متحابين متآلفين، {لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ فُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} <sup>1</sup>، بتوفيق الله ثم بتطبيقهم تعاليم المنهج القرآني، فبالقرآن تحولوا من الجاهلية إلى العلم والدين، ومن الضلال إلى الهداية، ومن الظلم إلى العدل، ومن الرذيلة إلى الفضيلة، فهو كتاب تغيير، قال تعالى: {لَوْ أَنْزَلْنَا هَٰذَا أَلْفُ رِجَالٍ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} <sup>2</sup>، عن ابن عباس رضي الله عنهما: أي لو أني أنزلت هذا القرآن على جبل حملته إياه، لتصدع وخشع من ثقله ومن خشية الله، فأمر الله الناس إذا نزل عليهم القرآن أن يأخذوه بالخشية الشديدة والتخشع <sup>3</sup>، ما أروع هذا الكتاب لو أنزل على جماد لأحدث فيه تغييرا، ولجعله خاشعا وتصدع، كيف لا؟ وهو كلام الله سبحانه وتعالى القادر على كل شيء، الفعال لما يريد، ففي الحديث أن الصحابة رضي الله عنهم سمعوا خوار الجذع حينما انتقل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المنبر، حتى ارتج المسجد بخواره، حزنا عليه، فعن ابن عمر رضي الله عنهما: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه" <sup>4</sup>، أشياء يصعب على العقل العاري عن الإيمان بالله ربا وبمحمد صلى

<sup>1</sup> سورة الأنفال، الآية: 64

<sup>2</sup> سورة الحشر، الآية : 21

<sup>3</sup> تفسير ابن كثير (ت: 774هـ)، 78/8

<sup>4</sup> صحيح البخاري (ت: 256هـ)، كتاب المناقب ، باب علامات النبوة في الإسلام، الحديث رقم: 3583

الله عليه وسلم نبيا أن يقبلها، تأثير الوحي في الجماد، وشعور الجماد بالحب والأنس بالوحي وبصاحب الوحي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

## المصلب الثاني: بناء الفرد في علاقته بنفسه في القرآن العظيم

كيف كان الإنسان الفرد قبل نزول القرآن؟ وماذا فعل به القرآن الكريم؟ هل غيره القرآن بالفعل؟ وما هي الأسس التي بنى عليها القرآن تغييره؟  
إن المسلم الذي حكم نفسه بالوحي، وجعل القرآن إمامه وأمامه، له مكونات شخصيته، شخصيته لا كالشخصيات، متميز في تفكيره وتكوينه، قوي النفس والقلب، فالقرآن الكريم يضم في هداه كل الخصال المهدبة للفرد، فإذا تربى عليها الفرد كان عضوا صالحا ومنتجا في مجتمعه، وبه وبمثله يصير المجتمع إلى بر الأمان بكل محبة وتواد وتعاطف وتراحم.

فالفضائل القرآنية كثيرة بجملتها الواسعة، ومعانيها الشاملة، فمنها ما يختص بالفرد كالثبات على الحق والجهر به، وطيب القول والصدق والإخلاص والحلم والصفح والسماحة واللين والأمانة والعدل ونحو ذلك؛ مما يقوي السلوك بين الأفراد، ولن يتم ذلك للفرد حتى يتلقى التكوين الأولي الوحيي عبر محاور جاء بها القرآن المجيد مرتبة ومنسجمة.

ويمكن إجمال المحاور التي أسس عليها القرآن الكريم تغيير الفرد وبناءه في ثلاثة محاور، ذكرها القرآن الكريم في أربعة مواضع، منها سورة الجمعة، وذلك في قوله تعالى: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ

وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَمِمْ ضَلَالٍ مُبِينٍ<sup>1</sup>، فذكر التلاوة والتزكية والتعليم.

فعن طريق التلاوة يتم عرض المنهج، وبيان معالم الطريق الصحيح، وإعطاء صورة واضحة لملامح المنهج، ورسم خط بياني للسير السوي وفق منهج القرآن الكريم عقيدة وعبادة وسلوكا.

أما التزكية فتعني تربية النفس وتهذيبها عن طريق تحليلتها بالأخلاق السامية والفضائل، بعد تخليتها من القبائح والرذائل، فيعد المنهج القرآني الفرد لحمل الرسالة السامية، إعدادا يناسب سمو الرسالة وعظمتها، ليظهر لكل الناس كمال هذه الرسالة وخلودها وإنسانيتها في عقيدة وعبادة وسلوك حاملها أفرادا وجماعات.

ثم محور التعليم الذي يشمل — كما هو صريح الآية — تعليم الكتاب والحكمة، فالتلاوة عرض للبرنامج، والتعليم تنفيذ عملي وتطبيق واقعي، مع المحافظة على التوازن بين كل هذه العناصر، وعدم طغيان عنصر على آخر، ودون إفراط ولا تفريط.

أما الحكمة فتفيد العمل الصحيح الموافق للصواب، وهو يتم بصدق النظر، ولا وجود لها مع الجهل؛ لأن الحكمة تقوم بنظر دقيق، وتقدير صائب للأشياء.

هكذا أحدث القرآن الكريم تغييرا جذريا وتحولا عجيبا في الأمة التي نزل على نبيها إلى أن صاروا قرآنا يمشى على الأرض، كل واحد منهم ترى في أعماله ومواقفه الترجمة الصحيحة لما يتلقاه عن رسوله صلى الله عليه وسلم، بعملهم وامتثالهم والتأسي بنبيهم، فقصة عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي كان قبل إسلامه من أشد الناس

<sup>1</sup> سورة الجمعة، الآية: 2

عداوة للإسلام والمسلمين، فإنه ما إن أسلم وقبل القرآن حكما عليه حتى ترقى وتهذب، بل صار من أشدهم حبا لله تعالى ورسوله، وكذلك الخنساء<sup>1</sup> التي بكت قبل إسلامها أخاها صخرا وناحت وولولت، لكن بعد الإسلام واستشهاد أبنائها، تحمد الله تعالى وتصبر وتتمنى اللقاء بهم في الجنة.

وآية الجمعة فيها بيان لمهمة القرآن التربوية، {وَيَزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}، فامتن الله على المسلمين الأوائل حيث أكرمهم برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وأنزل عليه هذا القرآن ليكون دستور الإنسانية وقانونها العام، وإن هذا الكتاب ليؤدي مهمتين اثنتين في وقت واحد، مهمة تعليمية تثقيفية، ومهمة أخلاقية تربوية، وهكذا كانت المدرسة المحمدية النبوية الأولى لكونها مستمدة أصولها من الوحي على أساس من التناسق والتكامل والانسجام.

ويتضمن قول الله تعالى: {وَيَزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ} حكمة راقية؛ إذ يفيد أن الإسلام يهتم بتربية النفس وتهذيب الأخلاق في الدرجة الأولى، فقد قدم التزكية على التعليم، كما يهتم بتثقيف العقل وتوسيع معلوماته في الدرجة الثانية، ولذلك لو خير المسلم بين علم واسع مع خلق فاسد، وعلم محدود مع خلق فاضل، لكانت الأولوية عنده لمكارم الأخلاق ولو مع قليل من العلم، لا لكثرة العلم مع فساد الأخلاق، إذ فساد الأخلاق يضيع ثمرة العلم، ويجعل صاحبه أخطر من الجاهل بالمرة<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> هي: خنساء بنت عمرو بن الشريد بن ثعلبة بن عصىة بن خفاف بن امرئ القيس بن بثة بن سليم، السلمية، الشاعرة المشهورة، اسمها: ثُمَاضِرُ. ثمناة فوقية أوله، وضاد معجمة مكسورة. ينظر لقصتها وترجمتها، الإصابة في تمييز الصحابة، 8/ 109-112.

<sup>2</sup> ينظر المنهاج القرآني في التشريع، لعبد الستار فتح الله سعيد، ص: 408 وما بعدها.

هذه تربية القرآن الكريم، يثقف ويربي عقيدة وعبادة وتعاملا وسلوكا، وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر الناس تأثرا وظفرا بهذا التكوين القرآني الفريد، فقد ضربوا أروع الأمثلة في التغيير وفق منهج القرآن الكريم، فصار فيهم الحب والفداء والإيثار والتباعد، والتخلي عن زخرف الدنيا الفانية.

لقد اعتنى القرآن الكريم بالإنسان ونمى مداركه وأهله للاستقامة على الطريق السوي، ففسح المجال لعقله لينظر في نفسه أولا، ثم ليجول بفكره في مخلوقات الله تعالى مما سيجعله يسير على خطى واضحة نحو التغيير الإيجابي عن فهم وقناعة، وكلما تربى الفرد على منهاج القرآن وهديه بالمفهوم الشامل الواعي كان أكثر تأثرا به وتأثيرا في غيره إيجابيا.

### المصلب الثالث: علاقة الفرد بأقاربه في القرآن العظيم

إذا امتثل المسلم منهج القرآن الكريم وتخلق بأخلاقه وتربى عليها حسنت أخلاقه، وعامل أفراد مجتمعه باحترام وتقدير، مراعى في ذلك شعورهم، بعيدا عن الغل والحسد، وأولى الناس بذلك أقاربه وذوو رحمة خاصة والديه، يربط القرآن الكريم المرء مع والديه لعظم حقهما، ولحاجتهما إلى من يقوم برعايتهما والاهتمام بشئونهما، خاصة في سن الشيخوخة والهرم، ففي آيات القرآن الكريم تأكيد لهذه المرحلة، قال الله تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهًا وَوَضَعَتْهُ كَرْهًا<sup>1</sup>، وقال سبحانه: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي

<sup>1</sup> سورة الأحقاف، الآية: 14

الْقُرْبَىٰ} <sup>1</sup>، هكذا تأتي الآيات القرآنية بعد الأمر بالعبادة والنهي عن الشرك في مقام الوصية بالإحسان إلى الوالدين، وهذا يعم كل إحسان قوليا كان أو فعليا لفضلهما على الابن بما قدماه له في صغره من حسن رعاية وكرم تربية، وفيه النهي عن الإساءة إليهما، أو التفريط في حقهما.

## — أسرته

بينما هو في حاجة ماسة إلى الطمأنينة النفسية والراحة الذاتية، تأتي الآيات القرآنية لتربيته على الحياة المستقيمة، لتجعل الود سائدا بين أفراد الأسرة، قال الله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً} <sup>2</sup>، فصاروا يعطف بعضهم على بعض، ويرحم بعضهم بعضا، ولو لم يكن بينهم سابق معرفة، إنها آيات الله الدالة على عظمته وجلال سلطانه، قال الله تعالى: {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَقَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ} <sup>3</sup>، وهو الكريم المتفضل سبحانه، جعل بين المرء وبين زوجه من المودة والرحمة ما لا يقدر عليه إلا هو، {لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِئِنَّ فُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

<sup>1</sup> سورة النساء، الآية : 36

<sup>2</sup> سورة الروم، الآية: 20

<sup>3</sup> سورة النحل، الآية: 72

{<sup>1</sup>، والله عز وجل له على القلوب من الألفاف والعناية ما ليس لغيره؛ إذ هو خالقها العليم بأحوالها.

## — عموم ذوي القربى

من التربية القرآنية للفرد وبنائه له وصيته بالإحسان إلى ذي القربى، فقال تعالى: {وبذي القربى}، أي: "وبصاحب القرابة من أخ أو عم أو خال أو نحو ذلك بصلة الرحم والرحمة إن استغنوا، والوصية وحسن الإنفاق إن افتقروا"<sup>2</sup>.

كما نهي عن الإفساد في الأرض عموماً، وعن قطع الأرحام خصوصاً، وتوعد على ذلك باللعن وأشد العذاب، قال الله تعالى: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ} ﴿٨١﴾ وَأُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ} {<sup>3</sup>، وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "خلق الله تعالى الخلق فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت بحقو<sup>4</sup> الرحمن - عز وجل - فقال له؟ فقالت: هذا مقام العائد بك من القطيعة، فقال تعالى: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى، قال: فذاك لك)، قال أبو هريرة - رضي الله عنه - : اقرؤوا إن شئتم: {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ} {<sup>5</sup>6".

<sup>1</sup> سورة الأنفال، الآية: 64

<sup>2</sup> روح البيان لإسماعيل حقي (ت: 1127هـ)، 2/229

<sup>3</sup> سورة محمد، الآية: 23 — 24

<sup>4</sup> قال ابن الأثير (ت: 630هـ): "الأصل في الحقو معقد الإزار". النهاية، (حقاً)، 1/417

<sup>5</sup> سورة محمد، الآية: 23

<sup>6</sup> صحيح البخاري (ت: 256هـ)، كتاب التفسير، باب وتقطعوا أرحامكم، الحديث رقم: 4830

فوصايا القرآن الكريم برعاية ذوي القربى إلى المرء فيها بناء للفرد والأسرة والمجتمع، وهو مما تسود به السكينة والأمان، وتحصل به الراحة والاطمئنان.

## المصلب الرابع: علاقة الفرد بالمجتمع في القرآن العبيد

فمن حسن البناء القرآني للفرد ربطه بمجتمعه، وجعله يرى نفسه جزءاً منه، فهو غصن في تلك الشجرة، كل خطر يهدد وجودها وسلامتها يهدد وجوده وسلامته بالتأكيد واللزوم، فأثبت القرآن الكريم الحقوق للمسلمين بعضهم على بعض، وعمل على إزالة كل الفروق السلبية من عصبية للون أو اللغة أو العرق، كما اهتم بأفراد لهم خصوصية تميزهم عن غيرهم في المجتمع وهم من لهم حق الجوار، واليتامى والمساكين وأبناء السبيل والمملوكون والسائلون، قال الله تعالى — عطفاً على الوالدين — : {وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} <sup>1</sup>، فالاهتمام بهم واجب شرعي وتوجيه قرآني، ثم فصل الرسول صلى الله عليه وسلم في أحوالهم، وبين مقادير حقوقهم، وثواب ذلك فقال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره" <sup>2</sup>، فمن حق الجار على جاره أن يتعهد بالهدية والصدقة، وبحسن الأقوال وجميل الأفعال، وعدم أذيته بقول أو فعل.

وأما المماليك فإنه من الواجب — حين كانوا موجودين — الإحسان إليهم، في انتظار إلحاقهم بمجتمعهم متمتعين بتمام حريتهم، فقد نص القرآن الكريم على جملة

<sup>1</sup> سورة النساء، الآية: 36

<sup>2</sup> هذا جزء من حديث رواه مسلم (ت: 261هـ)، في صحيحه، في كتاب الإيمان، باب الحث على إكرام الجار والضيف، الحديث رقم: 47



من الكفارات التي تتم بعنق العبيد والإماء؛ مثل كفارة القتل والظهار والأيمان، وفي ذلك محاربة لظاهرة الرق والعبودية، خلافا لما يزعم بعضهم من أن الإسلام كرسها ودعا إليها، كما دعا الإسلام إلى القيام بمساعدة المكاتبين منهم.

والإحسان إلى من ذكر بعضهم طاعة عظيمة، ويخص القرآن الكريم بعضهم بمزيد عناية رفعا لانكسار قلوبهم وتقديرا لقلّة ذات يدهم، وفي هذه التوجيهات القرآنية تربية للفرد ورفع له نحو سمو النفس بالتعايش والإيجابية مع كل فئات مجتمعه، لأنه لا يستطيع العيش بعيدا عنهم وبمعزل عن مخالطتهم، بل هو منهم وهم منه.

## المصلب الخامس: علاقة الفرد بالكون والبيئة في القرآن الكريم

كيف هي علاقة الفرد المسلم بالكون في القرآن الكريم؟ وما أثر البيئة في تغيير الإنسان؟

### — علاقة الإنسان بالكون، والتغيير

دعا القرآن الكريم الفرد المسلم إلى التفكير في خلق الله تعالى وإلى التأمل في الآيات الماثلة في الكون وفي النفس، كما أثنى الله تعالى على الذين يتفكرون فيها، لأنهم بدوام التفكير يصلون إلى بعض الحقائق عن الخالق والمخلوق، فيثبتون بذلك لغيرهم هيمنة القرآن الكريم وإعجازه الفكر البشري، فتجد الفرد المسلم يلهج لسانه بالاعتراف بوحداية ربه، ثم يرقى فكره ليعلم في النهاية أنه عاجز عن أداء حق الله تعالى على الوجه المطلوب، فيخشى من المؤاخذه يوم الوقوف بين يديه، فلا يسعه إلا أن يطلب النجاة

والأمن يوم الفرع الأكبر، قال الله تعالى: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيمَا وَفُوعُوا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَفْتَ هَذَا بَطِلًا} <sup>1</sup>.

وآيات الكون كثيرة، قال الله تعالى: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ} <sup>2</sup>، قد أرى القرآن الكريم الناس صدقه وأنه من عند الله، وسوف يري المجتمعات — على تقدم العلم — ما تقوم به الحجة عليهم على أن القرآن الكريم حق، وأن الإسلام حق، وأن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم حق، لا ريب أن التفكير في الآيات الكونية يؤدي بالفرد إلى تحول نحو العلم، حتى تتبين له حقيقة الآيات فيدرك يقينا وبعلم أن الله تعالى حق، وهذا كله من تربية القرآن الكريم للنفس وتوجيهها نحو حقيقة الإسلام وحقيقة من أنزل عليه وحقيقة من أنزله سبحانه.

## — الإنسان والبيئة والتغيير

بما أن الإنسان يتأثر بالبيئة التي يعيش فيها فإن منهج القرآن الكريم لم يهمل عامل البيئة وأثرها في تغيير العنصر البشري، بسبب ما تحدثه بمختلف مكوناتها؛ من انفعالات في النفوس وتفاعل في الوجدان، والبيئة الصالحة تدعو إلى الصلاح، كما أن فساد البيئة باعث على فساد الإنسان فكرا وخلقا.

منهج القرآن الذي غير به رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه في ظرف وجيز، اعتنى أولا بإيجاد بيئة صالحة، وإنشاء أرضية لائقة، فلم تفرض الحدود في صدر الإسلام، وإنما فرضت بعدما أصلحت البيئة بسد أبواب الشهوات، وصار الإنسان لا

<sup>1</sup> سورة آل عمران، الآية: 191

<sup>2</sup> سورة فصلت، الآية: 52

يرى حوله إلا دوافع العفة، وبواعث الطهر حيثما سار، قال الله تعالى: {يَأْتِيهَا النَّبِيُّ  
فُلٌ لِّزَوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَذْنَبِي  
أَنْ يُعْرِفَنَّ فَلَا يُؤْذِينَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} <sup>1</sup>، فالقرآن الكريم لم يلزم المؤمنين به  
شططا، ولم يطالبهم بالابتعاد عن المحارم إلا بعد إيجاد جو مناسب وإحكام قفل باب  
الشر، وتيسير استمتاع حلال، قال الله تعالى: {وَلَيْسَتَعْصِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ  
نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} <sup>2</sup>، وقال تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ  
وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} <sup>3</sup>،  
فساير القرآن الكريم الفطرة واعتبر عذرها واحتياجها، فوجهها بغرس القيم النبيلة،  
والأخلاق العالية في نفوس الناس، ويرون فيما بينهم الأسوة الطاهرة المتمثلة في رسول  
الله صلى الله عليه وسلم، ومجتمعا طاهرا عفيفا، فالبيئة الحسنة تجعل المقيم فيها صالحا  
مستقيما، والبيئة الفاسدة يهاجر منها وتستبدل بها بيئة صالحة مسعفة على الصلاح  
والتغيير الإيجابي، جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله  
عليه وسلم قال: "كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا، ثم خرج يسأل،  
فأتى راهبا فسأله فقال له: هل لي من توبة؟ قال: لا، فقتله، فجعل يسأل، فقال له  
رجل: أتت قرية كذا وكذا، فأدركه الموت، فناء ب صدره نحوها، فاختصمت فيه ملائكة

<sup>1</sup> سورة الأحزاب، الآية: 59

<sup>2</sup> سورة النور، الآية: 33

<sup>3</sup> سورة النساء، الآية: 26

الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله إلى هذه أن تقربي، وأوحى الله إلى هذه أن تباعدتي، وقال: قيسوا ما بينهما، فوجد إلى هذه أقرب بشبر، فغفر له"<sup>1</sup>.

هكذا حقق رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا القرآن الحلم الذي طالما تغنى به الفلاسفة، حيث صنع إنسانا صالحا خيرا بفطرته، يحمل داعي التغيير بين جنبيه، علاوة على احترام الداعي الخارجي المتمثل في القوانين والشرائع.

---

<sup>1</sup> صحيح البخاري (ت: 256هـ)، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، الحديث رقم: 3470

## المبحث الثاني: التغيير الأسري في القرآن العبيد

أولى القرآن الكريم الأسرة عناية خاصة، وأقام صرحها على أساس الوضوح ضمانا لها من أي تصدع أو اختلال، ولم يدع ثغرة يمكن أن يؤتى منها هذا الكيان، الذي هو أساس البناء الاجتماعي إلا غلقها صيانة له، وحفاظا على تماسكه.

"إن البيت هو المؤسسة التي تدرب فيها كل سلالة أخلافها، وتعددهم لتحمل تبعات التمدن الإنساني العظيمة بغاية من الحب والمواساة، والتودد والنصح، فهذه المؤسسة لا تهتئ الأفراد لبقاء التمدن البشري فحسب، بل هي مؤسسة يود أهلها من صميم قلوبهم وأعماق صدورهم أن يخلفهم من هو خير منهم، وأصلح شأنًا وأقوم سبيلا، فالحقيقة التي لا تنكر على هذا الوجه: أن البيت هو جذر التمدن البشري وأصله، وأنه يتوقف على صحة هذا الجذر وقوته صحة التمدن البشري نفسه وقوته، ومن ثم نرى أول ما يهتم به الإسلام ويعتني به؛ من وسائل الاجتماع إنما هو أن يقيم مؤسسة البيت، ويقرها على أصح الأسس وأقومها"<sup>1</sup>، كل مجتمع تكون الأسرة فيه قوية متماسكة مجتمع قوي متماسك، وكل مجتمع تكون الأسرة فيه متفككة مجتمع منك متها لك.

### المصلب الأول: الزواج رحمة وبناء اجتماع

اعتبر القرآن الكريم الزواج آية من آيات الله؛ بما أودع فيه من حكم وأسرار، فقد ربطه بمقاصد نبيلة، وغايات حميدة، كالمودة والاستقرار النفسي، والرحمة بين الزوجين، والهدوء والتناسل، وبقاء النوع الإنساني، قال الله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ

<sup>1</sup> نظام الحياة في الإسلام، لأبي الأعلى المودودي (ت: 1399هـ)، ص: 45 — 46

لَا يَتَّيِّقُ لِقَوْمٍ يَتَّبِعُونَ<sup>1</sup>، وللفظ السكن وقع خاص، يوحي بما تفتقر إليه النفس؛ من طمأنينة واستقرار، إذ "لا زواج بغير مودة ورحمة، ولا حكمة للزواج إن لم يكن ملاذا يأوي إليه الزوجان معا إلى سكن، يلقيان عنده أعباء الصراع العنيف في الحياة الخارجية إلى حين، وخير الزواج ما استطاع أن يدبر للإنسان كهفا أمينا يؤوب إليه كلما أَلْجَأَتْهُ المَكاسِبُ والشواغل إلى ضلاله، وإنه ليعيش من الدنيا في جحيم موصول العذاب، إن لم يكن له فيها ذلك الكهف الأمين، وذلك الملجأ الحصين"<sup>2</sup>.

فالمجتمعات التي تنظر إلى الزواج على أنه حمل ثقيل، وأن اللذة الجنسية يمكن الحصول عليها بأي طريقة خارج نطاق الزواج مجتمع مضطرب، وأفراده في فطرتهم خلل واعوجاج، ولا يمكن أن يستقر نظام مجتمع وحياة أفراده إلا بالزواج، ولا يمكن أن ينظر إلى الإنسان مجرد مخلوق يتكاثر بالتناسل، شأنه شأن الحيوانات، ولكنه مخلوق كرمه الله، وخصه بالخلافة وعمارة الأرض.

فالزواج في منظور الإسلام صلة بين القلوب، وتراحم وتوadd، وزواج هذا حاله حري بأن يؤسس في الأسر أحضانا روحها الحب والمودة والرحمة، فالزواج شرع لمقاصد ينبغي أن يحققها، وذلك مثل "تهذيب النفس الإنسانية، واستزادة ثروتها من الرحم والرحمة، ومن العطف والمودة، ومن مساجلة الشعور بين الجنسين بما ركب فيهما من تنوع الإحساس وتنوع العاطفة، وتنوع القدرة على الحب والإيناس، ولهذا كان اجتياز الزوجات مقصورا على النساء اللئي يوجدن المودة عن طريق العشرة الزوجية دون غيرها، فلا زواج بين رجل وامرأة، تتصل المودة بينه وبينها من طريق

<sup>1</sup> سورة الروم، الآية: 20

<sup>2</sup> حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، للعقاد (ت: 1383هـ)، 135

القربة ومحارم الأسرة، وكل النساء المحرمات في الزواج من هذا القبيل، {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبنَاتُ الْأَخِ وَبنَاتُ الْأَخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمْ أَلْتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِّنَ الرِّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَّيَاتُكُمْ أَلْتِي فِي حُجُورِكُمْ مِّنْ نِّسَائِكُمْ أَلْتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلِيلُ آبَائِكُمُ الَّذِينَ مِّنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً} <sup>1</sup>، فالغرض من شمول هؤلاء النساء جميعاً بالتحريم ظاهر، وهو زيادة ثروة الإنسان من العطف والمودة، وتعويده أن ينظر إلى كثير من النساء نظرة مودة لا تشوبها شهوة جنسية، أو تعويده أن يعرف ألواناً من الشعور غير شعور الذكور والإناث في عالم الحيوان، وكل هؤلاء القربيات أو أشباه القربيات قد جعلت المودة بينهما وبين أقربائهن من الرجال ، فلا موجب لخلطها بالمودة التي تنشأ من العلاقة الجنسية، ولا لتعريضها للجهلاء الذي يعرض أحياناً بين الأزواج والزوجات <sup>2</sup>.

## المصلب الثاني: الزواج عهد وميثاق أم رغبة نفسية؟

فلأن الزواج يحظى بميزة رفيعة في بناء الأسرة، ثم في تشكيل البناء الاجتماعي، جاء القرآن الكريم معرباً عن هذه الصلة المتينة التي تربط بين الرجل والمرأة في مؤسسة الزواج، وأنها صلة عهد، ورابطة ميثاق غليظ، تأبى الفطرة السليمة نقضه، كيف لا يكون كذلك؟ وقد عبر القرآن الكريم عن هذا الترابط بالإفضاء فقال: {وَقَدْ أَفْضَى

<sup>1</sup> سورة النساء، الآية: 23

<sup>2</sup> الفلسفة القرآنية، للعقاد (ت: 1383هـ)، ص: 57

بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا<sup>1</sup>، وفي ذكر القرآن الكريم لفظ أفضى هكذا من غير التعرض لمتعلقه إشارة إلى قيمة هذا الميثاق.

فمهما كانت العلاقة بين شخصين فإنها لن تصل إلى درجة الإفضاء، فيندرج تحت الإفضاء كل ما يمكن أن يحصل بين الزوجين دون غيرهما؛ من كلمة حانية، وعتاب لطيف، ونظرة هادئة، وإطلاع كل منهما من الآخر على ما لا يمكن أن يطلع عليه غيرهما من أحد أقاربه، لذلك استحقت هذه العلاقة النقية الطاهرة بين الزوجين أن تسمى بالميثاق الغليظ في لغة القرآن الكريم، {وأخذن منكم ميثاقا غليظا}، وفي تفسير الكشاف: "والميثاق الغليظ: حق الصحبة والمضاجعة، كأنه قيل: وأخذ الله به منكم ميثاقا غليظا: أي بإفضاء بعضكم إلى بعض، ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه، فقد قالوا: صحبة عشرين يوما قرابة، فكيف بما يجري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج"<sup>2</sup>. هذا وإن صحبة الزواج صحبة غير مقيدة بزمان ولا مكان، فهي صحبة قامت على عهد الله وميثاقه على الدوام، قال الله تعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ<sup>3</sup>}، ولم يستعمل القرآن الكريم لفظ الميثاق إلا في مواضيع ذات الأهمية البالغة؛ كالتوحيد والعبادة، والأخذ بأحكام الله وشرائعه، كما استعملها في موضوع الزواج؛ مما يدل على سمو مكانة الزواج في الإسلام.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> سورة النساء، الآية: 21

<sup>2</sup> الكشاف، 492/1

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية: 82

<sup>4</sup> الإسلام عقيدة وشريعة، لمحمد شلتوت (ت: 1963م)، ص: 159



## المُصلب الثالث: المعاشرة الزوجية في القرآن العجيب

ما هو منهج القرآن الكريم في المعاشرة الزوجية؟ وما علاقة المعاشرة الزوجية بالتغيير في القرآن المجيد؟ وما حدود المعاشرة الزوجية في القرآن الكريم؟ تتميز حياة المسلم عن حياة غيره بمميزات كثيرة، نتيجة تقيده بالوحي واستهدائه بهدي القرآن الكريم، من ذلك أن حياته لا تنتهي بنهاية عمره في الدنيا، بل هو موقن بوجود حياة أخروية، هي غاية الحياة الدنيا، {وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}<sup>1</sup>، بمعنى أن الحياة عنده عبارة عن حياتين أو مرحلتين: مرحلة يؤدي فيها وظيفة العمل والاستخلاف في الأرض.

والمرحلة الثانية: مرحلة الحياة الأخروية، وهي مرحلة الخلود والحياة الأبدية، ويشكل الإيمان بهذه المرحلة مفترق الطرق بين الإيمان والكفر، قال الله تعالى: {ذَلِكَ أَلْكِتَبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ }<sup>2</sup>.

هذا وإن علاقة الرجل بزوجه ليست علاقة أيام أو أعوام، ولكنها علاقة خالدة، وصلة أبدية، تتواصل في الحياة الأخروية بشكل أجمل، وبجياة أفضل؛ إذ كل ما يلحق الزوجة في الدنيا ويعرض لها؛ من حيض ونفاس مبرأة منه في الحياة الأخروية، حياة الآخرة حياة خالية من الضغائن والأحقاد والمكدرات، {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ }<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> سورة العنكبوت، الآية: 64

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية: 1 — 2

<sup>3</sup> سورة الأعراف، الآية: 24، وسورة الحجر، الآية: 47

فمن المعاشرة الزوجية الحسنة في الدنيا يقول الله تعالى: {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا} <sup>1</sup>، فأقام القرآن الكريم العلاقة الزوجية والمعاشرة بين الزوجين على أساس الوضوح، صيانة لصرح الأسرة من أي تصدع، وسدا لكل ثغرة يمكن أن ينفذ منها ما من شأنه أن يهدد هذا البناء.

فلأهمية هذا الكيان (الأسرة) ولأن الأسرة أساس البناء الاجتماعي أسهب القرآن الكريم في موضوعها، فعمل على غرس الشعور بما ينبغي أن يكون للزوجة لدى زوجها من منزلة ومكانة، فهي قطعة منه وجزء لا ينفصل عن كيانه.

هكذا يربط القرآن الكريم بين الذكر والأنثى في إطار مؤسسة الزواج برابط التلاقي والتجاذب: تجاذب الفرع إلى أصله، وتجاذب الأصل إلى فرعه في حنين وشوق، وقد أعرب البيان القرآني عن هذا المعنى في مطلع سورة النساء، وذلك قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} <sup>2</sup>.

ثم تأتي الحياة الأخروية ممتدة لتحيط بالأسرة؛ من آباء وأمهات، وأزواج وزوجات، وأبناء وبنات، {جَنَّتْ عَدُوٌّ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ -آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ

<sup>1</sup> سورة النساء، الآية: 19

<sup>2</sup> سورة النساء، الآية: 1

وَذُرِّيَّتِهِمْ<sup>1</sup>، فرحمة الله شاملة لأفراد الأسر المؤمنة جميعهم، يرفع المفرط المقصر إلى مرتبة المؤمن الكامل الإيمان، لما بينهما في الدنيا من أصل الإيمان، فيكرمهم الله بجمع شملهم في الآخرة تتيماً لفرحهم، {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَفْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِّنْ عَمَلِهِمْ مِّنْ شَيْءٍ<sup>2</sup>}، وفي تفسير القرطبي عن ابن عباس رضي الله عنهما: "إن كان الآباء أرفع درجة رفع الله الأبناء إلى الآباء، وإن كان الأبناء أرفع درجة رفع الله الآباء إلى الأبناء، فالآباء داخلون في اسم الذرية"<sup>3</sup>، وفي الحديث: عن ابن عباس رضي الله عنهما، "إذا دخل الرجل الجنة، سأل عن أبويه و زوجته وولده، فيقال: إنهم لم يبلغوا درجتك وعملك، فيقول: يا رب إني عملت لي ولهم، فيؤمر بإلحاقهم، وقرأ ابن عباس: {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ<sup>4</sup>}، وأي علاقة أوثق من علاقة يمتد خيطها وخيرها إلى الخلود في الحياة الأخروية؟ بعد أن كانت في الدنيا حياة علاقة مبنية على صفو الود وصدق الإيمان.

## المصلب الرابع: النشوز والصلاق وعلاقتهمما بالتغيير في القرآن الكريم

هل ضمن المنهج القرآني للأسرة السلامة من النشوز والتباغض والتنافر بين الزوجين تارة تارة؟ إن تعاقب الأيام وتحدد أحداثها لتؤدي إلى الملل والسأم وتنافر القلوب على ودها، فيرى الزوج المحسن لزوجته ما يسوؤه منها؛ من تنكر وجحود لما قدم من

<sup>1</sup> سورة الرعد، الآية: 25

<sup>2</sup> سورة الطور، الآية: 19

<sup>3</sup> تفسير القرطبي، 525/19

<sup>4</sup> المعجم الكبير، للطبراني (ت: 360هـ)، سعيد بن جبير عن ابن عباس، الحديث رقم: 12248. والمعجم الصغير، من اسمه عبد الله، الحديث رقم: 640

إحسان، فيتدخل القرآن الكريم محذرا الزوج من الانسياق وراء هذا النكران، داعيا إياه إلى عقد مقارنة وموازنة بين ذلك وبين ما تتحلى به من حميد الصفات وجميل الخصال، وأنه لا يمكن أن يكون في الإنسان محض شر، بل فيه خير وشر، قال الله تعالى: {بَلْ يَكُونُ لَكَ فِيهِ خَيْرٌ مِّمَّا تَكْرَهُ} <sup>1</sup>، وفي الحديث: "لا يفر كن مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها غيره" <sup>2</sup>.

ومن أعظم ما يحرك غضب الزوج أن يقابل بالإساءة ونكران المعروف، من قبل من يحسن إليها زمنا ليس باليسير، أو ترى الزوجة النكران ممن بذلت له نفسها، وسلمت له حياتها.

هنا تتعرض مؤسسة الزواج لعواصف الكراهة، وتدب عقارب الخلاف بين الدعامتين الرئيسيتين لمؤسسة الزواج: الزوجين، فمن واقعية منهج القرآن الكريم عدم إغفال هذا الذي سيحصل يوما ما رغم طول المودة وعمق المحبة، فتوجه إلى الخواطر السليمة المثيرة للزوجين بالمعالجة والإصلاح، عن طريق العفو والتسامح، وتذكير كل طرف بما لدى الطرف الآخر من سابق الخير ولاحقه، مما لا علم له به ساعة التباغض، {بَلْ يَكُونُ لَكَ فِيهِ خَيْرٌ مِّمَّا تَكْرَهُ} <sup>3</sup>، فبهذه النظرة الواسعة والشمولية ذات البعد الواقعي يرضى الطرفان، ويعودان إلى التساكن والتوادد، ويدفعان ما حل بساحتهما من أوهام وهواجس، قبل أن تتحول إلى براكين مدمرة، تنسف رحي الأسرة وتقوض بناءه من أصله، فقد وصف القرآن الكريم علاج ذلك ورسم

<sup>1</sup> سورة النساء، الآية: 19

<sup>2</sup> صحيح مسلم (ت: 261هـ)، باب الوصية بالنساء، الحديث رقم: 1469. والسنن الكبرى للبيهقي (ت: 458هـ)، باب حق المرأة على الرجل، الحديث رقم: 14727

<sup>3</sup> سورة النساء، الآية: 19

لمحاصرته خطة رشيدة، فسلك في المعالجة مسلك القضاء على أسباب ذلك وبواعثه، قال الله تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْبَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَلِيلٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ بَعْضُوهُنَّ وَأَهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنِ اطَّعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا ﴿٣٥﴾ وَإِنِ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّيهِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا} <sup>1</sup>.

هذا عن نشوز الزوجة، وقال في معرض معالجة نشوز الزوج: {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} <sup>2</sup>، صلاح الزوجة يحملها على طاعة زوجها وحفظ مغييه في نفسها وماله بدل العصيان والتمرد ونسيان سابق الفضل، كما أن الزوج مطالب عند نشوزها بتهدئة الوضع، والتريث في أخذ القرارات، ينصح ويذكر، ويبين عواقب النشوز المستمر على كل أفراد مؤسسة الأسرة، فإن لم تجد النصيحة فاهجر في المضاجع، فاهجر تأديب نفسي في الصميم، وليس عقوبة جسدية، فغالبا ما يكون التأديب بالهجر نافعا؛ لأنه يجعل الناشز يتراجع عن غيه، ويقذفه في المزية التي يعتبرها موطن قوته ومناط وجوده.

<sup>1</sup> سورة النساء، الآية: 34 — 35

<sup>2</sup> سورة النساء، الآية: 127

فالمرأة تدرك أنها ضعيفة البنية بالمقارنة مع الرجل، لكنها أوتيت قوة معنوية، فهي الفاتنة له، القادرة على استمالاته، الذاهبة بعقله على يقظته وحزمه، وفي الحديث: "... ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن ..."<sup>1</sup>.

ف"أبلغ العقوبات هي العقوبة التي تمس الإنسان في غروره، وتشككه في صميم كيانه، في المزية التي يعتز بها، ويحسبها مناط وجوده وتكوينه، والمرأة تعلم أنها ضعيفة إلى جانب الرجل، ولكنها لا تأسى لذلك ما علمت أنها فاتنة له، وأنها غالبية بفتنتها، وقادرة على تعويض ضعفها بما تبعثه فيه من شوق إليها، ورغبة فيها"<sup>2</sup>.

فإذا لم يفلح في الموعظة ولا الهجر فضرِب غير مبرح، ولن يلجأ إليه خيار هذه الأمة، قال الله تعالى: {وَالَّتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا كَبِيرًا}<sup>3</sup>، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ولن يضرب خياركم"<sup>4</sup>، وقال صلى الله عليه وسلم: "يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد، فلعله يضاجعها من آخر يومه"<sup>5</sup>، هذا ما لم تتسع دائرة الخلاف، وما دامت النصيحة والهجر نافعين في تفادي انصرام حبل المودة، وانهدام بيت الزوجية لا قدر الله.

<sup>1</sup> صحيح البخاري (ت: 256هـ)، كتاب الصيام، باب ترك الحائض الصوم، جزء من الحديث رقم: 304

<sup>2</sup> الفلسفة القرآنية، للعقاد (ت: 1383هـ)، ص: 60 — 61

<sup>3</sup> سورة النساء، الآية: 34

<sup>4</sup> المستدرک، للحاكم (ت: 505هـ)، الحديث رقم: 2775. والسنن الكبرى للبيهقي (ت: 458هـ)، باب ما جاء في ضربها، الحديث رقم: 14776.

<sup>5</sup> صحيح البخاري (ت: 256هـ)، كتاب التفسير، باب لترکین طبقاً عن طبق، الحديث رقم: 4942

أما إذا اشتدت التزاعات، واتسعت رقعة الخلاف، وفشلت كل الوسائل، وجب على المجتمع أن يتدخل للإصلاح، قال تعالى: {فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّيهِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا} <sup>1</sup>، قال البيضاوي: "فابعثوا أيها الحكام متى اشتبه عليكم حالهما لتبيين الأمر أو إصلاح ذات البين رجلا وسطا يصلح للحكومة والإصلاح من أهله، وآخر من أهلها، فإن الأقارب أعرف بيوطن الأحوال، وأطلب للصلح" <sup>2</sup>، والصلح خير، لذلك ندب إليه القرآن الكريم بأساليب متنوعة، ووسائل مختلفة، ولأن النفس غالبا ما تأباه انتصارا للذات، وشحا بالتنازل عن جزء يسير من الحق، جاء قول الله تعالى: {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَصْلَحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِن تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} <sup>3</sup>.

وقد ذهب المالكية إلى أن القاضي إذا عرض عليه الأمر وعظ الزوج أولا، فإن لم يفد أمرها بهجره، فإن لم يفد ضربه، وقالوا في الزوج: إنه يسجن <sup>4</sup>.

ثم إن القرآن الكريم لم ير بدا من اللجوء إلى الطلاق، واعتباره علاجا ناجعا عند تعذر استمرار العلاقة الزوجية بينهما، بل قد يصير لازما وضروريا لرفع الضرر عنهما أو أحدهما رغم استئصال النفوس حتى للفظه ابتداء، وقد شرعت العدة بعده مباشرة

<sup>1</sup> سورة النساء، الآية: 35

<sup>2</sup> أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي (ت: 685)، 73/2

<sup>3</sup> سورة النساء، الآية: 127

<sup>4</sup> نظام الأسرة وحل مشكلاتها في ضوء الإسلام، للدكتور عبد الرحمان الصابوني، ص: 127، الهامش رقم: 2

يملك الزوج داخلها الحق في مراجعة مطلقة طلاقاً رجعيًا، دون الحاجة حتى إلى موافقة وليها، والعدة مدة زمنية كافية لمراجعة كل واحد من الزوجين نفسه.

أما الطلاق في الجاهلية، فإنه لم يكن مقيدا بعدد ولا غيره، فجاء القرآن الكريم فوضع له قيودا: عددا وزمنا ووصفا، فجعله طلقين متفرقتين، في طهر لم يمسه فيها، فإن تجاوزهما إلى الثالثة حرمت عليه حتى تنكح زوجا غيره، قال تعالى: {الطَّلَاقُ مَرَّتَيْنِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِخْسَاسٍ<sup>1</sup>، وقال سبحانه: {فَإِنْ طَلَّفَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ<sup>2</sup>، ولم يغيب القرآن الكريم بعد صدور الطلاق ما لعامل الزمان والمكان؛ من أثر إيجابي على مراجعة النفوس ومحاسبتها من الداخل، كما خول للمطلقة الحق أن تبقى في بيت الزوجية مدة عدتها، فألزم الزوج بتوفير السكن والنفقة، قال الله تعالى: {لَا تَذَرْنِي لَعَلَّ اللَّهُ يُخْدِثَ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا<sup>3</sup>.

فإذا انقضت العدة ولم يتراجع الزوجان أو المخطئ منهما دل ذلك على استحكام العداء، وأنه لا خير لهما في الاجتماع، وأن الإمساك مضرة واعتداء على حدود الله، قال تعالى: {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية: 227

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية: 228

<sup>3</sup> سورة الطلاق، الآية: 1



عَلَيْكُمْ مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ، وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ  
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ<sup>1</sup>، وحتى بعد تيقن الطرفين أن لا خير لهما ولا راحة في البقاء على  
الحياة الزوجية، واقتنعا معا بضرورة إيقافها فإنه يتعين بقاء المعروف والإحسان، وعلى  
الزوج دفع مؤخر الصداق والمتعة، قال تعالى: {وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمُسَاجِدِ فَذَرُوهُنَّ وَعَلَى  
الْمُفْتِرِ فَذَرُوهُنَّ مَتَّعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ<sup>2</sup>، كما يلزم الزوج وجوبا  
النفقة مدة حملها والأجر حال الرضاع، قال تعالى: {وَإِنْ كُنَّ هَامِلَاتٍ فَبِأَنفُسِهِنَّ  
عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ...<sup>3</sup>، وينبغي أن ينظر إلى الطلاق بالصفة التي أسس له  
بها القرآن الكريم على أنه حل ناجع، وعلاج لأمراض اجتماعية، وتغيير جذري لمشكلة  
طالما استنفد الوقت والجهد لمعالجتها، فتعين الطلاق صيانة لحق الفرد رجلا كان أو  
امراة، وقطعا لدابر الخصومات بين الزوجين.

---

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية: 229

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية: 234

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية: 234

## المبحث الثالث: القرآن الكريم والتغيير الاقتصادي

يعتبر الإنسان اجتماعياً بطبعه؛ إذ هكذا خلقه الله، ولأنه في حاجة إلى المأكل والمشرب والمسكن، وكلها أساسية في حياته، ولا حياة له بدونها، وهي التي تضطره إلى مد يد التعارف والتعامل مع بني جنسه، ولأن من طبيعة الإنسان الرغبة في الاستزادة من المال وكسبه، بل وحبّه، {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا} <sup>1</sup>، وغالباً ما يحمل حب المال والازدياد في جمعه على التنافس والتسابق، وربما وصل الأمر إلى الدهاء والمكر، وكلها دواعي وأسباب وبواعث على النزاع والخصومات والفرقة والتدابير، وذلك يقتضي بإلحاح أن يوجد عاصم يؤمن الضعيف من بطش القوي، ويصون العاجز الكل من جبروت أصحاب الدهاء، ولا عاصم إلا القرآن الكريم، وهو الكفيل بتغيير أحوال النفوس، وترويضها على الخير والقيم النبيلة، وهو الذي تناول بموضوعية وواقعية علاقة الدين بالمال والاقتصاد، فلولا تعاليم هذا الكتاب لعاش الناس على قانون الحيوانات، ولا مقارنة هنا بين منهج القرآن الكريم وبين ما وصلت إليه النظم البشرية من قوانين في الباب، استطاعوا في غالب الأحيان أن يكون حال أصحابها أحسن بكثير من حال المسلمين (أهل القرآن)، وذلك أن القرآن يربي أصحابه على أن يكون لديهم وازع داخلي، يأمر صاحبه وينهاه، فمن الخطأ محاسبة القرآن على أخطاء المسلمين وحامله، فالقرآن ليس هو فعل حامله، كما أن الدين ليس هو التدين.

<sup>1</sup> سورة الفجر، الآية: 22

## المصلب الأور: مكانة المال في القرآن الكريم

لا أحد يخالف في كون المال زينة الحياة الدنيا وجهالها، ولنا أن نتساءل: لماذا قدم المال على الولد؟ مع أن من عادة الإنسان أنه في غاية الاستعداد أن يضحي بالمال من أجل ولده، ولا يضحي بابه أبداً من أجل المال، قال الله تعالى: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}<sup>1</sup>، وفي إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، لأبي السعود: "وتقديم المال على البنين مع كونهم أعز منه كما في قوله تعالى: {أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا}<sup>2</sup>، وقوله تعالى: {وَأَمْدَدْنَكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ}<sup>3</sup> وغير ذلك من الآيات الكريمة، لعراقته فيما نيط به من الزينة والإمداد، ... ولأن الحاجة إليه أمس من الحاجة إليهم، ولأنه أقدم منهم في الوجود، ولأنه زينة بدوهم من غير عكس، فإن من له بنين بلا مال فهو في ضيق حال ونكال"<sup>4</sup>.

ولذا اعتبر القرآن الكريم المال فتنة لا ينجو منها إلا من عصمه الله، قال الله تعالى: {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ}<sup>5</sup>، كما نادى الله تعالى المؤمنين بقوله: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَدُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ}<sup>6</sup>، وهل فتن

<sup>1</sup> سورة الكهف، الآية: 45

<sup>2</sup> سورة الكهف، الآية: 34

<sup>3</sup> سورة الإسراء، الآية: 6

<sup>4</sup> تفسير أبي السعود (ت: 982هـ)، 225/5

<sup>5</sup> سورة الأنفال، الآية: 28

<sup>6</sup> سورة المنافقون، الآية: 9

قارون إلا بماله؟ حتى قال مستكبرا متعظما، — كما يحكي القرآن — : {إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي} <sup>1</sup>، وهل أغوى المترفين وأغراهم حتى اعتدوا على حقوق غيرهم إلا المال؟ حتى استحقوا الهلاك والعذاب، فلهذه المكانة للأموال، ولهذا الدور الذي كان للمال — ولا يزال — في حياة الناس قرر القرآن الكريم كون المال ملكا لله حقا، وأن الإنسان إنما هو مستخلف فيه، وهذا من شأنه أن يكبح النفس على الجموح، وأن يلزمها الصواب فيما يقدم عليه المسلم من المعاملات المالية، قال الله تعالى: {ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْقِبُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ بِالَّذِينَ ءَامِنُوا مِنْكُمْ وَأَنْقِبُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ} <sup>2</sup>، والقرآن الكريم إذ يقرر الملكية الحقيقية لله في الأشياء، ويقضي بنسبية ملكية الفرد لها، لم يحكم بذلك تشبيطا للهمم، ولا قمعا لدواعي الفطرة ورغبتها في الامتلاك، ولكن لحماية المال من تلاعب المتلاعبين، ومن حيل المتحايلين، فاعتقاد ملكية المال الحقيقية لله تجعل المؤمن لا يتصرف في المال إلا وفق أوامر الشرع، حتى في غياب من يراقبه، وعن الفلسفة القرآنية في تنظيم المعاملات المالية نشأ قول الفقهاء: بكون الملكية لا تثبت إلا بإثبات الشارع وتقريره، وأن الحق ليس ناشئا عن طبائع الأشياء، ولكنه ناشئ عن إذن الشارع، وجعله السبب منتجا لمسببه شرعا <sup>3</sup>، بهذا يكون القرآن الكريم يدفع المجتمعات إلى الإنتاج والسعي مع مراعاة ما ليس لها فيه حق، فربط الحياة بالعمل، وعلق الاستخلاف بشرط البذل والتضحية.

<sup>1</sup> سورة القصص، الآية: 78

<sup>2</sup> سورة الحديد، الآية: 7

<sup>3</sup> ينظر الفكر الإسلامي والتطور، لفتحي عثمان، ص: 128 وما بعدها

ولعل من مقاصد مزج القرآن بين الأمر بذكر الله والصلاة والعمل الديني؛ من السعي في التجارة وتنمية المال أن تتحقق تلك الازدواجية التي تبنى عليها المجتمعات: الازدواجية بين العمل والسعي، واستحضار أوامر الله ونواهيه فيما يقدم عليه من المعاملات المالية، قال الله تعالى: {قَامُشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ} <sup>1</sup>، فأمر في البداية بالمشي طلباً للرزق، وختم بقوله: {وَالِيهِ النُّشُورُ} تخويفاً وتحذيراً من الاعتداء على حق الغير وأخذه، وقال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} <sup>2</sup>.

هكذا وضع القرآن الكريم منهجاً محكماً للمعاملات المالية، منهجاً يهدف إلى عمارة الأرض بالعمل والكسب، مع مراعاة حق الله وحق النفس وحق الآخرين، فلا يمد يده إلى ما ليس له حرصاً على مصلحته الشخصية، "فليس كل ما تفرضه المصلحة الشخصية فهو جائز، وكل ما يؤدي إلى خسارة شخصية فهو محرم غير مستساغ، بل الهدف الذي رسمه الإسلام للإنسان في حياته هو الرضا الإلهي. والمقياس الخلقي الذي توزن به جميع الأعمال، إنما هو مقدار ما يحصل بها من هذا الهدف المقدس، والإنسان المستقيم هو الإنسان الذي يحقق هذا الهدف، والشخصية الإسلامية الكاملة هي الشخصية التي صارت في شتى أشواطها على هذا الهدف، وضوء هذا المقياس، وضمن

<sup>1</sup> سورة الملك، الآية: 16

<sup>2</sup> سورة الجمعة، الآية: 9

إطاره العام<sup>1</sup> فرغم كون المال وسيلة للسعادة، فإنه لا ينبغي أن تضيع القيم من أجله، ولا أن يتخلى عن المبادئ لتحصيله.

## المصلب الثاني: الاقتصاد في القرآن الكريم

منهج القرآن الكريم منهج شامل يحيط بالحياة العامة عقيدة وعبادة ومعاملات وسلوكا، بيد أن المعاملات المالية هي المعيار الرئيس الذي يبدي قوة العقيدة، ويبين مدى قوة انبثاق الخلق والعبادة من سلامة الاعتقاد.

والصلة بين الدين والاقتصاد قديمة قدم الدين السماوي في الإنسان، فهذا نبي الله شعيب عليه السلام ينكر عليه قومه أن يكون للدين دخل في تنظيم المعاملات المالية، لأنهم زعموا أن لا صلة بين الدين والدنيا، وأن لهم أن ينظموا أمور دنياهم بالطريقة التي يرونها، وأن الدين تتحدد صلاحيته في الجانب الروحي بين الله والعباد، قال الله تعالى: {قَالُوا يَشْعَبُ أَصْلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ} <sup>2</sup>، فأجابهم — عليه السلام — على زعمهم بقوله — كما يحكي القرآن — : {قَالَ يَلْفُومٌ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقْنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ لَكُمْ إِلَى مَا أَنهِيكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَلَقْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ وَيَلْفُومٌ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَفَافِي أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ فَوْمَ نُوحٍ أَوْ فَوْمَ هُودٍ أَوْ فَوْمَ صَالِحٍ وَمَا فَوْمٌ لُّوطٍ مِّنْكُمْ بِبَعِيدٍ ﴿٨٩﴾

<sup>1</sup> المدرسة الإسلامية، محمد باقر الصدر (ت: 1980م)، ص: 88 — 89

<sup>2</sup> سورة هود، الآية: 87.

وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ<sup>1</sup>، لكنهم كذبوا وعاندوا وعثوا في الأرض فسادا، فعرضوا أنفسهم لعقاب الله تعالى، وقد أوجز لنا القرآن الكريم في سورة العنكبوت ما حل بهم من الهلاك والنكال فقال تعالى: {وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا بَقَالَ يَفْقُومَ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٦٨﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثِيمِينَ<sup>2</sup>، وقصة شعيب عليه السلام مع قومه تناولها القرآن الكريم في أكثر من موضع، وهي مثال حي للصلة بين الدين والمعاملات المالية، فالمنهج القرآني "يضمن وضع الملكية الفردية في تصميم اجتماعي خال من تلك التناقضات المزعومة"<sup>3</sup>.

ومن مظاهر عناية القرآن الكريم بالاقتصاد والمعاملات المالية ذكر العدالة في المعاملات ضمن وصايا ذات أهمية بالغة، من ذلك قول الله تعالى: {وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزَنُوتُمْ بِالْفُسْطَاسِ أَلَمْ تَسْتَفِيمَ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا<sup>4</sup>، كما توعده سبحانه من ساءت معاملتهم المالية، مثل المطففين في الكيل والميزان، فقال تعالى: {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ إِذَا بَاكَتُلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٧٠﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٧١﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٧٢﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٧٣﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ<sup>5</sup>، فهذا وعيد في غاية الشدة لمن نقص ذرات من كيل أو

<sup>1</sup> سورة هود، الآية: 88 — 90.

<sup>2</sup> سورة العنكبوت، الآية: 36 — 37.

<sup>3</sup> اجتماعنا: دروس من فكر السيد محمد باقر الصدر (ت: 1980م، ص: 44).

<sup>4</sup> سورة الإسراء، الآية: 35.

<sup>5</sup> سورة المطففين، الآية: 1 — 6.

وزن، فإن الوعيد أشمل وأعم لكل المخالفات: صغيرها وكبيرها التي يمكن أن تقع في المعاملات المالية، ولأن الانتقاص من الكيل أو الوزن يجسد مرضاً نفسياً لدى صاحبه، فهو في حاجة إلى العلاج منه، فإن من تجرأ على صغار الأمور تجرأ على كبرياتها، هكذا أنشأ القرآن الكريم للمؤمنين طريقاً واضحاً في كل شيء، ومنها المعاملات المالية، بهذا صنع القرآن الكريم مجتمعاً لا كالمجتمعات، مجتمعاً مطهراً من مفاصد الطغيان المادي، ومن عادات الجاهلية، ذلك المنهج السماوي المعصوم.

شأن القرآن في هذا شأن الكتب السماوية السابقة، فهذا موسى عليه السلام لم تكن رسالته إلى بني إسرائيل رسالة عقيدة فحسب، ولم تكن العقيدة لتقوم لكل الأنبياء في أممهم بعيداً عن إصلاح الحياة الاجتماعية؛ بما فيها المعاملات المالية، فقد كان موسى عليه السلام "يقود شعباً بغير دولة إلى أرض يقيمون فيها حكماً غير الحكم الذي خضعوا له في موطنهم الذي تركوه من أرض الدولة المصرية، فلم تكن رسالته رسالة عقيدة وحسب، ولم يكن قيام العقيدة ميسوراً بغير قيام القانون.

وجاء السيد المسيح مؤيداً لشرائع العهد القديم، ولم يجرى مبطلاً لها أو معطلاً لأحكامها، جاء متمماً للناموس ولم يجرى هادماً للناموس"<sup>1</sup>، قال الله تعالى: {وَلْيَحْكُمْ أَهْلَ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَّمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}<sup>2</sup>، هكذا لم يدع القرآن الكريم أمر المعاملات المالية لاجتهادات الناس، بل تولى إيضاح ذلك، فبينه وأرسى قواعده، وأقامه على أسس متينة.

<sup>1</sup> حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، للعقاد (ت: 1383هـ)، ص: 87 — 88 بتصرف

<sup>2</sup> سورة المائدة، 49



### المُصلَب الثالث: كسب المال وتنميته في القرآن العبيد

دعا القرآن الكريم إلى الكسب والتنمية، وحذر من الكسل والخمول، ولم يدع باباً من أبواب الكسب الحلال إلا فتحه أمام المكلفين؛ من صناعة وتجارة وإجارة وغيرها، وضمن بين ثنايا قصص الأنبياء نماذج من تجارب الأنبياء والرسل في مجال كسب المال وتنميته، فقال عن داود وسليمان عليهما السلام: {وَلَفَدَّا - أَتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا بَقْضًا يَجِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ ۖ أَلِإِغْمَلُ سَبْعَتِ وَفَدَّرَ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝} وَلِسَلِّمَسَ الرِّيحَ غَدُوَّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْفِطْرِ وَمِنَ الْجَبِّ مَنْ يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ۝} يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجَبَابٍ كَالْجَوَابِ وَفُدُّوا رَأْسَهُ إِغْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ<sup>1</sup>.

هكذا عرفت الحضارة والعمران في عهد سليمان عليه السلام مكانة لم تبلغها بعد حضارات اليوم على تطورها وتقدم العلم والوسائل، فقد انبهرت بلقيس ملكة سبأ بما شاهدت من رقي الصناعة وفن العمران والبناء حتى ظنت الصرح الزجاجي لجة ماء، قال الله تعالى: {فِيَلْ لَهَا أَذْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّنْ فَوَارِيرَ ۝} قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ

<sup>1</sup> سورة سبأ، الآية: 10 — 13

مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ<sup>1</sup>، كما حدثنا القرآن عن موضوع كسب المال وتنميته، جامعا بين الحديث عن بعثة الرسل بالكتب إلى أقوامهم، وإنزال الحديد مع ما فيه من بأس ومنافع، وفي ذلك إشارة إلى ضرورة أخذ المسلمين بأسباب القوة المادية التي تحمى بها الحقوق من اعتداء المعتدين، فقال سبحانه: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ<sup>2</sup>، ولا يخفى ما في التعبير ب {أنزلنا} في الكتاب والحديد والميزان من الترابط والصلة بين الحق والقوة، وما ينبغي لأهل الحق، من طرق أبواب التقدم والعلم وكسب المال وتنميته بشتى الطرق واختلاف الوسائل المشروعة.

والتجارة أبرز أبواب كسب المال التي أرشد إليها القرآن الكريم، وندب إلى مزاولتها في البر والبحر، وسخر للبشرية البحار والأنهار والفلك وغيرها لتحقيق عمارة الأرض والاستخلاف فيها، قال الله تعالى: {وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ<sup>3</sup>، وحتى يستفاد مما سخره الله للبشرية؛ من بحار وأنهار وغيرها من خيرات الأرض، لا بد من معرفة أسرار البحار والتدرب على ركوبها، والتمرن على قطع الأنهار، والتمرس على التعامل مع تضاريس الصحاري وطبيعتها، فهذه قريش أقامت اقتصادها على التجارة، وبنّت عليها حياتها، فعرض القرآن الكريم ذلك في معرض الامتنان عليها بذلك حيث طالبها بالشكر على ذلك، قال الله تعالى:

<sup>1</sup> سورة النمل، الآية: 45 — 46

<sup>2</sup> سورة الحديد، الآية: 24

<sup>3</sup> سورة إبراهيم، الآية: 34

{لَا يَلْفُ فُرَيْشٌ ۝١ اِيْلَمِيْهِمْ رِحْلَةَ اَلْشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوْا رَبَّ هٰذَا الْبَيْتِ ۝٣ اَلَّذِيْۤ اَطْعَمَهُمْ مِّنْ جُوْعٍ ۝٤ وَّءَامَنَهُمْ مِّنْ خَوْفٍ ۝٥} <sup>1</sup>، وقال تعالى: {فَلْيَنْظُرِ الْاِنْسَانُ اِلَى طَعَامِهٖ ۝٢٤ اِنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَفَفْنَا الْاَرْضَ شَفًّا ۝٢٦ فَاَنْبَتْنَا فِيْهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَزَيْتُوْنًَا وَنَخْلًا ۝٢٩ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ۝٣٠ وَبِكِهٖۤنَۃً وَّآبًا ۝٣١ مَّتَّعًا لَّكُمْ وَلَآ نَعْمِيْكُمْ} <sup>2</sup>، أصناف الخير المبتوثة في الكون في أرض الله وسمائه، وبره وبحره، يعرضها القرآن الكريم، والتي يحتاج الإنسان إن أراد الاستفادة منها ومن خيراتها إلى إدراك كل مجال وما يتعلق به، ومعرفة كل تخصص وضبط جزئياته، وفي ذلك كله دعوة إلى كسب المال بالعلم والعمل والإنتاج، وهذا لا يعني أن القرآن مرجع ومصدر لعلم التجارة أو الزراعة أو الصناعة أو غيرها من التخصصات، بل هو كتاب هداية، لكنه في الوقت نفسه يلفت الأنظار إلى مظاهر آياته الكونية وسننه فيها، التي لا تحابي أحدا من الخلق كيفما كانت ديانتهم وانتماءاتهم، وأن أي أمة عملت بمقتضاها ووفقها بلغت منها من القوة المادية والعلمية في دنيا الناس، ولو كانت من أشد الأمم كفرا بالله وباليوم الآخر، وأن أي أمة خالفت هذه السنن تخلفت وراء الركب ولو كانت من أعبد أهل الأرض، كل ذلك ليقوم الإيمان لدى المؤمنين على أساس من الاقتناع العقلي المؤيد بالوحي، الذي لا يزيغ ولا يضل، وليتبين للكافر أنه الحق.

<sup>1</sup> سورة قريش، الآيات: 1 — 5

<sup>2</sup> سورة عبس، الآيات: 24 — 32

فإذا كان العقل وحده لا يكفي في عملية الوصول إلى الحقيقة الإيمانية، فإن التحاكم إلى الوحي لا يعني تعطيل العقل وإهماله، بل إن عملية الاستخلاف في الأرض الهادفة إلى استغلال خيرات الكون، لا تتم إلا بتوظيف العقل البشري المنتج للعلوم الدنيوية، التي هي سر القوة الوجودية فوق البسيطة.

فعباد الله الصالحون الذين وعدهم الله أن يرثوا الأرض بالاستخلاف فيها، لا يتحقق لهم ذلك حتى تتحقق فيهم صفة الصلاح هذه، ولا تتحقق فيهم صفة الصلاح فقط بكثرة العبادة، وإنما تتحقق فيهم بأمرين اثنين:

أحدهما: عبادة الله والاستقامة على أمره. الثاني: العمل على تحقيق القوة المادية، قال الله تعالى: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ} <sup>(١٤)</sup> إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِقَوْمٍ عَالِمِينَ <sup>١</sup>، بذلك تكون الأموال متاحة بين يدي الإنسان على اختلاف طرق اكتسابها وسبل تنميتها، لكن إن حاد عن المنهاج القرآني ضل الطريق، فقد يكسب المال ويبدو له في ظاهره أن ماله في النمو، لكن سرعان ما يمحق ويبور، فالمنهج القرآني — على حد تعبير محمد باقر الصدر <sup>٢</sup> — : "يأخذ بيد الإنسان إلى المشاركة في إقامة المجتمع السعيد، والمحافظة على قضايا العدالة فيه ... لأن ذلك يدخل في حساب ربحه الشخصي، مادام كل عمل ونشاط في هذا الميدان يعوض عنه بأعظم العوض وأجله ... ويوسع من ميدان الإنسان، ويفرض عليه

<sup>١</sup> سورة الأنبياء، الآية: ١٠٤ — ١٠٥.

<sup>٢</sup> محمد باقر الصدر: من كبار علماء الشيعة الإمامية، له مؤلفات عديدة، منها: (أ) اقتصادنا، (ب) فلسفتنا، (ج) اجتماعنا، (د) الإسلام يقود الحياة، (هـ) التفسير الموضوعي، وغيرها، كان هو وشقيقته أم الهدى يمثلان المقاومة الشيعية ضد حكومة البعث في العراق، فكان ذلك سببا مباشرا في إعدامهما من قبل السلطات العراقية آنذاك: (١٤٠٠هـ/١٩٨٣م)، تراجع ترجمته مفصلة في: "تكلمة معجم المؤلفين" لمحمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف (ت: ١٤١٥هـ).

نظرة أعمق إلى مصالحه ومنافعه، ويجعل من الخسارة العاجلة ربحا حقيقيا في هذه النظرة العميقة، ومن الأرباح العاجلة خسارة حقيقية في نهاية المطاف<sup>1</sup>. فالمعاملات المالية الراجحة عاجلا وآجلا، الموعود أصحابها بالربح والبركات، هي المعاملات المبنية على الطرق المشروعة الضامنة لتحقيق العدالة الاجتماعية للجميع، مع السلامة من الإجحاف والضرر.

## المصلب الرابع: من معيقات التنمية: - الغش - الرشوة - الربا

حرم الإسلام الغش وتوعد صاحبه أشد الوعيد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من غش فليس مني"<sup>2</sup>، قال محمود شلتوت: "إن من غش في رطل من الرطب أو من اللحم، أو غش في متر من القماش، عن طريق تقديم الخبيث باسم الطيب، والردىء باسم الجيد، أو عن طريق انتقاص الكيل أو الميزان، لا بد أن يكون نزاعا في نفسه إلى إنقاص الحقوق أيا كانت، وكيفما كانت، وإن انتقاص الحقوق أساس كبير لزعزعة الثقة في المجتمع، وسبيل إلى قطع الصلات، وإثارة الأحقاد والبغضاء بين الناس، ولذلك ينتشر الفساد في الأرض وتضيع المصالح"<sup>3</sup>، كما نهى القرآن عن اكتساب المال وتنميطه عن طريق الرشوة، واعتبرها أكلا للمال بالباطل، واستغلالا لحاجات الناس، إضافة إلى إعطاء الحق لمن لا يستحقه، قال تعالى: {وَلَا تَاْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ

<sup>1</sup> اجتماعنا: دروس من فكر السيد محمد باقر الصدر (ت: 1980م)، ص: 39 — 40 بتصرف.

<sup>2</sup> صحيح مسلم (ت: 261هـ)، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: من غشنا فليس منا، الحديث رقم: 102، وعند الترمذي (ت: 279هـ)، بلفظ: "من غش فليس منا" باب ما جاء في كراهية الغش في البيوع، الحديث رقم: 1315، وعند ابن ماجه (ت: 273هـ) بلفظ: "من غشنا فليس منا"، باب النهي عن الغش، الحديث رقم: 2225، غير أن الرواية المثبتة في صلب البحث أشمل

وأنسب لعموم تحريم الغش، حتى لا يظن ظان جواز التعامل بالغش مع غير المسلمين

<sup>3</sup> الإسلام عقيدة وشرعية، لمحمود شلتوت (ت: 1963م)، ص: 268

بِالْبَطْلِ وَتَذَلُّوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا قَرِيبًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ<sup>1</sup>، وقال أبو زهرة: "ما وجدت في المجتمع إلا أفسدت موازينه، فإذا فسدت الموازين اضطرب أمره"<sup>2</sup>، كما حرم الإسلام التعامل بالربا، وهو من الطرق التي يفيض بها المال دون تقديم أي جهد مقابله، وفيه استغلال حاجة المحتاج بأبشع الطرق، لذا شن عليه القرآن الكريم حربا عشواء، ولم يترك ثغرة يمكن أن يتسلل منها إلا غلقها في وجهه.

وقد أفاض الباحثون في موضوعه بما لا يدع مجالا للاستزادة فيه، فلأن التعامل السائد دوليا في مجال الاقتصاد العالمي قائم على المعاملات الربوية، وكان للأمم التي لا تدين بالدين الخاتم بعض العذر في بناء حياتها وإقامة اقتصادها على الربا، فإن الأمة التي يراد منها رفع لواء الإسلام ما لها من عذر.

وقد حرم الله الربا في كل الشرائع، فلم يقره كتاب سماوي، ولا شريعة منزلة، وأجمعت الكنائس على حرمة، غير أن ممثلي الكنيسة وحاملي لوائها لفساد طويتهم، واستغلالهم الدين وجعله وسيلة للتخلف، وإرهاب رواد الكنيسة واستغلال أموالهم، اتخذوا الدين وسيلة لجمع المال، وهدفا وحيدا دون الاكتراث مما جمع منه؛ أمن حلال أم حرام؟

فلما استيقظت أوروبا وانتبهت إلى ضلال الكنيسة فرفضت الدين وكل ما يتصل به جملة، وفصلت الدين عن الحياة الاجتماعية، وخططت للحياة منهجا يلائمها فيما تزعم، فنتج عن إبعاد الدين عن الحياة انحراف خطير جر ذيله على كل مناحي الحياة،

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية: 187

<sup>2</sup> تنظيم الإسلام للمجتمع، محمد أبو زهرة (ت: 1394هـ)، ص: 16

ومنها المعاملات المالية، فانتشر فيهم التعامل بالربا، وفرض أصحابه سلطتهم على العالم بأسره، فجرف هذا التيار المسلمين حتى سقطت البلدان الإسلامية في براثن الاستعمار، ولم تتخلص منه إلا بشق الأنفس، فاستقلت بعد أن أهلك جسمها ثقل الاستعمار، فكان الالتحاق بركب التطور العلمي بالنسبة إليها أقرب إلى المستحيل منه إلى الممكن، ومع ذلك فإن الأمة الإسلامية إن تمسكت بتراتها الذي خرج من رحم الوحي، فإنها بذلك تستطيع أن تقوم لها قائمة، وأن تصير في مقدمة الركب الذي في حاجة — رغم تطوره العلمي — إلى توجيهات القرآن الكريم، لتنقذه من ترديه في الهوة السحيقة، وتسلك به طريق الحضارة بمفهومها الصحيح.

أما المسلمون فلا عذر لهم البتة في انسياقهم وراء غيرهم؛ فإن كتابهم شدد في النهي عن الربا والتعامل به، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ} <sup>(٢٧٧)</sup> فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ} <sup>١</sup>، أمر ونهي ووعيد وتهديد، وفي آل عمران: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَاْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً} <sup>٢</sup>، قوله تعالى: {أضعافا مضاعفة} بيان لبشاعة صنيعهم، لا أن قليل الربا حلال، بل كثيرا ما يضع القرآن الكريم الربا في مقدمة المحرمات؛ لما فيه من امتصاص دماء المضطرين، وجشع وقسوة قلوب المتعاملين به، فليعلم الناس أفرادا ومجتمعات أن

<sup>١</sup> سورة البقرة، الآية: ٢٧٧ — ٢٧٨

<sup>٢</sup> سورة آل عمران، الآية: ١٣٠

التعامل بالربا نذير خطر، لأن مصيره المحق، فالمال إنما هو آلية للتيسير، وليس أداة للتعسير واستغلال الحاجات.

## المصلب الخامس: التجارة والتغيير الاقتصادي في القرآن البعيد

أولى القرآن الكريم المعاملات التجارية عناية خاصة، وبين مدى قوة العلاقة بين عقيدة المسلم وبين المعاملات المالية، وذلك لأن الإسلام دين عمارة واستخلاف في الأرض، يوجه ويرشد إلى الإصلاح في الأرض وإعمارها واستغلال خيراتها وتنميتها، وما الحياة إلا معاملة بين أفراد بني الإنسان، فالإنسان لا يستغني عن غيره بنفسه، فهو بطبعه محتاج إلى من حوله، ومضطر إلى التعامل معهم، وإلا بقي وحيدا وعاش منعزلا عن أفراد جنسه، وهو أمر متعذر، ومناقض للفطرة وطبيعة البشر، فمن ذا الذي يستغني عن معاملة غيره؟ وهل الحياة إلا أخذ و عطاء؟

فالتجارة معاملة تمثل عصب الحياة المادية، لذلك أطرها القرآن الكريم بجملة من القواعد والأسس؛ إذ تكاد الأسس التي تقوم عليها التجارة أن تكون هي نفسها التي تقوم عليها الحياة الاجتماعية كلها، من أمانة ووفاء وصدق وحفظ للعهود، وأداء للحقوق وغيرها، وهذه الأسس التي عليها مدار المعاملات المالية عموما، ومدار التجارة خصوصا، لم يدعها القرآن الكريم جافة، بل عالجها روحيا وأديبا، وبين مدى توافق انشغال الإنسان بالمال وتنميته، مع ما خلق من أجله؛ من تحقيق العبادة لله ما لم يطغ جانب عن آخر، قال الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ آذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا أَسْمُهُ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ



﴿لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ﴾ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَّشَاءُ بِغَيْرِ

حِسَابٍ<sup>1</sup>، فأول ما ينبغي للمسلم في تجارته صدق النية بيعا وشراء، وقضاء واقتضاء، ثم يكون أبعد الناس عن مزالق الهلاك، فلا يخون غيره، ولا يغش ولا يكذب، ففي الصحيح: "أن رجلا أقام سلعة وهو في السوق، فحلف بالله: لقد أعطي بها ما لم يعط، ليوقع بها رجلا من المسلمين، فترلت: {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا فَلِيلًا أَوْ لَيَالٍ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ أَلْفِئِمَةٍ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}<sup>2</sup>،"<sup>3</sup>

وقال محمد الغزالي: "إن الجفاف طبيعة القانون، وشؤون التشريع تكاد تكون شيئا مقابلا لشؤون الروح وأعمال القلوب وحركات العواطف، لكنك إذا تتبعته أسلوب الإسلام في علاجه لما يدور بين الناس من معاملات، وجدته يرقى بها، وينفث فيها من طبيعة السماوية، فإذا هي تستحيل من نصوص صلبة خشنة إلى وصايا أدنى ما تكون إلى شرائع الأخلاق ومناهج الأدب"<sup>4</sup>.

فصدق النية في المعاملات التجارية هي التي تحمل صاحبها على بيان ما قد يكون في سلعته من عيب تعبدا لله بذلك، والتماسا للبركة في ماله، وتأمينا له من الهلاك والدمار، فعن حكيم بن حزام رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة

<sup>1</sup> سورة النور، الآية: 36—37

<sup>2</sup> سورة آل عمران، الآية: 76

<sup>3</sup> صحيح البخاري (ت: 256هـ)، كتاب البيوع، باب ما يكره من الخلف في البيع، الحديث رقم: 2088

<sup>4</sup> هذا ديننا، للشيخ محمد الغزالي (ت: 1416هـ)، ص: 228

بيعهما"<sup>1</sup>، فلا يجمل بالمسلم أن يأخذ حق غيره، أو أن يتحين الفرص للفتك به، للحصول على كسب غير شريف، والقرآن الكريم إذ يحرم كل هذا إنما يهدف إلى إقامة مجتمع متماسك البنيان، فلا فساد ولا كذب، ولا خيانة ولا غش، بل دعوة إلى السماح في المعاملات التجارية، فهي بمثابة وقاية من التزاعات، ودفع للخصومات.

فالارتباط بين العقيدة الإيمانية والمعاملات المالية هو منهج القرآن الكريم، فالبيع والشراء وذكر الله تجدهما في حياة المسلم يهدفان إلى تحقيق غاية واحدة، وهي تحقيق خشية الله، {رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ} لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ<sup>2</sup>، ويمكن القول بأن الفرق الجوهرى بين التجارب البشرية في هذا المضمار، وبين المنهج القرآنى يعود إلى كون هذا الأخير معصوما من جهة، ومن جهة أخرى، كون نظرتة كلية شاملة نحو الحياة وما يصلح لعمارة الأرض، واستخلاف الإنسان فيها على وجه يليق بتكريمه فردا ومجتمعا.

<sup>1</sup> صحيح البخاري (ت: 256هـ)، كتاب البيوع، باب إذا بين البيعان ولم يكتما ونصحا، الحديث رقم: 2079

<sup>2</sup> سورة النور، الآية: 36 — 37

## المبحث الرابع: الحرية والتغيير في القرآن البصير

جاء القرآن الكريم فعالج مواضيع تهم الإنسانية؛ من عقيدة وعبادة وسلوك ومعاملة، غير أن الأرضية التي لا يمكن الحديث عن هذه القيم إلا فيها هي الحرية، بدون حرية لا عقيدة ولا عبادة ولا معاملة.

فكيف عالج القرآن الكريم موضوع الحرية؟ وما منهجه في عرض موضوع الحرية؟  
عالج القرآن الكريم موضوع الحرية عن طريق البدء بصنع الإنسان الحر وبنائه من الداخل، فعمل على صناعة شخصية لا تركع للظلم، ولا تسجد للاستبداد، ولا تقبل أن تستعبد إلا لربها وخالقها، باسط كل شيء وواهب الأرزاق، هو الغني، وما سواه فقير إليه، {يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٥٠﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٥١﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ} <sup>1</sup>.

وموقف إعلان الحرية ورفض العبودية لغير الله موقف أسس له القرآن الكريم، وعمل النبي صلى الله عليه وسلم على تطبيقه على أرض الواقع في الحياة الاجتماعية، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك دونه ما تركته" <sup>2</sup>.

هكذا دعا القرآن الكريم إلى الحرية، وتضمن من الأحكام ما يضمن للبشرية الأمن والراحة، بل جعل الأمن حقا مشتركا لتحقيقا للحرية، ولم يقبل توبة الظالم المعتدي على حق غيره حتى يتوب ويرد المظلومة لصاحبها أو يعفو عنه.

<sup>1</sup> سورة فاطر، الآية: 15 — 17

<sup>2</sup> سيرة ابن هشام (ت: 218هـ)، 266/1

## المصلب الأول: حرية الإنسان الاعتقالية في القرآن العظيم

تنوق النفوس بفطرتها إلى الحرية وتسعى لتحقيقها، فوجدت في الوحي مبتغاها، فحررها القرآن الكريم على جميع المستويات عقيدة وعبادة ومعاملة، ولم يدع القرآن الكريم الإنسان عبداً لشيء غير الله، قال الله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} <sup>1</sup>، فمن حق الإنسان — انطلاقاً من القرآن الكريم — أن يختار ما يشاء في الاعتقاد والتدين مع تحمله كامل المسؤولية فيما يختار أو يدع من دين أو مذهب، {أَقَانَتْ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} <sup>2</sup>.

الحرية مكسب غال ومطلب نفيس، لذلك سالت الدماء عبر التاريخ من أجل تحقيقها، فلم تزل الإنسانية تحلم بواحة الحرية الظليلة، فلا تنال منها إلا الفتات المتساقط من أنياب أهل الاستبداد، حتى أذن الله في بزوغ شمس الحرية بترول القرآن الكريم وبعثة الرسول الخاتم محمد صلى الله عليه وسلم، فبدد ظلام الظلم، ومنح الإنسانية حريتها، فولدت الإنسانية من جديد مع القرآن الكريم.

فالحرية لا تتحقق بالأمان، ولكنها تنال بثمن غال ونفيس، فمنذ أن طوعت لقابيل نفسه قتل أخيه هابيل والإنسانية تكافح من أجل الحرية، وأول الناس دعوة إلى الحرية الأنبياء، فهذا نوح عليه السلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، فأوذي وضيق عليه واتهم بالجنون، كما حكى القرآن الكريم ذلك في قوله تعالى: {مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَّبِعَ صُلَّ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَكًا مَّا سَمِعْنَا بِهَِذَا

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية: 255

<sup>2</sup> سورة يونس، الآية: 99

فَإِذَا بَآئِنَا الْأُولَى ﴿٢٤﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فُتَرَبِّصُوا بِهِ حَتَّى حِسَّ<sup>١</sup>،  
كذبوه وسخروا منه فكان مآلهم الغرق والهلاك، قال الله تعالى: {فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ  
وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَعْرِفْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا  
عَمِينَ}<sup>٢</sup>، وما لقي نوح عليه السلام؛ من التكذيب والسخرية والتهم تجربة نبوية  
سوف تتكرر مع من سيأتي بعده من الأنبياء عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأزكى السلام،  
قال الله تعالى: {كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا  
وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ}<sup>٣</sup>، فلقيت كل أمة بعض جزائها في  
الدنيا قبل الآخرة، ليس لأنها كفرت بهذا الكتاب، ولكن لأنها عرفت وعاندت  
وحاربت وحالت دون سماع الناس الكتاب، قال الله تعالى: {فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ  
فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ  
الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَفْنَا وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ  
يُظْلِمُونَ}<sup>٤</sup>، لكن حسبي هنا الوقوف مع الرسالة الخاتمة: القرآن الكريم، الرسالة التي  
أرسلها الله إلى العالم، فلم يعاجل الله بالهلاك من بعث فيهم النبي الخاتم سيدنا محمد  
صلى الله عليه وسلم، مثل ما عاجل الأمم السابقة، رغم شدة ما لقي منهم رسول الله  
صلى الله عليه وسلم؛ من التعذيب والمطاردة، فلم يزالوا يلاحقونه وأصحابه داخل مكة

<sup>١</sup> سورة المؤمنون، الآية: ٢٤ — ٢٥

<sup>٢</sup> سورة الأعراف، الآية: ٦٣

<sup>٣</sup> سورة المؤمنون، الآية: ٤٤

<sup>٤</sup> سورة العنكبوت، الآية: ٤٠

وخارجها، وحاصروهم ونفروا منهم الناس، بل حاولوا اغتياله صلى الله عليه وسلم مرات ومرات، لولا عصمة الله له منهم، غير أن ثورة الحرية سلكت سبيلها، إلى أن حققت مبتغاها، وبلغت مناهها، لم يرهبها الباطل لأنها ثورة الحق من أجل الحق.

فالقرآن الكريم جاء لتحقيق التوحيد، والتوحيد والحرية لا ينفكان، فالتوحيد يحرر صاحبه من كل عبودية إلا لله، لذلك رفض القرآن الكريم كل ما يناقض الحرية؛ من ظلم واستبداد، حتى جعل من يرضى بذلك شريكا في الإثم يستحق العقوبة على ذلك، فاعتبر من استكان للظلم والهوان والذل ظالما لنفسه، محرما إياها من الحرية والكرامة، قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْهُمْ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١٦﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿١٧﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفِرَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا} <sup>1</sup>، وقال تعالى: {يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّيَ فَاعْبُدُونِ} <sup>2</sup>، إنها مقاومة ومصابرة من أجل تحقيق الحرية ونبد الذل والهوان، فإذا كان المظلوم الذي قبل الظلم واستكان ورضي به مستحقا للعقاب واللوم فإن الظالم الذي تولى كبر ذلك يكون مستحقا لذلك من باب أولى، قال الله تعالى: {وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهُ غَلِيلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ} <sup>3</sup>.

<sup>1</sup> سورة النساء، الآية: 96 — 98

<sup>2</sup> سورة العنكبوت، الآية: 56

<sup>3</sup> سورة إبراهيم، الآية: 44

لقد حرر القرآن الكريم عقل الإنسان من الأوهام والخرافات، ودعاه إلى العلم، وندبه إلى النظر في آيات الله المتلوة والكونية، فاستجابت العقول السليمة، فأمنت برهها، واعتنق الناس دين الفطرة أفراداً وشرافاً، ولم يشرع الجهاد من أجل إرغام الخلق على الدين، ولكن لتحطيم أي وثن جاهلي حال بين الناس وبين الدين الخاتم، قال الله تعالى: {فَلْـأَمِينُوا بِهِ ءَأَوْ لَا تُؤْمِنُوا} <sup>1</sup>، وقال سبحانه: {وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفِرْ} <sup>2</sup>.

ومن مظاهر تمكين القرآن الإنسان مما يريد أن يختاره من دين وعقيدة، أن الكافر إذا استجار المؤمن، لم يعط المسلم الحق في إرغامه على الدخول في دينه: الإسلام، وإنما رخص له في حدود العرض والطرح بإسماع كلام الله له، ثم يتركه وحرية ليختار ما يشاء، قال الله تعالى: {وَإِن أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ} <sup>3</sup>، كما فتح القرآن الكريم للإنسان باب الحرية على مصراعيه في مجال العلم، فلم يضيق عليه فيما يرغب فيه من علم ومعرفة، سيما وأن العلم لا ينفك عن موضوع الاعتقاد؛ إذ به تقام الحجة على الإنسان فيما يختار من الدين وما يذر، كما أعطى القرآن الكريم الحرية للمسلمين وغير المسلمين في مناقشة قضايا العقائد والأديان، ودعا المسلمين في ذلك إلى التزام الجادة أثناء مناقشتهم لأهل الكتاب؛ بمقتضى المنطق والعقل، وقرع الحجة بالحجة قصد

<sup>1</sup> سورة الإسراء، الآية: 107

<sup>2</sup> سورة الكهف، الآية: 29

<sup>3</sup> سورة التوبة، الآية: 6

الإقناع، قال الله تعالى: {وَلَا تُجَدِّلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}<sup>1</sup>  
 وخاطب أهل الأديان الأخرى بقوله: {فُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}<sup>2</sup>،  
 وقال سبحانه: {هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا}<sup>3</sup>.

ومن أبلغ الآيات تعبيراً عن إنصاف القرآن الكريم للمكذابين به الآيات التي تفترض  
 جدلاً صحة ما عليه المكذبون مع بطلان ما هم عليه يقينا جازماً، قال الله تعالى: {وَإِنَّا  
 أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}<sup>4</sup>، معاملة في غاية العدل والإنصاف.

وعلى هذا السنن سار المسلمون خلال القرون المفضلة في تعاملهم مع أرباب  
 الشرائع السماوية من يهود ونصارى، فهذا عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لما فتح بيت  
 المقدس عاهد من وجد فيها من أهل الكتاب فقال: "هذا ما أعطى عمر أمير المؤمنين  
 أهل إيلاء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم ولكنائسهم وصلبانهم ... لا تسكن  
 كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من خيرها ولا من صلبهم، لا يكرهون على  
 دينهم ولا يضار أحد منهم"<sup>5</sup>، وفي كتاب: (تنظيم الإسلام للمجتمع) للشيخ محمد أبو  
 زهرة: "أن قتيبة بن مسلم فتح بعض أقاليم سمرقند من غير أن يخيرهم بين القتال أو  
 الإسلام أو المعاهدة، فشكا أهل هذا الإقليم إلى الحاكم العادل عمر بن عبد العزيز أن  
 قتيبة لم يخيرهم ذلك التخيير ليقروا مصيرهم، فأرسل الخليفة إلى القاضي ليستمع إلى  
 هذه الشكوى ويحققها، فتبين له صدقها، فأصدر أوامره إلى جند المسلمين بأن يخرجوا

<sup>1</sup> سورة العنكبوت، الآية: 46

<sup>2</sup> سورة النمل، الآية: 66

<sup>3</sup> سورة الأنعام، الآية: 149

<sup>4</sup> سورة سبأ، الآية: 24

<sup>5</sup> الحرية في الإسلام، لعلي عبد الواحد وافي (ت: 1412هـ) ص: 61



من البلد الذي فتحوه ويعودوا إلى ثكناتهم، ويخبروا أولئك بين هذه الأمور الثلاثة ويقرروا مصيرهم، فاختاروا العهد، ومنهم من اختار الإسلام ديناً<sup>1</sup>، هكذا كان العدل والإنصاف شعار من تربوا على مائدة القرآن المجيد.

## المصلب الثاني: الحرية المدنية والتغيير في القرآن الكريم

يقصد بالحرية المدنية حق جميع الإنسان في تحرير العقود والالتزامات، والتملك والتصرف فيما يملك، ولم يستثن الإسلام من ذلك إلا الصبي والسفيه<sup>2</sup> والمجنون، وهذا ما يسمى بالحرية المدنية، فاستثنى الشرع الإسلامي هؤلاء صيانة لمصالحهم ومصالح ورثتهم، ووقاية للنظام الاقتصادي، ولم يفرق الإسلام في الحقوق المدنية بين الناس، بل سوى بينهم فيها على اختلاف طبقاتهم وأنسابهم وأحسابهم، بل لم يفرق بين المسلمين وغيرهم، فيسري على الذمي في بلاد الإسلام ما يسري على المسلم، إلا ما يخص دينه فتحترم فيه عقائدهم، حتى توعده النبي صلى الله عليه وسلم من ظلمهم أو أساء إليهم في ذلك فقال: "من ظلم معاهداً أو انتقصه حقه فأنا خصمه يوم القيامة"<sup>3</sup>، كما سوى في الحرية المدنية بين الرجل والمرأة، تظل المرأة في الإسلام — ولو تزوجت — محتفظة بلقب أسرتها وبحقوقها المدنية كلها، وتبقى مؤهلة لتحمل كل الالتزامات وإبرام العقود؛ من بيع وشراء ورهن وغيرها، ولا حق لأحد في شخصيتها وثروتها، زوجها أو غيره، قال تعالى: {وَإِنْ أَرَدْتُمْ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدِيَهُمْ فِنْطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً اتَّخَذُوهُ بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٢٠﴾ وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ

<sup>1</sup> تنظيم الإسلام للمجتمع، لأبي زهرة (ت: 1394هـ)، ص: 191

<sup>2</sup> السفیه هو: من لا يحسن التصرف في الأموال

<sup>3</sup> سنن أبي داود (ت: 275هـ)، باب في الذمي يسلم في بعض السنة، أعليه جزية؟ الحديث رقم: 3052

أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذَ مِنْكُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا<sup>1</sup>، فلا يحل للزوج أن يأخذ منها حتى ما سبق له أن قدمه لها من مقدم الصداق أو كله؛ لأنه حق لها، إلا ما كان من ذلك بكامل رضاها، قال الله تعالى: {وَوَاتُوا النِّسَاءَ صَدَقْتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبَّ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا}<sup>2</sup>، وليس هنا مجالا للمقارنة في هذا بين القرآن الكريم وبين ما في الشرائع الأخرى، لكن من تتبع ذلك في مواطنه يدرك مدى سمو مبادئ هذا الدين الذي جاء به القرآن الكريم، ومدى إنصافه وتكريمه للمرأة، بينما في النظم الأخرى لا تكاد تستقل من التبعية لوالدها حتى تدخل تحت سيطرة زوجها، ولم تزل الولاية عليها بعد وفاة زوجها تنتقل من أشخاص إلى آخرين حتى تصل إلى الحاكم، دون أن يكون لها الحق والحرية في تسيير أمرها، صغيرا كان أو كبيرا.

"بل إن ما يقرره الإسلام من مبادئ بصدد المساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق المدنية، لم يصل إلى مثله أحدث القوانين في أعرق الأمم الديمقراطية الحديثة"<sup>3</sup>، وذلك لأن هذا تتريل من حكيم حميد، وذاك إنتاج بشري يحتاج في كل مرة إلى تعهد وترشيد.

<sup>1</sup> سورة النساء، الآية: 20 — 21

<sup>2</sup> سورة النساء، الآية: 4

<sup>3</sup> الحرية في الإسلام، ص: 18

## المصلب الثالث: الرق والتغيير في القرآن العبيد

كثيرا ما ينظر إلى الإسلام على أنه دين كرس عملية استرقاق الإنسان، وأن هذا يتنافى مع مبدأ الحرية وكرامة الإنسان؛ علما بأن الاسترقاق يعني: تجريد الفرد من حرته المدنية، بحيث لا يحق له إبرام أي عقد، ولا يتحمل أي التزام، بل يكون هو نفسه مملوكا—، يعامل مثل البضاعة.

ولدفع هذه الشبهة التي يلوكها حتى بعض المسلمين، لابد من الآتي:

**أولا:** استحضار الظروف والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي كانت الإنسانية تعيشها إبان نزول هذا الكتاب: القرآن الكريم، فهي ظروف تفرض وبإلحاح على أي قانون، سماويا كان أو غيره، أن يقر ذلك بشكل ما، وإلا فقد صفة الحكمة، وذلك أن محاولة تغيير هذا الوضع بشكل مفاجئ، والقضاء على الظاهرة بالكلية، من شأنه أن يعرض عملية التغيير للفشل والإخفاق ولا محالة، وعليه فلا بد من سلوك سبيل الحكمة والتدرج.

ولم يكن من الحكمة في شيء أن يحرم تحريما باتا من البداية، ليس فقط لأن الإسلام إبانه يعيش نوعا من الضعف، بل حتى في حالة إتاحة الفرصة عن طريق توفر وسائل القوة لإرغام المجتمع على التخلص من الظاهرة بالكلية، فإن ذلك من شأنه أن يحدث هزات عنيفة، وأضرارا بالغة، على المستوى الاجتماعي والاقتصادي معا، فالإسلام لم يقر نظام الرق بشكل مطلق، ولكن أقره بطريقة تتضمن هي نفسها وسائل القضاء عليه عن طريق التدرج تفاديا لإحداث أي أثر سلبي ممكن في المجتمع.

**ثانياً:** إدراك أن عملية إقرار القرآن للظاهرة اعتباراً للوضعية الاجتماعية والاقتصادية إقرار يؤدي في الآن نفسه إلى التخلص من الظاهرة وإماتها بشكل نهائي، فسلك القرآن الكريم — بغية الوصول إلى القضاء على ظاهرة الرق — سبيلاً أصدق نتيجة، وأقصر مدة.

هذا ويمكن تلخيص السبل التي سلكها القرآن الكريم للقضاء على ظاهرة الرق في وسيلتين مهمتين هما:

إحدهما: تخفيف المنابع التي تنتج الرق وتخدم بقاءه واستمراره، وسيأتي في المطلب الرابع الحديث عن منابع الرق قبل نزول القرآن الكريم.

الثانية: توسيع مجال العتق والتحرير؛ حيث شرع القرآن الكريم جملة من فرص وأسباب العتق، وهي فرص كافية للقضاء على نظام الاسترقاق في أمد قصير، من ذلك ما جاء به القرآن الكريم من كفارات على مخالفات شرعية، ربطها بعتق رقبة مؤمنة، يعود العتق فيها إلى أمور، منها:

1 أن يتفضل السيد على مملوكه بالعتق، وذلك بلفظ يحمل دلالة ذلك، قصد العتق أم لم يقصده، جادا فيما قال أم هازلاً<sup>1</sup>، مختاراً أم مكرهاً.

2 التدبير، وهي وصية السيد بتحرير عبده بعد موته، فضماناً لتحقيق حرية العبد المدبر حرم الشرع على السيد بيع عبده المدبر، أو رهنه، أو بيعه، أو هبته، أو نقل ملكيته إلى غيره بأي شكل من الأشكال.

<sup>1</sup> وفي الحديث: "ثلاث جدهن جد وهزلهن جد" مستدرک الحاکم (ت: 405هـ)، کتاب الطلاق، رقم: 2800، وسنن أبي داود (ت: 275هـ)، باب في الطلاق على الهزل، الحديث رقم: 2194

3 أن تلد الأمة من سيدها؛ فإن الولد يولد حراً، كما تعتق الأم: (أم الولد) بعد وفاة سيدها، وفي الحديث: "أعتقها ولدها"<sup>1</sup>، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أم الولد لا تباع ولا توهب وهي حرة من جميع المال"<sup>2</sup>.

4 المكاتب، وهي: أن يأتي العبد بمبلغ معين من المال مقابل عتقه، قال تعالى: {فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا}<sup>3</sup>، وأباح الإسلام للمكاتبين وسائل حمة للحصول على المال، وليس للسيد رفض المكاتب متى أبدى العبد الرغبة في ذلك.

5 جعل الإسلام كثيراً من المخالفات الشرعية تكفر بتحرير العبيد والإماء، فمن هذه الكفارات:

أ) الكفارة على القتل الخطأ، قال الله تعالى: {وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطْئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَّةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَّدَّقُوا}<sup>4</sup>.

ب) كفارة الحنث في اليمين، قال الله تعالى: {لَا يُوَاحِدُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ وَحَيْثُ أَيمَنَ لَكُمْ وَلَكِنْ يُوَاحِدُكُمْ بِمَا عَفَدْتُمْ الْأَيْمَانَ فَكَفَّرتُكُمْ بِطَعَامِ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ}<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> مستدرک الحاكم (ت: 405هـ)، حديث إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير، الحديث رقم: 2191

<sup>2</sup> صحيح ابن خزيمة (ت: 311هـ)، باب أول صدقة محبسة تصدق بها في الإسلام، الحديث رقم: 2483، ومسنند أحمد (ت:

241هـ)، مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، الحديث رقم: 4608

<sup>3</sup> سورة النور، الآية: 33

<sup>4</sup> سورة النساء، الآية: 91

<sup>5</sup> سورة المائدة، الآية: 91

(ج) جعله وسيلة لمراجعة المرأة في حالة ما إذا وقع عليها زوجها ظهارا، قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ يَظَاهَرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا} <sup>1</sup>.

(د) جعله الإسلام كفارة للإفطار العمد في رمضان.

(هـ) خصص القرآن الكريم طرفا من الزكاة لشراء الرقيق وتحريرهم، قال الله تعالى: {إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغُرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} <sup>2</sup>.

(و) جعل القرآن الكريم تحرير رقبة مؤمنة قرابة من القربات يتقرب بها المسلم إلى ربه، قال الله تعالى: {فَلَا إِفْتَحَمَ الْعُقْبَةَ} <sup>3</sup> وَمَا أَذْرِيكَ مَا الْعُقْبَةُ} <sup>3</sup>، كما ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل في عظم الأجر، فكثيرا ما يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "... ومن سقى مسلما شربة من ماء حيث يوجد الماء، فكأنما أعتق رقبة ...". <sup>4</sup>

بهذا سلك القرآن الكريم مسلك تطهير المجتمع من هذه الظاهرة السلبية شيئا فشيئا من منافذ مختلفة، بخلاف ما كانت عليه منافذ التحرر والعتق قبل الإسلام؛ إذ لم يكن

<sup>1</sup> سورة المجادلة، الآية: 3

<sup>2</sup> سورة التوبة، الآية: 60

<sup>3</sup> سورة البلد، الآية: 11 — 12

<sup>4</sup> سنن ابن ماجه (ت: 273هـ)، باب المسلمون شركاء في ثلاث، الحديث رقم: 2474، والمعجم الأوسط للطبراني (ت:

360هـ)، باب من اسمه محمد، الحديث رقم: 6592

هناك سبيل للعتق إلا رغبة السيد في تحرير عبده، مما جعل العبيد رافسين في أغلال الرق، وكانت هذه الوسيلة الوحيدة محاطة بقيود وشروط قاسية، وإجراءات قضائية معقدة، كما كانوا يفرضون على السيد إذا أعتق مملوكه غرامات مالية لصالح الدولة لما يرون في عتق العبيد من تضييع لحقوقها.

ثالثاً: أن الإسلام لم يسلب الرقيق جميع حقوقهم المدنية، كما كان الوضع قبل نزول القرآن الكريم، بل حافظ لهم على كثير من حقوقهم المدنية احتراماً لإنسانيتهم فاستبدل لهم بالقوانين السائدة قبل الإسلام قوانين كلها عطف ورحمة بإنسانية المملوكين، كما حماهم من بطش أسيادهم وعسفهم، فقد كان العرف السائد والقاعدة المحكمة، أن الرق يتنافى مع الحقوق، فكل ما يقع في يد العبد من مال بأي وسيلة ومن أي جهة، تحول بشكل آلي إلى ملك سيده، كما كان العبيد محرومين من تكوين الأسرة بالزواج مثل الأحرار، فجاء الإسلام ومنحهم جملة من الحقوق التي كانت تخص الأحرار دون العبيد، من هذه الحقوق:

\_\_\_\_\_ تكوين الأسرة شأنهم في ذلك شأن الأحرار

\_\_\_\_\_ أباح للمملوك الزواج من الحرة والأمة، وأعطى للأمة الحق في الزواج من الحر والعبد، قال الله تعالى: {وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ} إِنَّ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ<sup>1</sup>، فنص القرآن الكريم على مشروعية تزويج العبد، بل ربما بلغ الحكم في ذلك

<sup>1</sup> سورة النور، الآية: 32

مرتبة الوجوب لتجرد الآية عن قرينة تصرفها عن الوجوب، والأمر إذا أطلق انصرف إلى الوجوب، وهذا تغيير جذري في نظام الرق من حيث بناء الأسرة.

\_\_\_\_\_ كانت بعض الشرائع تمنع الحر أن يتزوج من أمة، وتمنع الحرة أن تتزوج بمملوك، وقد يتزلون بها أشد العقاب، ويصل في بعض الحالات إلى الإعدام، كما عند الرومان<sup>1</sup>.

\_\_\_\_\_ الحقوق المالية:

أعطى الإسلام الصلاحية للسيد أن يأذن لمملوكه في مزاوله التجارة وغيرها من المعاملات المالية، وبهذا تعطاه جميع الحقوق المدنية المتعلقة بمجال المال.

\_\_\_\_\_ معاهدة المملوك المسلم لغيره

لو أعطى مملوك مسلم أحدا من المقاتلين عهدا وأمانا لزم الجيش المسلم اعتباره واحترامه، مثله مثل عهد الحر وأمانه، وفي الحديث: "المسلمون تتكافؤ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم"<sup>2</sup>.

\_\_\_\_\_ الإحسان إلى العبيد قرين التوحيد في القرآن المجيد

أمر القرآن الكريم الأسياد بحسن معاملة الرقيق، وأن يعاملوهم كما يعاملون أبناءهم، قال الله تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا

<sup>1</sup> ينظر الحرية في الإسلام، ص: 47

<sup>2</sup> صحيح ابن حبان (ت: 354)، باب ذكر نفي القصاص في القتل، وإثبات التوارث بين أهل ملتين، الحديث رقم: 5996، ومسند أحمد (ت: 241هـ)، مسند علي رضي الله عنه، الحديث رقم: 960



وَبِذِهِ الْقُرْآنُ وَالْيَتِيمَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ  
وَالصَّالِحِ وَالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ<sup>1</sup>

هكذا قرن القرآن الكريم الإحسان إلى الرقيق بوجوب عبادة الله وتوحيده، وعدم  
الإشراك به، وفي المعنى أحاديث نبوية كثيرة<sup>2</sup>.

## المصلب الرابع: منابع الرق قبل نزول القرآن الكريم

يمكن تلخيص منابع الرق قبل نزول القرآن الكريم في النقاط الآتية:

\_\_\_\_\_ انتساب الفرد إلى طبقة معينة، فمجرد هذا الانتساب يجعله مملوكا في نظر  
الطبقات الأخرى.

\_\_\_\_\_ الحروب بشتى أنواعها، فكل أسرى الحرب لا يخلو أن يكون مصيرهم إما  
إلى القتل، وإما إلى الاسترقاق.

\_\_\_\_\_ الاعتداء بالسيبي والخطف، فيكون ضحايا هذا الاعتداء يلحقون بأسرى  
الحرب، وكان لديهم وسيلة مشروعة، فزاولتها بعض الحكومات، كما كان الشأن  
بأثينا في عهد صولون<sup>3</sup>.

\_\_\_\_\_ الأحكام التي تصدر في حق مرتكبي بعض الجرائم الخطيرة؛ كالزنا والقتل  
والسرقة، فيحكم عليهم في بعض الشرائع قبل الإسلام بالرق لمصلحة المعتدى عليه، أو  
أسرته، أو لمصلحة الدولة.

<sup>1</sup> سورة النساء، الآية: 36

<sup>2</sup> من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "إخوانكم حولكم" صحيح البخاري (ت: 256هـ)، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر  
الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، الحديث رقم: 30

<sup>3</sup> ينظر الحرية في الإسلام، ص: 25

\_\_\_\_\_ الدين، في حالة عجز المدين عن سداد دينه حكم عليه بالرق لفائدة دائئه،  
كما عند اليونان والرومان.

\_\_\_\_\_ بيع الوالد بعض أولاده بسبب العوز والحاجة، وكانوا يرون ذلك مباحا،  
بل ربما باع نفسه وحرите مقابل قدر معين من المال يفك به نفسه من أزمة دين أو  
كربة حاجة.

\_\_\_\_\_ التناسل، فولد الأمة يولد رقيقا لسيدها ولو كان أبوه حرا<sup>1</sup>، وكانت هذه  
الينابيع تزود ساحة الرق بأعداد من الأنفس ليست باليسيرة، فجاء الإسلام وألغى هذه  
الينابيع إلا اثنين منها، وهما: رق الوراثة ورق الحرب، إضافة إلى تقييدهما بقيود تسهم  
في نضوب معينها.

من مظاهر تقييد الإسلام رق الوراثة، أن ولد الجارية من سيدها يولد حرا، كما  
تعتق هي الأخرى على ولدها الحر.

ومن مظاهر تقييد الإسلام رق الحرب أن الحرب التي يسترق فيها السبي هي الحرب  
المستوفية لشروط الشرعية، فإذا كانت حرب توسع واعتداء فلا يسترق من يؤسرون  
فيها، كما أبقى الشرع للإمام المجال والصلاحيية ليتصرف في أسرى الحرب حتى في  
حال استيفائها للشروط بالعفو عنهم بدون أي مقابل، أو بمقابل؛ مثل الفدية أو عمل  
يؤدونه<sup>2</sup>، بل إن القرآن الكريم يتحاشى ذكر الرق إلا في معرض الحديث عن تخفيف  
منابعه، من ذلك قول الله تعالى: ﴿فَإِذَا لَفِئَتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى

<sup>1</sup> الحرية في الإسلام، ص: 26

<sup>2</sup> من ذلك تعليم أبناء المسلمين الكتابة والقراءة

إِذَا أَتَحْنَتُمُوهُمْ فَشُدُّوا أَلْوَتَاقَ بَإِمَّامَا مِّنَّا بَعْدُ وَإِمَّامَا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ أَلْحَرْبُ  
أَوْزَارَهَا<sup>1</sup>، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤثر المن والفداء على الاسترقاق.

## المبحث الخامس: التغيير السياسي في القرآن العظيم

من المواضيع التي شغلت بال الإنسانية عبر التاريخ أكثر من غيرها، موضوع نظام الحكم، فهل عالج القرآن الكريم موضوع نظام الحكم؟ وكيف عالجها؟  
نظام الحكم في الإسلام مثله مثل سائر تشريعات الحياة الإنسانية، أسس لها القرآن الكريم، فأخرجها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حيز التنفيذ والتطبيق الواقعيين، والأسس التي بنى عليها القرآن الكريم نظام الحكم أسس تناسب عالمية الإسلام، وشمولية الرسالة الخاتمة.

نظام الحكم الذي جاء به القرآن الكريم ليس بحاجة إلى غيره من الفلسفات البشرية، والفلسفات البشرية والنظم الوضعية، كلها في افتقار إليه؛ إذ أسس نظام الحكم في القرآن الكريم تتميز بالمرونة، فهي الوحيدة القادرة على مواكبة أحوال المجتمعات، مهما كانت الظروف، ومهما تغيرت الأحوال، {أَلَا يَعْلَمُ مَن خَلَقَ وَهُوَ أَلَلَّطِيفُ  
أَلْخَبِيرِ}<sup>2</sup>.

ويمكن تلخيص الأسس العامة التي بنى عليها القرآن الكريم نظام الحكم فيما يلي:

أولاً: العدل

ثانياً: الشورى

<sup>1</sup> سورة محمد، الآية: 4

<sup>2</sup> سورة الملك، الآية: 15.

ثالثاً: المسؤولية والطاعة: مسؤولية ولي الأمر وطاعة الرعية  
خصصت هذا المبحث للحديث عن هذه الأسس وفق مطالب ثلاث

## المصلب الأول: العدل ونظام الحكم في القرآن الكريم

كل الشعوب تتوق إلى تحقيق قيمة العدل، وتسعى إلى الاستقلال بظله، فهو أساس  
متين، ودعامة قوية لنظام الحكم في الفلسفة القرآنية، فقد نوه القرآن الكريم بالعدل  
وجعله قرين الأمانة، قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى  
أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ} <sup>1</sup>  
إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً<sup>1</sup>، وهل الأمر بأداء الأمانة والحكم بالعدل في الآية موجه  
خاصة إلى ولاية المسلمين دون الرعية أم أنه لعامة الناس؟ قال القرطبي: "والأظهر في  
الآية أنها عامة في جميع الناس، فهي تتناول الولاية فيما إليهم؛ من الأمانات في قسمة  
الأموال ورد الظلامات، والعدل في الحكومات، وهذا اختيار الطبري، وتتناول من  
دونهم من الناس في حفظ الودائع، والتحرز في الشهادات وغير ذلك"<sup>2</sup>، بل أمر الله  
بالعدل حتى الأنبياء، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} <sup>3</sup>  
فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ  
يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ<sup>3</sup>، قال  
الزمخشري: "{فاحكم بين الناس بالحق} أي بحكم الله ... ولا تتبع هوى نفسك في

<sup>1</sup> سورة النساء، الآية: 57

<sup>2</sup> تفسير القرطبي (ت: 671هـ)، 424/6

<sup>3</sup> سورة ص، الآية: 25

قضائك وغيره مما تتصرف فيه من أسباب الدين والدنيا فيضلك الهوى، فيكون سببا لضلالك"<sup>1</sup>.

كما جعل القرآن العدل قرين الإحسان؛ لأن العدل يحتاج معه إلى الرحمة والعطف، قال الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ}<sup>2</sup>، بل أعرب البيان القرآني على أن العدل من أجله أنزلت الكتب وأرسلت الرسل، قال الله تعالى: {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَفُومَ النَّاسُ بِالْفِسْطِ}<sup>3</sup>، وإنما نشد القرآن الكريم العدل ودعا إلى تحقيقه في الأرض بين الناس، لما في ذلك من صيانة الحقوق، وأمن الراعي والرعية، وانتظام أمور الخلق، وحصول الألفة، وتحقيق الطاعة لله، وعمارة البلاد، وذهم الحيف والظلم؛ لما في ذلك من ضياع الحقوق، وفساد ضمائر الخلق، وخراب البلاد، وتحول أمر الناس إلى فوضى، واضطراب الأحوال، قال الإمام الماوردي: "وأما القاعدة الثالثة أي من القواعد التي تصلح بها الدنيا حتى تصير أحوالها منتظمة، وأمورها ملتزمة، فهي عدل شامل يدعو إلى الألفة، ويبعث على الطاعة، وتعمر به البلاد، وتنمو به الأموال، ويكثر معه النسل، ويأمن به السلطان، فقد قال الهرمزان لعمر حين رآه وقد نام متبذلا: عدلت فأمنت فنمت، وليس شيء أسرع في خراب الأرض، ولا أفسد لضمائر الخلق من الجور؛ لأنه ليس يقف على أحد، ولا ينتهي إلى غاية، ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى يستكمل"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> تفسير الكشاف، 89/4

<sup>2</sup> سورة النحل، الآية: 90

<sup>3</sup> سورة الحديد، الآية: 24

<sup>4</sup> أدب الدنيا والدين، للماوردي (ت: 450هـ)، ص: 139

فالعَدل باعتباره من أسس إقامة نظام الحكم في المنهج القرآني، يطالب به كل من الراعي والرعية، فالرعية تقيم العدل في نفسها بصدق القول واعتدال السلوك، والراعي يقيم العدل فيهم بإيقاف الظالم عند حده حتى يرجع عن غيه، وبوقوفه إلى جانب المظلوم حتى يسترجع حقه، قال الله تعالى: {وَإِذَا فُلْتُمْ بِأَعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى} <sup>1</sup>، كما نهى القرآن الكريم عن أن يحول حب قوم أو بغضهم دون تطبيق العدل في الحكم أو الشهادة، قال الله تعالى: {يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْفِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَفِيرًا قَالَ اللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} <sup>2</sup>، وقال تعالى: {يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْفِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ فَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا ؕ بَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} <sup>3</sup>، قال القرطبي: "دلت الآية على أن كفر الكافر لا يمنع من العدل عليه، وأن يقتصر على المستحق من القتال والاسترقاق، وأن المثلة بهم غير جائزة وإن قتلوا نساءنا وأطفالنا وغمونا بذلك، فليس لنا أن نقتلهم بمثلة قصدا لإيصال الغم والحزن إليهم" <sup>4</sup>.

<sup>1</sup> سورة الأنعام، الآية: 153

<sup>2</sup> سورة النساء، الآية: 134

<sup>3</sup> سورة المائدة، الآية: 9

<sup>4</sup> تفسير القرطبي (ت: 671هـ)، 372/7

إنها عدالة اجتماعية، تعجز الفلسفات البشرية عن الإتيان بمثلها، منهج قرآني شع فيه ضياء العدل ليحقق التوازن الاجتماعي بتزول الأقوياء متواضعين، وارتفاع أصحاب الحقوق رافعي رؤوسهم ليلتقيا معا في نقطة العدل.

## المصلب الثاني: الشورى ونظام الحكم في القرآن العبيد

ما الشورى؟ وما علاقتها بالعدل؟ وما دورها في نظام الحكم؟  
تعتبر الشورى أساسا من أسس نظام الحكم الذي جاء به القرآن الكريم، فالعدل والشورى في القرآن الكريم أمران متلازمان، لا ينفك أحدهما عن الآخر، فالشورى تنتج العدل، والعدل ثمرة الشورى.

وقد مدح القرآن الكريم أصحاب الشورى؛ لما يترتب عن غيابها؛ من استبداد وانحراف، قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ}<sup>1</sup>، فهذا إلزام للرأي بالشورى، فلو استغنى أحد عن الشورى لاستغنى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو المؤيد بالوحي، ومع ذلك لا غنى له عن أن يخاطب بقول الله تعالى: {بَاعِفْ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ}<sup>2</sup>، قال ابن عطية: "والشورى من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام، من لا يستشير أهل العلم والدين فعزله واجب، هذا ما لا خلاف فيه"<sup>3</sup>، وقال ابن خويز منداد: "واجب على الولاة مشاورة العلماء فيما لا يعلمون، وما أشكل

<sup>1</sup> سورة الشورى، الآية: 35

<sup>2</sup> سورة آل عمران، الآية: 159

<sup>3</sup> تفسير ابن عطية (ت: 542هـ)، 534/1

عليهم من أمور الدين ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب، ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح، ووجوه الكتاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها<sup>1</sup>.

وللشورى أثرها الإيجابي في نظام الحكم، وهي حق للرعية، بل تجب حسب الحال والحاجة، وقد يأثمون بتركها، لما لها من دور في سياسة الحكم؛ إذ بها يتم إبعاد الفاسدين من الحكم، ويجد فيها المخلصون لأوطانهم متنفسا، ويكشفون بها فساد المفسدين، وعبث العابثين<sup>2</sup>.

والشورى تقوم مقام النص الشرعي فيما لم يرد فيه نص شرعي قطعي الدلالة، وإلا فلا شورى ولا رأي لأحد، وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يستشير فيما لم يتزل فيه وحي من سياسة الحرب<sup>3</sup> ولقاء العدو، وأمور الحياة الاجتماعية، فإذا نزل الوحي انقاد له الجميع.

أمر القرآن الكريم بالشورى ولم يفصل في جزئياتها ليكون الناس في سعة من أمرهم فيها، وليؤدي أهل الشورى والاستنصاح واجبهم وفق حالهم ومقتضيات زمانهم، فمن العبث بل من الكفر وصف القرآن الكريم بالقصور عن مواكبة التطور ومسايرة ما يتجدد عبر الزمن، فقد أسس القرآن الكريم مبدأ الشورى، وترك المجال للناس: مسؤولين ورعايا ليقرروا وفق هذا التأسيس ما يلائم أحوالهم من التفاصيل.

والشورى لا يتولى أمرها، ولا تطلب إلا من فئة مؤهلة لهذه المهمة، فما كل الناس يستشارون، وما كل إشارة يؤخذ بها، والفئة المؤهلة للاستشارة هي التي وصفها القرآن الكريم بأنها تدعو إلى الخير وتأمّر بالمعروف وتنهى عن المنكر، قال الله تعالى: {وَلْتَكُنْ

<sup>1</sup> الشرح الكبير على متن خليل، للخرشي (ت: 1101هـ)، 4/126

<sup>2</sup> ينظر "الإسلام عقيدة وشرعية" لمحمود شلتوت (ت: 1963م)، ص: 438 وما بعدها

<sup>3</sup> مثل استشارته صلى الله عليه وسلم أم سلمة في صلح الحديبية



مِنْكُمْ ۚ إِنَّهُمْ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ<sup>1</sup>، وجماع ذلك أن يكون الداعي داعياً بالعلم وعلى بينة، وإلا أفسد من حيث يظن أنه مصلح، قال الفخر الرازي: "ومعلوم أن الدعوة إلى الخير مشروطة بالعلم بالخير وبالمعروف وبالمُنكر، فإن الجاهل ربما عاد إلى الباطل وأمر بالمنكر ونهى عن المعروف، وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر"<sup>2</sup>، كما أن العلم بموضوع الاستشارة شرط أساس في الشخص المستشار، فلا يغلب الجانب العاطفي فيستشار المرء لصدقه أو مكانته أو أي اعتبار آخر، ما لم يكن أدرى بما يستشار فيه.

### المصلب الثالث: مسؤولية الحاكم وصناعة الرعية في القرآن البصير

مسؤولية الحاكم تجاه رعيته توجب عليه أن يحمي لها دينها ودنياها، وأن يسعى لتحقيق ما يسعدها من العدالة الاجتماعية والعيش الكريم، عطوفاً عليهم شفوفاً، يؤثرهم على نفسه، {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}<sup>3</sup>، وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "اللهم من ولي من أمري شيء فشق علىه فاشقق عليه، ومن ولي من أمري شيء فرفق بهم فارفق به"<sup>4</sup>، ولا يحق له أن يتحجب عنهم، ولكن يفتح لهم بابه، ويصغي سمعه لكل طالب حق، وفي

<sup>1</sup> سورة آل عمران، الآية: 104

<sup>2</sup> مفاتيح الغيب، 314/8 — 315

<sup>3</sup> سورة الشعراء، الآية: 214

<sup>4</sup> صحيح مسلم (ت: 261هـ)، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر، رقم: 1828، وصحيح ابن حبان، باب ذكر دعاء المصطفى صلى الله عليه وسلم لمن رفق بالمسلمين في أمورهم مع دعائه على من استعمل ضده فيهم، الحديث رقم: 553

الحديث: "من ولاه الله شيئاً من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم إلا احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة"<sup>1</sup>، ومن حق الراعي على رعيته النصيحة والنصرة والطاعة في المعروف؛ فإن الطاعة مقياس الأمم الراقية والشعوب الواعية، وقبل ذلك وبعده هي وصية القرآن الكريم، قال الله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَطِيعُوا أُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ} <sup>2</sup>، وفي الحديث الصحيح: "الدين النصيحة، قلنا: لمن؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"<sup>3</sup>، قال النووي: "النصيحة لأئمة المسلمين معاونتهم على الحق وطاعتهم فيه، وأمرهم به، وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم بما غفلوا عنه من حقوق المسلمين، وترك الخروج عليهم، وتألف قلوب المسلمين لطاعتهم، والصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات لهم، وألا يطرأوا بالثناء الكاذب، وأن يدعى لهم بالصلاح"<sup>4</sup>، فإن السلطان لا يقوى لوحده على مواجهة الفتن وتجاوز الحن، ما لم تقم الرعاية بمناصرته ومؤازرته، والوقوف معه ضد باطل معتد خرج عن السرب، فطاعته واجبة ما لم يأمر بمعصية، وقد جعل الله طاعته تابعة لطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولم يجعلها مستقلة، كما في سورة النساء، وفي الحديث: "اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله تعالى"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> سنن أبي داود (ت: 275)، باب فيما يلزم الإمام من أمر الرعية، الحديث رقم: 2949، ومسند أحمد (ت: 241)، حديث

رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، الحديث رقم: 15651

<sup>2</sup> سورة النساء، الآية: 59

<sup>3</sup> صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة، الحديث رقم: 55

<sup>4</sup> الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، للسيوطي (ت: 911هـ)، 1/76

<sup>5</sup> صحيح البخاري (ت: 256)، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، الحديث رقم: 7142

نظام الحكم الذي جاء به القرآن الكريم نظام لا مثيل له، فهو نظام إلهي فريد، "فهو النظام الإسلامي وكفى، النظام الذي غايته حفظ الدين وحراسته وسياسة أمور الأمة بحسب شريعة الله، وذلك ليصل بأبناء العروبة والإسلام، بل بالناس جميعا إلى خيري الدنيا والآخرة معا، ويقوم فيما يقوم عليه على الشورى والعدالة، وضمان الحرية والحقوق لكل من أبنائه ولغيرهم، ممن يقيمون بدار الإسلام، ويحرس المجتمع والأمة من الظلم والبغي والعدوان، ويكفل للجميع الحياة العزيزة الكريمة المجيدة"<sup>1</sup>، هكذا صان القرآن الكريم بمنهجه الفريد نظام الحكم من جهتي الراعي والرعية، دفعا للفتن، وصيانة للدماء والأنفس.

---

<sup>1</sup> نظام الحكم في الإسلام، لمحمد يوسف موسى (ت: 1383هـ)، ص: 170

# الفصل الرابع

— الفصل الرابع: العلاقات الدولية والتغيير في القرآن المجيد،

وفيه ثلاثة مباحث

— المبحث الأول: الكيان الدولي لأمة الإسلام في القرآن

المجيد

— المبحث الثاني: القرآن الكريم وأهل الكتاب

— المبحث الثالث: القرآن الكريم ومشركو العرب

## المبحث الأول: الكيان الدولي للأمة الإسلام في القرآن العبيد

أنزل الله على خاتم الأنبياء كتابه الفرقان ليكون رسالة إلى العالم أجمعين، ولم تكن هذه المهمة باليسيرة، فإنها مهمة التغيير الجذري، تغيير عالمي لأفكار وعقائد وعادات وتقاليد ونظام الحكم، قال الله تعالى: {فُلْ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً إِذْ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي ۚ وَيُمِيتُ ۚ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَتِهِ ۚ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ} <sup>1</sup>، فكانت وسائل هذا التغيير في فلسفة القرآن المجيد مختلفة ومتنوعة.

### المصطلب الأول: البعلاء علاقة سلام أم علاقة حرب؟

لم تكن رسالة القرآن الكريم دعوة إلى التبتل والرهينة في الصوامع والبيع، ولكنها رسالة تغيير على كل المستويات: عقيدة وفكرا وعبادة وسلوكا، واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا، لذلك كانت خطرا على المجتمعات في نظر جاحديها المناهضين لها، فلم يكن بد من الاصطدام بقوى الجحود التي سعت وتسعى بكل ما أوتيت من قوة، من أجل أن تحول بين الناس وبين هذا الدين الذي حمل للإنسانية التغيير الإيجابي.

منهج القرآن الكريم في التغيير منهج يقابل كل فترة بما يلائمها، ويواكب التطورات سلما وحربا، إلى أن يستقر الأمر ويكون الدين كله لله، كما أن دعاة التغيير — اقتداء بمنهج القرآن الكريم ومنهج حامل هذه الرسالة — مطالبون بالصفح والصبر على الإيذاء، وقد تطول هذه المدة، كما جسد ذلك تعامله صلى الله عليه وسلم في المرحلة

<sup>1</sup> سورة الأعراف، الآية: 158

المكية، لكن لما تمت الهجرة وصار للمسلمين قيادة ومجتمع فرض نفسه دولياً أذن الله لهم بقوله: {اذِنَ لِلَّذِينَ يُفْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ} <sup>(١٧)</sup> الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهُدِمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} <sup>(٢٨)</sup> الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ} <sup>١</sup>.

فالقوة الظالمة لا يسكتها إلا القوة، ولا يرد عدوانها إلا العتاد، مع ذلك لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاهد ويدعو إلى الجهاد إلا اضطراراً، فقد كان تقديم السلم شعار دعوته، {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاِجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} <sup>٢</sup>، ولا يلجأ إلى الجهاد إلا عند إصرارهم على قتاله، أو وقوفهم في طريق دعوته، وفي الحديث: "لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا ... " <sup>٣</sup>، فاقتضت حكمة الله أن تمضي سنة التدافع بين الحق والباطل، فلو ترك المفسدون وما هم عليه من خطط الإفساد في الأرض لهدمت المقدسات وأماكن العبادة، ولفشا الفساد من غير مكافحة، قال تعالى: {وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ

<sup>١</sup> سورة الحج، الآيات: ٣٧ — ٣٩

<sup>٢</sup> سورة الأنفال، الآية: ٦٢

<sup>٣</sup> صحيح البخاري (ت: ٢٥٦هـ)، كتاب الجهاد والسير، باب: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا لم يقاتل أول النهار أحر القتال حتى تزول الشمس، الحديث رقم: ٢٩٦٦، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب كراهة مخي لقاء العدو، والأمر بالصبر عند اللقاء، رقم الحديث: ١٧٤٢

لَهْدِمَتْ صَوَامِعَ وَبِيَعٍ وَصَلَوَاتٍ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ  
اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَفَوْيٌّ عَزِيزٌ<sup>1</sup>.

فلما تألبت قوى الكفر على النبي وأصحابه بالجزيرة العربية، وتبين أنهم لن يتراجعوا  
عن طغيانهم إلا بقوة تقارع قوتهم، أذن الله لهم في الدفاع عن عقيدتهم ووجودهم  
فقال: {وَفَتِيلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَفْتِيلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
الْمُعْتَدِينَ}<sup>2</sup>، وقال تعالى: {وَفَتِيلُوا الْمُشْرِكِينَ كَأَقَّةِ كَمَا يَفْتِيلُونَكُمْ كَأَقَّةٌ}<sup>3</sup>،  
وقال سبحانه: {فَتِيلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا  
حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا  
الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ}<sup>4</sup>، فاستقرت العلاقة مع غير المسلمين بعد نزول  
"براءة" على ثلاثة أنواع:

— النوع الأول: المحاربون

— النوع الثاني: المعاهدون

— النوع الثالث: أهل الذمة

وتفصيل القول في ذلك لابن قيم الجوزية حيث قال: "فاستقر أمر الكفار مع الرسول  
صلى الله عليه وسلم بعد نزول براءة على ثلاثة أقسام: محاربين له، وأهل عهد، وأهل  
ذمة، ثم آلت حال أهل العهد والصلح إلى الإسلام، فصاروا معه إلى قسمين: محاربين

<sup>1</sup> سورة الحج، الآية: 38

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية: 189

<sup>3</sup> سورة التوبة، الآية: 36

<sup>4</sup> سورة التوبة، الآية: 29

وأهل ذمة، والمحاربون له خائفون منه، فصار أهل الأرض معه ثلاثة أقسام: مسلم مؤمن به، ومسلم له آمن، وخائف محارب"<sup>1</sup>.

هكذا سلك القرآن الكريم مسلك التدرج في قضية الجهاد، مراعيًا الظروف المحيطة، ملبيًا للمجتمع حاجاته، ولم يكن الجهاد مشروعًا لأجل المغنم أو التوسع في ملذات الحياة، أو تحكما في رقاب الخلق، أو فرضًا للعقيدة الإسلامية عليهم، ولكن لرفع الظلم على العباد، وتمكينهم من حرياتهم، ليؤمن من آمن مقتنعا لا مكرها؛ إذ لا عبرة بإيمان المكره، والمضطر ليس له اقتناع، لأنه مسلوب الحرية والإرادة، قال تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}<sup>2</sup>، وقال سبحانه: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَسَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا} <sup>3</sup> أَبَانتْ تَكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ }<sup>3</sup>.

هذا وما دامت رسالة القرآن الكريم قد بلغها حاملها للبشرية محمد صلى الله عليه وسلم بالحكمة والموعظة الحسنة، فإن سلوك مسلك السلام والسلم في تبليغها هو الأصل الواجب اعتماده للأمة، وأن الحرب ضرورة تعرض وتلجئ إليها الظروف الاستثنائية، التي تجعل المسلمين في وضعية لا بديل لهم فيها عن الدفاع عن أنفسهم ودينهم، فأيات الجهاد توضح غاية الوضوح الأسباب التي من أجلها شرع الجهاد؛ من رفع الظلم عن المسلمين، وحماية الدعوة الإسلامية، وأن لا يفتن الناس في دينهم وعقيدتهم، ومعلوم أن قتل النساء والصبيان والشيوخ والعباد في الصوامع وكل من لم

<sup>1</sup> زاد المعاد في هدي خير العباد، 145/3

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية: 255

<sup>3</sup> سورة يونس، الآية: 99



يشارك في قتال المسلمين أمر منهي عنه، وأن المعنى بالقتال هو من حمل السلاح على المسلمين وحارب رسالة القرآن الكريم وصد الناس عنها. وبالجمله فإن العلاقة بين المسلمين وغيرهم، لا يمكن أن يحكم عليها بأنها علاقة حرب دائما، ولا أنها علاقة سلام على الدوام، بل هي علاقة تتجدد وتتغير حسب الظروف والأحوال.

## المصلب الثاني: المعاهدات الدولية في القرآن العظيم

يطبع العلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم في منهج القرآن الكريم طابع السلام باعتبار السلام الأصل بين أفراد الإنسانية على اختلاف دياناتهم ومعتقداتهم، هكذا عمل القرآن الكريم على ترسيخ مبدأ السلام في غاية من الوثوق من أن الفطر السليمة لن تستجيب إلا لهذا الدين، وأنها لن تلي إلا نداءه السلمي، لذلك فإن المفروض في العلاقات الدولية بين المسلمين وغيرهم، هو الحرية الاعتقادية، وترك الفطرة الإنسانية لتختار في دينها وعقيدتها ما ثبت لديها بالدليل العقلي والنقلي أنه الحق، فلتعش الأديان في جوار وحوار، وليعرض أصحاب كل دين فلسفتهم، وليحظ أرباب الديانات كلها بالسلام، مسلمون وغيرهم، ولا خوف على الدين الحق، لأنه دين عالمي، يحمل في مبادئه عناصر الخلود والصلاحية لكل زمان ومكان، فقد خط رسول الله صلى الله عليه وسلم الوثيقة التاريخية بالمدينة، التي تمثل معاهدة ينصهر بموجبها المجتمع بكل مكوناته المختلفة اعتقادا ودينا، والمتنوعة فكرا ورأيا، مادامت متفقة على مبدأ الدفاع عن الوطن، حيث لا فرق تجاه هذا الواجب بين مسلم ويهودي وغيرهما.

ومما جاء في الوثيقة: "لليهود دينهم وللمسلمين دينهم ... وإن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وإنه بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وإن بينهم النصح والنصيحة، والبر دون الإثم، وأن النصر للمظلوم، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأن من خرج أمن، ومن قعد أمن بالمدينة إلا من ظلم، وأن الله جار لمن بر واتقى"<sup>1</sup>، فاستطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل من سكان المدينة مجتمعاً موحداً رغم اختلاف مكوناته عقيده وملة، وديانة ونحلة.

كما جاء صلح الحديبية بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين قريش يجسد بوضوح مبدأ السلام القائم على العدل، فما إن خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رفقة أصحابه لزيارة بيت الله الحرام والطواف به، يسوق هديه بين يديه، وسلاح الصحابة في غمده، حتى سمعت قريش بخروجهم، فأقسموا وتعاهدوا أن يمنعوه من البيت، رغم ما في هذا المنع من هتك واضح للقانون الدولي السائد آنذاك؛ من عدم جواز منع أي قاصد للبيت كيفما كان شكله واعتقاده، فلم يختر صلى الله عليه وسلم الحرب، ولكن عسكر في الحديبية يرجو دخول مكة والطواف بالبيت من غير قتال، فأرسلت قريش تستوضح من أمره، فأجابهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "إنا لم نجئ لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين"<sup>2</sup>، فكان المنهج الذي أسس له القرآن الكريم تقديم السلم على الحرب، وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بتطبيق ذلك على أرض الواقع، لكن في حدود، وما لم تنتهك الحرمات، فإن تجاوز الخصم الحدود وتطاول لم يجد بداً من إبداء الوجه الآخر: مقارعة القوة بالقوة، من ذلك أنه لما أرسل رسول الله

<sup>1</sup> سيرة ابن هشام (ت: 218هـ)، 503/1

<sup>2</sup> صحيح البخاري (ت: 256هـ)، كتاب الجهاد والسير، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب، رقم الحديث: 2731

صلى الله عليه وسلم إليهم عثمان بن عفان يؤكد لهم أنهم ما جاءوا لقتال، وأنهم إنما جاءوا للاعتمار، فاحتبسوه وتأخر في رجوعه حتى شاع خبر مقتله، لم يكن منه صلى الله عليه وسلم إلا أن دعا الصحابة إلى البيعة على المنشط والمكره، فبايعوه، قال تعالى: {لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا} <sup>1</sup> فكأنه صلى الله عليه وسلم يفترض لو قتل عثمان بالفعل لم يكن له خيار آخر إلا مواجهة قاتليه، فما إن سمعوا بهذه البيعة حتى أطلقوا سراح عثمان، وأرسلوا على إثره سهيل بن عمرو لإبرام الصلح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتم الصلح، وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بنوده على ما فيها من إجحاف، فسمى القرآن هذا الصلح فتحا مبينا، قال الزهري: "لقد كان فتح الحديبية أعظم الفتوح، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم جاء إليها في ألف وأربعمائة، فلما وقع الصلح مشى الناس بعضهم إلى بعض، وعلموا وسمعوا عن الله، فما أراد أحد الإسلام إلا تمكن منه، فما مضت تلك السنتان إلا والمسلمون قد جاؤوا إلى مكة في عشرة آلاف" <sup>2</sup>.

هذا ملمح عن منهج القرآن المجيد في المعاهدات الدولية، وهو منهج يسعى لإسعاد البشرية جمعاء، واستغلالها بظله على اختلاف أديانهم وعقائدهم.

<sup>1</sup> سورة الفتح، الآية: 18

<sup>2</sup> دلائل النبوة، للبيهقي (ت: 458هـ)، 160/4

## المصلب الثالث: الوفاء في العلاقات الدولية في القرآن العبيد

رغم ما يقع بين البلدان من اختلافات عقدية ودينية، فإن القرآن الكريم لم يمنع من التعامل معهم، بل أوجب لهم الوفاء بما يبرم معهم من عهود من قبل المسلمين، فقال تعالى: {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ}<sup>1</sup>، وقال تعالى: {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا}<sup>2</sup>، فبين القرآن الكريم أن الوفاء بالعهود من شيم ذوي العقول الراجحة، مرغبا في الوفاء، محذرا من نقض العهد ومن مغبة الغدر، فقال تعالى: {إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ ۚ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْفُضُونَ الْمِيثَاقَ}<sup>3</sup>.

فما دام العدو مستقيما للمسلمين على عهدهم فلا حق لهم في نقضه معهم بحال، {بِمَا اسْتَفْتَمُوا لَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوا لَهُمْ}<sup>4</sup>، لكن لو بدت منهم الخيانة ونكثوا العهد لم يعد للعهد معهم معنى، قال تعالى: {وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ۚ أَلَا تَفْقَهُونَ فَوَمَا نَكَثُوا أَيْمَنَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ بِاللَّهِ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}<sup>5</sup>، فلو آنسوا منهم الخيانة، وتوقعوا منهم الغدر جاز لهم نبذ العهد إليهم، وإعلامهم بمعاملتهم بالمثل، قال

<sup>1</sup> سورة النحل، الآية: 91

<sup>2</sup> سورة الإسراء، الآية: 34

<sup>3</sup> سورة الرعد، الآية: 21 — 22

<sup>4</sup> سورة التوبة، الآية: 7

<sup>5</sup> سورة التوبة، الآية: 12 — 13

تعالى: {وَأَمَّا تَخَابَسَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ  
الْخَائِبِينَ} <sup>1</sup>، وهذا تعامل حضاري في المعاملات الدولية، لم تستطع أمة مهما  
تقدمت وتطورت أن تأتي بمثله، ولا توجد شريعة تحترم المعاهدات عموماً، والمعاهدات  
الدولية على الخصوص مثل ما تحترمها الشريعة الإسلامية، إنما العدالة الاجتماعية،  
والإنصاف للآخر يعرضها القرآن الكريم في علاقة المسلمين بغيرهم.

## المبحث الثاني: القرآن الكريم وأهل الكتاب

دعا القرآن الكريم أهل الكتاب إلى الإسلام، فقامت هذه الدعوة على البراهين  
والحجج، وخاطب فيهم القرآن الوجدان والعقل معاً، فكانوا جديرين بقبول هذه  
الدعوة وتأييدها قبل غيرهم، لكن سرعان ما وجدت منهم مقاومة عنيفة باللسان  
والكيد وإعلان الحرب، وإن كان الوضع يختلف بالنسبة لليهود من جهة، والنصارى  
من جهة ثانية، ولكل قوم طبيعتهم ونظرتهم إلى رسالة النبي الخاتم: رسالة التغيير: القرآن  
الكريم الذي عاملهم حسب ما تقتضيه طبيعة كل فئة منهم.

## المصلب الأول: منهج القرآن الكريم مع أهل الكتاب

طال الأمد بالبشرية، وبسط عليها ظلام الكفر والجهل أرديتهما، فتاهت باليهود  
والنصارى السبل، فحرفوا ما أنزل إليهم من ربهم، وأضاعوا تعاليم الوحي، فمرغ  
الإنسان جبهته أمام حجر لا يملك له نفعاً، ولا يدفع عنه ضراً.

فبينما الإنسانية في هذه المحنة على كل المستويات، إذ أضاء السراج المنير، والمصباح  
المضيء، المتمثل في كتاب التغيير الذي جاء به النبي الخاتم، فانطلق صلى الله عليه وسلم

<sup>1</sup> سورة الأنفال، الآية: 59

بهذا الكتاب في عملية التغيير، واثقا بأن ما جاء به سيبليغ ما بلغ الليل والنهار، فرحب بهذا النور من شرح الله صدورهم للإيمان به، وأخذوا في النمو والزيادة يوما بعد يوم، فكان لا بد لهم أن يتعرفوا على غيرهم، وأن يتعاملوا مع من كفر بما آمنوا به؛ ممن يجمعهم بهم أصل الانتماء إلى الوحي: (أهل الكتاب) حيث أخبر القرآن الكريم أن {التَّوْرِيَّةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ} <sup>1</sup>، وأن نبي الله عيسى عليه السلام جاء {مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرِيَّةِ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرِيَّةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ} <sup>2</sup>، وأن بني إسرائيل فضلهم الله على العالمين، وجعلهم هداة بأمر ربهم، وأثنى عليهم لصبرهم وبقينهم، قال الله تعالى: {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِعَايَتِنَا يُؤْمِنُونَ} <sup>3</sup>، بيد أنهم ما لبثوا أن نقضوا الميثاق وخانوا العهد، فحرفوا وبدلوا، وكانت النتيجة أن لعنوا على لسان أنبيائهم، وسلط عليهم من يسومهم سوء العذاب، قال تعالى: {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ} <sup>4</sup>، وقال سبحانه: {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفِيلَةِ مَنْ يَّسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ} <sup>5</sup>، فكان تاريخهم في البداية مشرقا، ثم تحول

<sup>1</sup> سورة المائدة، الآية: 46

<sup>2</sup> سورة المائدة، الآية: 48

<sup>3</sup> سورة السجدة، الآية: 24

<sup>4</sup> سورة المائدة، الآية: 80

<sup>5</sup> سورة الأعراف، الآية: 167

بسبب صنيعهم الشنيع إلى ظلام دامس قرونا وأجيالا، إلى أن جاءهم محمد صلى الله عليه وسلم بهذا الكتاب {يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَجْلِلُ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ} <sup>1</sup>، فدعاهم إلى التغيير بأسلوب في غاية من التلطف والرفق والإنصاف، فذكرهم بالجانب المضيء في تاريخهم، يوم كانوا هداة مصلحين، كما ذكرهم بالصفحة الكالحة في تاريخهم يوم انحرفوا عن الحق وطمسوا الحقيقة ومعالمها، فدعاهم إلى التغيير بالعودة إلى الصفحة المضيئة، وحذرهم من الاستمرار والتمادي في الانحراف بطمس الحقائق، والإعراض عن سواء السبيل، فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، الموصوف عندهم في التوراة والإنجيل بما جاءهم به في القرآن الكريم، روى البخاري في صحيحه عن عطاء بن يسار: "لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة، قال: أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: يأيها النبيء إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأمين، أنت عدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو، ولن يقبضه الله تعالى حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله ويفتح بها أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا، قال عطاء: ثم لقيت كعبا فسألته عن ذلك، فما اختلفا حرفا" <sup>2</sup>، والنصارى يجدون عيسى عليه السلام يناديهم: {يَلْبَنِي إِسْرَآءِيلَ إِنَّنِي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ

<sup>1</sup> سورة الأعراف، الآية: 157

<sup>2</sup> صحيح البخاري (ت: 256هـ)، كتاب البيوع، باب كراهية السخب في السوق الحديث رقم: 2125

مِنَ التَّوْرِيَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي إِسْمُهُ { أَحْمَدٌ }<sup>1</sup>، فلم يأت القرآن الكريم لينسف ما في التوراة أو لهدم ما في الإنجيل، ولكن جاء لكشف النقاب عما أصاب بني إسرائيل من التيه عن الطريق الموصلة، وما اعتري كتبهم؛ من تبديل أو تحريف حتى فقدت المغزى الذي من أجله أنزلت، وهو توحيد الله وتزويده عن مشابهة الخلق، قال الله تعالى: { قُلْ يَتَاهُلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا بِشَهَادَاتِنَا مُسْلِمُونَ }<sup>2</sup>.

ويناقش القرآن الكريم بني إسرائيل في حقيقة خليل الله إبراهيم عليه السلام ونبوته، ونبوة من جاء بعده من أنبياء الله ورسله، وأنهم على دين الإسلام، ولم يكونوا يهودا ولا نصارى خلافا لزعيمهم، قال الله تعالى: { أَمْ يَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ أَغْلَمُ أَمْ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ }<sup>3</sup>.

أما صرف العبادة لغير الله، وادعاء الألوهية للأنبياء فلم يقل بها نبي ولا رسول، ولم يتزل بها كتاب، بل ذاك عين الكفر المنافي للإسلام، والشرك المنافي للتوحيد، فهل في كتاب سماوي أن عزيرا ابن الله؟ أو أن عيسى ابن الله؟ أو أنه ثالث ثلاثة؟

<sup>1</sup> سورة الصف، الآية: 6

<sup>2</sup> سورة آل عمران، الآية: 64

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية: 139



{مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُثِّمَهُ، صِدِّيقَةٌ كَانَا يَاكُلِينَ الطَّعَامَ} <sup>1</sup>.

منهج القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب منهج هادئ، يعتمد مخاطبة الوجدان وإقناع العقل، يطالبهم بالعودة إلى الحق، ويدعو المسلمين إلى مجادلتهم بالتي هي أحسن، {وَلَا تُجَادِلُوهُمْ أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالتِّي هِيَ أَحْسَنُ} <sup>2</sup>، أكرم بالإسلام من دين شامل يدعو إلى الإيمان بكل الكتب وبجميع الأنبياء والرسل، لا يفرق بين أحد من رسل الله، وما جاءوا به من الكتب كلها حق، تهدي الخلق وتنير لهم الطريق.

### المصلب الثاني: موقف اليهود من القرآن باعتباره كتاب تغيير

اصطدمت اليهود بالإسلام في وقت مبكر بسبب تواجدهم في المدينة المنورة، وكان من المفروض بحكم جوارهم للمسلمين أن يبادروا إلى الدخول إلى الإسلام وحمل رايته والذود عنه، ليكونوا مع محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه قوة متحدة، وهم الذين كانوا يستفتحون على غيرهم بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم، {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا} <sup>3</sup>، وقد عقد معهم — كما سبق — معاهدة دفاع وأمن لأنفسهم وأموالهم، لكن اعتقادهم أنهم شعب الله المختار، وأن الرسالة لا ينبغي أن تكون إلا فيهم، حال بينهم وبين الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وفي سيرة ابن هشام:

<sup>1</sup> سورة المائدة، الآية: 77

<sup>2</sup> سورة العنكبوت، الآية: 46

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية: 88

"عن ابن عباس أن اليهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله صلى الله عليه وسلم قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب كفروا به وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فقال لهم معاذ بن جبل وبشر بن البراء بن معرور أخو بني سلمة: يا معشر يهود، اتقوا الله وأسلموا، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك، وتخبروننا أنه مبعوث، وتصفونه لنا بصفته، فقال سلام بن مشكم أحد بني النضير: ما جاءنا بشيء نعرفه، وما هو بالذي كنا نذكره لكم، فأنزل الله في ذلك: {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ} <sup>1</sup>، ومن طبيعة اليهود أنهم ضعاف لا يطيقون المواجهة في المعارك إلا أن يتذرعوا بغيرهم، فلعل ما لاقوه من الاضطهاد الروماني وإجلالهم في أنحاء الأرض، هو الذي كون لديهم هذا النقص والجن، فلم تجدهم إلا ملتجئين للتدمير أو الواقعة أو محاولة تفريق الصف، فقد تظاهروا بمسألة النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لما رأوا من استقبال الأنصار له، وحبهم له وتعلقهم بدعوته، لكنهم ما برحت قلوبهم منطوية على إضمار الكيد له، قالت أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب: "لم يكن أحد من ولد أبي وعمي أحب إليهما مني، ولم ألقهما في ولدهما ولم أهش إليهما إلا أخذاً في دونه، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم قباء: قرية بني عمرو بن عوف، غدا إليه أبي وعمي أبو ياسر بن أخطب مغلسين، فوالله ما جاءنا إلا مع مغيب الشمس، فجاءنا فاترين كسلانين ساقطين، يمشيان الهويني، فهششت إليهما كما كنت أصنع، فوالله ما التفت إلي واحد

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية: 88

<sup>2</sup> سيرة ابن هشام (ت: 218هـ)، 519/1

منهما، فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي: أهو هو؟ قال: نعم والله، قال: تعرفه بنعته وصفته؟ قال: نعم والله، قال: فماذا في نفسك منه؟ قال: عداوته والله ما بقيت"<sup>1</sup>.

فستر اليهود عداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم مدة يسيرة طامعين أن ينضم إلى صفهم، فجاملوه، وكان في اتحاد الوجهة ووحدة المعبود بعض اتحاد للفكرة، فذكر القرآن الكريم من تاريخهم ما يشرفهم وينصفهم، {لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَابِئَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٢﴾ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٣﴾ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن نَّكْفُرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ }<sup>2</sup>، كما احتج القرآن الكريم بعلمائهم على صحة ما جاء فيه، قال الله تعالى: {أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَن يَّعْلَمَهُ غُلَامًا نَّبِيًّا إِسْرَءِيلَ }<sup>3</sup>، وقال تعالى: {فَلْ كَتَبْنَاهُ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ }<sup>4</sup>، فكانت علاقة المسلمين بهم علاقة مسالمة، فأحل الله للمسلمين طعامهم ونكاح بناتهم،

{الْيَوْمَ أَحْلَلْ لَكُمْ الطَّيِّبَاتِ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْلِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ

<sup>1</sup> سيرة ابن هشام، 519/1

<sup>2</sup> سورة آل عمران، الآية: 113 — 115

<sup>3</sup> سورة الشعراء، الآية: 197

<sup>4</sup> سورة الرعد، الآية: 44

{<sup>1</sup>، فعاملهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بجميل الخلق، وحسن الأدب، وكرم العفو وغيرها من الأخلاق التي من شأنها أن تستل من القلوب بغضها وحقدتها، لكنهم لما رأوا رقعة دعوته تتسع، ويئسوا من الاستئثار به، واجتذابه إلى صفهم، وأنه ليس من بني إسرائيل بحال، وأنه رسول الله إلى الناس أجمعين، بدؤوا في التشكيك في رسالته، وأخذوا يكيّدون قصد تفريق صف المسلمين، فتحالفوا مع معسكر الشرك للقضاء على دعوة محمد صلى الله عليه وسلم، {وَفَالَتْ طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامَنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاصْكُفُّوا ءَاخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ}<sup>2</sup>، وفي تفسير القرطبي: "أن اليهود قال بعضهم لبعض: أظهروا الإيمان بمحمد في أول النهار، ثم اكفروا به آخره، فإنكم إن فعلتم ذلك ظهر لمن يتبعه ارتياب في دينه، فيرجعون عن دينه إلى دينكم، ويقولون: إن أهل الكتاب أعلم به منا"<sup>3</sup>، وهم الذين أشاروا على كفار قريش أن يخبروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بسؤاله عن أصحاب الكهف وذوي القرنين وعن الروح<sup>4</sup>، لكنهم لم يزدتهم معرفتهم بصدق نبوته إلا حقدا وبغضا، فلم يقف كيدهم عند حدود الإساءة لمحمد وأتباعه، بل تجاوزوه إلى الذات الإلهية، فقد ذهب أبو بكر رضي الله عنه إلى يهود بني قينقاع حاملا رسالة الرسول، وفيها دعوتهم إلى الإسلام وإقام الصلاة، وأن يقرضوا الله قرضا حسنا، فرد فنحاص: (حبر من أحبار اليهود) بقوله: والله يا أبا بكر ما بنا إلى الله من فقر، وإنه إلينا لفقير، وما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا عنه أغنياء، وما هو عنا بغني، ولو كان غنيا ما استقرضنا أموالنا

<sup>1</sup> سورة المائدة، الآية: 6

<sup>2</sup> سورة آل عمران، الآية: 71

<sup>3</sup> تفسير القرطبي (ت: 671هـ)، 169/5

<sup>4</sup> ينظر صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: {وما أوتيتم من العلم إلا قليلا}، الحديث رقم: 125

كما يزعم صاحبكم، ينهاكم عن الربا ويعطينا، ولو كان غنيا ما أعطانا، فغضب أبو بكر وضرب وجه فنحاص ضربا شديدا وقال: والذي نفسي بيده لولا العهد الذي بيننا وبينكم لضربت رأسك يا عدو الله، وشكا فنحاص أمره إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأنكر ما قاله لأبي بكر في الله، فترل قوله تعالى: {لَفَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ بَفِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوفُوا عَذَابَ الْحَرِيِّ} <sup>1</sup>، <sup>2</sup> ما إن تفشل لهم خطة حتى يخططوا لغيرها، فقد حاولوا أن يفتنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه، ففي تفسير القرطبي: "اجتمع قوم من الأبحار منهم ابن صوريا وكعب بن أسد وابن صلوبا وشاس بن عدي، وقالوا: اذهبوا بنا إلى محمد فلعلنا نفتنه عن دينه، فإنما هو بشر، فأتوه فقالوا: قد عرفت يا محمد أنا أبحار اليهود، وإن اتبعناك لم يخالفنا أحد من اليهود، وإن بيننا وبين قوم خصومة فنحاكمهم إليك، فاقض لنا عليهم حتى نؤمن بك، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونزلت هذه الآية: {وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاغْلَمَ أَنْمًا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٥١﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوفُونَ} <sup>3</sup>، فلما نزل القرآن الكريم في تحويل القبلة ثارت ثائرتهم واتخذوها فرصة لتضليل الرأي العام، فأجابهم

<sup>1</sup> سورة آل عمران، الآية: 181

<sup>2</sup> ينظر زاد المسير في علم التفسير، 354/1

<sup>3</sup> سورة المائدة، الآية: 51 — 52

<sup>4</sup> تفسير القرطبي (ت: 671هـ)، 41/8

القرآن الكريم: {سَيَقُولُ السُّبُهَاءُ مَنِ النَّاسِ مَا وَلَّيَهُمْ عَنِ فِئَلَتِهِمْ أَلْتِي كَانُوا عَلَيْهَا فَلِإِلَهِ إِمَّشْرِقُ وَإِمَّغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} <sup>1</sup>.

ولما انتصر المسلمون في غزوة بدر، كان من المتوقع أن يفرح اليهود بذلك لأنهم أهل كتاب، كما سبق أن فرح المسلمون بانتصار الروم على الفرس، لكن اليهود قابلوا انتصار المسلمين بالحزن العميق، حتى قال كعب بن أشرف: "هؤلاء أشرف العرب، وملوك الناس، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها، وذهب إلى مكة يحرض على محمد وينشد الأشعار، ويكي أصحاب القلب" <sup>2</sup>، فلقي جزاءه على فعله الشنيع ذلك، ولقي اليهود عامة جزاء نقضهم العهد وغدرهم، فحوصروا من قبل المسلمين خمسة عشر يوما، حتى اضطروا إلى مغادرة المدينة إلى وادي القرى، ثم إلى حدود الشام (أدرعات) فأقاموا بها.

ولم يأل جهدا في كل وقت بحثا عن وسيلة للقضاء على دين محمد، فانطلق بعض كبرائهم مثل حيي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق وكنانة بن أبي الحقيق وغيرهم لتأليب من يمكن تأليبهم على محمد وأصحابه، وكذبوا مدعين أن ما عليه المشركون أفضل مما عليه محمد، بل سجدوا للأصنام ليرضى عليهم المشركون ويأمنوا مكرهم <sup>3</sup>، فترل فيهم قول الله تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا سَبِيلًا} <sup>4</sup> أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية: 141

<sup>2</sup> سيرة ابن هشام (ت: 218هـ)، 26/2

<sup>3</sup> ينظر تفسير أبي السعود (ت: 982هـ)، 189/2

نَصِيرًا<sup>1</sup>، وقد استطاعوا جمع حشود من قبائل العرب؛ من غطفان وبنو مرة، وبنو فزارة، وأشجع وسليم، وبنو سعد وأسد وغيرهم، فكان عددهم يزيد على عشرة آلاف مقاتل، فحفر المسلمون الخندق فحالوا به بينهم وبين غزو المدينة، وهي غزوة الأحزاب أو غزوة الخندق، ثم جاء بعدها محاصرة بني قريظة حتى رضوا بحكم حليفهم سعد بن معاذ، فأنزل الله في حكمه عليهم:

{وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيفًا تَفْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيفًا ﴿٦٦﴾ وَأَوْرَثَكُمُ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا }<sup>2</sup>، كما كانت خير آخر معقل لليهود حيث تحصنوا بحصونهم فيها، واستماتوا وأصر المسلمون على فتحها حتى سقطت حصونهم عن آخرها، فصالحوا محمدا صلى الله عليه وسلم على أن يبقوا في أراضيهم ويكون لهم نصف ثمارها<sup>3</sup>.

فاليهود أخطر عدو للإسلام والمسلمين، ولا تزيدهم الأيام إلا شدة وضراوة، وما هدمهم للمقدسات واعتداؤهم على مهبط الرسالات إلا مظهر من مظاهر عدوانهم المستمر.

ولا يمكن للإنسانية أن تعيش في رخاء وأمن وسلام، ما لم تأخذ بمنهج القرآن الكريم في حياتها الخاصة والعامة.

<sup>1</sup> سورة النساء، الآية: 50 — 51

<sup>2</sup> سورة الأحزاب، الآية: 26 — 27

<sup>3</sup> سيرة ابن هشام (ت: 218هـ)، 413/1

## المصلب الثالث: موقف النصارى من القرآن باعتباره كتاب تغيير

كيف استقبل النصارى دعوة القرآن الكريم؟ وهل اصطدم الإسلام بالنصارى ومقاومتهم له منذ البداية كما كان الشأن بالنسبة لليهود؟

أعتقد أن للجوار أو البعد أثرا مباشرا على مقاومة دعوة الرسالة الجديدة أو عدم مقاومتها إلى حين آخر، فلا غرو أن المسيحية قبيل البعثة كانت "منتشرة في الجنوب عن طريق الحبشة، وفي الشمال عن طريق سورية وشبه جزيرة سيناء، الآهلة بالأديرة والصوامع"<sup>1</sup>، بينما اليهودية كانت منتشرة ب "الحجاز ونواحيها: خير والمدينة بين قبائل قريظة والنضير ذات الشوكة المتأصلة هناك من زمن مديد ..."<sup>2</sup>، ففي الوقت الذي كانت اليهود تمثل قوة اقتصادية واجتماعية وسياسية في المدينة المنورة، لم يكن من النصارى بمكة ولا بالمدينة إلا أفراد معدودة لا تكاد تذكر، فهذه الظروف لعلها ساهمت بشكل أو بآخر في تأخير اصطدام الإسلام بالنصارى، غير أنه بمجرد استقرار النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وتثبيت أركان نظام الإسلام بها، وشروعه في دعوة ملوك الأرض إلى الإسلام وجدوا في ذلك ما يهدد عقيدتهم وفكرهم؛ من عقيدة التثليث وزعمهم ألوهية عيسى عليه السلام، فأجمعوا أمرهم لمحاربتة والقضاء عليه، فكانت غزوة تبوك، التي انسحب فيها جيش الروم خوفا من قوة المسلمين، ومنها إلى غزوة اليرموك وفتح الشام وما وراءها.

<sup>1</sup> تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، لحسن إبراهيم، 63/1

<sup>2</sup> خلاصة تاريخ العرب، لسيديو بتصرف، ص: 40، و( لويس سيديو) هذا مستشرق فرنسي، مؤلف كتاب: HISTOIRE DES AR ABES) كتبه بالفرنسية ثم ترجم إلى العربية مهذبا تحت إشراف: علي مبارك باشا، وسماه: "خلاصة تاريخ العرب" م ترجمه كاملا عادل زعيتير، وسماه: "تاريخ العرب العام". ومن أعمال (سيديو): نشره لكتاب: "جامع المبادئ والغايات في الآلات الفلكية" لأبي الحسن علي المراكشي، مع ترجمته إلى الفرنسية. ينظر: "الإعلام" للزركلي، 246/5.



وما الحروب الصليبية<sup>1</sup> التي تواصلت نيرانها، وحملات التنصير إلى اليوم إلا أدلة واضحة، وبراهين ساطعة على حقد النصارى وكراهيتهم للإسلام والمسلمين، نتيجة التعصب الأعمى، وجهلهم بما جاء به القرآن الكريم؛ من تكريم لعيسى عليه السلام، ورفع لمقام مريم، وصيانة لجناب النبوة، من لدن آدم إلى محمد صلى الله عليه وسلم، فلو أعطوا الفرصة لعقولهم، وتأملوا قليلا ما جاء به القرآن الكريم في موضوع نبوة عيسى عليه السلام، لكانوا أسرع الناس إلى اعتناق دين الإسلام، فقد كان النصارى يجادلون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويجادلهم، فكان منهم من يعلن إسلامه مقتنعا بما جاء به القرآن الكريم، وفي كتب السير أنه "قدم على النبي صلى الله عليه وسلم عشرون رجلا وهو بمكة، أو قريب من ذلك من النصارى، حين ظهر خبره من الحبشة، فوجدوه في المسجد فكلموه وسألوه — ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة — فلما فرغوا من مساءلتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عما أرادوا، دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الله عز وجل، وتلا عليهم القرآن، فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع، ثم استجابوا له، وآمنوا به وصدقوه، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره، فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش، فقالوا: خبيكم الله من ركب، بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم فتأتونهم بخبر الرجل، فلم تطل مجالستكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم، ما نعلم ركبا أحق منكم، فقالوا: سلام عليكم لا نبأه لكم، لنا ما نحن عليه ولكم ما أنتم عليه، لا نألو أنفسنا خيرا، فيقال: إنهم نفر النصارى من أهل نجران، ويقال: فيهم نزلت: {الَّذِينَ ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ} وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا

<sup>1</sup> ينظر تاريخ الحروب الصليبية، لعلي سعود عطية، ص: 17 وما بعدها

ءَامَنَّا بِهِ ؕ إِنَّهُ الْحَقُّ مِمَّن رَّبَّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٢﴾ اذْكُرْكَ يَوتُونَ  
 أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٥٣﴾  
 وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ  
 عَلَيْكُمْ لَا تَبْتَغِ الْجَاهِلِينَ {<sup>1</sup>،<sup>2</sup>.

ومنهم من يقتنع بالحق الذي جاء به القرآن الكريم، لكنه يبقى مستمرا على ما هو  
 عليه من الباطل، فمن هذا الصنف: الذين دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى المباهلة  
 فأبوا وخافوا من غضب الله ومقته، قال تعالى:

{فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا  
 وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ  
 عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ  
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥٥﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ }<sup>3</sup>، وفي تفسير  
 الكشاف: "أنهم لما دعاهم إلى المباهلة قالو: حتى نرجع وننظر، فلما تخالوا قالوا للعاقب  
 ——— وكان ذا رأي فيهم ——— : يا عبد المسيح ما ترى؟ فقال: والله لقد عرفتم يا  
 معشر النصارى أن محمدا نبي مرسل، ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم، والله ما  
 باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم، ولا نبت غيرهم ... فأتوا رسول الله صلى الله عليه

<sup>1</sup> سورة القصص، الآية: 52 — 55

<sup>2</sup> ينظر عيون الأثر، لابن سيد الناس (ت: 734هـ)، 150/1

<sup>3</sup> سورة آل عمران، الآيات: 60 — 62

وسلم ... وقالوا: يا أبا القاسم، رأينا أن لا نباهلك، وأن نفرك على دينك، ونثبت على ديننا"<sup>1</sup>.

ومنهم طائفة استجابت للحق وآمنت برسالة محمد، وفاضت أعينهم من الدمع مما عرفوا من الحق، فأتى عليهم، وخلد ذكرهم في الصالحين بذلك إلى قيام الساعة، قال تعالى: {وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا بِأَمْرِكَ فَاصْكُتْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٥﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ فَأَثَبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ }<sup>2</sup>.

هكذا فالتاريخ أصدق شاهد بعد كتاب الله على صنفى النصارى، صنف آمنوا بما جاء به القرآن الكريم وأثر فيهم، {فَأَثَبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا}<sup>3</sup>، وصنف كفروا وجحدوا بما استيقنته أنفسهم فلم تلق منهم الدعوة الإسلامية منذ بدايتها إلا الجحود ومحاولة استئصالها.

وفي المقابل الإكرام والمعايشة والإحسان من طرف المسلمين، إن الإسلام يسع الجميع، وشريعته هي الوحيدة الضامنة لحقوق الناس جميعا، من آمنوا به ومن كفروا، فالإسلام لا يصادر الأديان الأخرى ولا يقصيها، فهو يقبل في يسر أن تعيش معه شرائع أخرى، وأن يعيش أتباعه وأتباعها في سلام.

<sup>1</sup> تفسير الكشاف، 369/1

<sup>2</sup> سورة المائدة، الآية: 85 — 87

<sup>3</sup> سورة المائدة، الآية: 87

## المصلب الرابع: حقوق أهل الكتاب وواجباتهم في ظل الإسلام

لم يمنع الكيد الذي عومل به الإسلام من قبل اليهود والنصارى من ضمان حقوقهم في ظل الإسلام، فمنذ بداية الدعوة الإسلامية واليهود في محاربتها، ليلتحق النصارى بداية من غزوة تبوك ثم اليرموك مروراً بالحروب الصليبية، ومحاولة تنصير أبناء المسلمين والقضاء على الإسلام، كل هذا يقابله الإسلام بالمنهج الذي سطره القرآن الكريم؛ من إقرار الحق لذويه مسلمين كانوا أو غيرهم، وإقامة نظام عادل يضمن الحقوق، ويحمي القيم والمبادئ والحريات، ويعمل على إسعاد الإنسانية.

إن منهج القرآن الكريم في بناء وتنظيم علاقة المسلمين بغيرهم ممن يعيشون معهم في ظل الإسلام يقتضي أن يسري عليهم ما يسري على المسلمين، فهم إذا سموا بأهل الذمة فهم بالقوة وبالفعل في ذمة المسلمين، وقد فرض لهم القرآن الكريم من الحقوق ما لا يقدر عليه أي نظام، بل عايشهم المسلمون وعاملوهم حتى صاروا شركاء في بناء المجتمع الإسلامي اقتصادياً واجتماعياً، فقد ضمن لهم القرآن الكريم بمنهاجه الواضح الأمان والاستقرار مقابل ما يؤدونه من الجزية، وقد حل محلها اليوم غيرها، ويتمتعون بكثير من الحقوق التي لا فرق فيها بينهم وبين المسلمين، إلا فيما يخصهم عقيدة أو عبادة أو غير ذلك مما يخص الذمي دون المسلم، أو ما له علاقة بنظام الدولة وسياستها، فهو من حق المسلمين، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما "أن رجلاً من المسلمين قتل رجلاً من أهل الذمة، فرفع ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنا أكرم

من وفي بذمته ثم أمر به فقتل"<sup>1</sup>، وقتل المسلم بالذمي: مذهب أبي حنيفة وأصحابه والشعبي والنخعي، وخالف في ذلك الجمهور.<sup>2</sup>

ولا فرق بين المسلمين وأهل الذمة في الجنايات إلا في الخمر وأموالهم الشخصية، كالزواج والميراث والأحوال الخاصة، فقد ترك القرآن تنظيمها لهم، وقد "كتب الخليفة عمر بن عبد العزيز إلى الإمام الحسن البصري مستفتيا: ما بال الخلفاء الراشدين تركوا أهل الذمة وما هم عليه من نكاح المحارم واقتناء الخمر والخنازير؟ فأجابه الحسن: إنما بذلوا الجزية لتركوا وما يعتقدون"<sup>3</sup>. فكان ما يصطلح عليه اليوم بـ"اعتبار الأقلية" حاضرا بقوة في المنهج المستمد من القرآن الكريم.

### المبحث الثالث: القرآن الكريم ومشركو العرب

يمكن القول إن أرضا تشتمل على أول بيت وضع للناس جديرة بالتوحيد، وأهلها أحق من غيرهم بمناصرة التوحيد والاستجابة لدعائه: الرسل، محل دعاء إبراهيم عليه السلام ومستودع أسرته: هاجر وابنها إسماعيل الذي سيكون عوناً لأبيه عليهما السلام في رفع قواعد البيت، وقد كان محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم حاضرا في دعاء إبراهيم؛ إذ كان همه أن يوحد الله فيها وأن تقام فيها الصلاة

<sup>1</sup> سنن الدارقطني (ت385هـ)، كتاب الحدود والديات وغيره، رقم الحديث: 3259. والسنن الكبرى للبيهقي (ت:458هـ)،

كتاب الجراح، باب بيان ضعف الخير الذي روي في قتل المؤمن بالكافر، وما جاء عن الصحابة في ذلك، رقم الحديث: 15917

<sup>2</sup> ينظر نيل الأوطار، للشوكاني (ت1250هـ)، 12/7 وما بعدها

<sup>3</sup> حقوق أهل الذمة، لأبي الأعلى المودودي (ت1399هـ)، ص: 20 — 21

{ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ }<sup>1</sup>، فكانت بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم جانبا من إجابة الله دعوة الخليل إبراهيم عليه السلام.

## المصلب الأول: مشركو العرب والإسلام في القرآن العجيب

كان من المفروض في من سكنوا بجوار البيت العتيق، أن يكونوا أبعد الناس عن تفاهة الشرك والانحراف العقدي، وفكرة اتخاذ الأصنام التي تتنافى مع المزايا الإنسانية، وتقتل المواهب البشرية، لكن سرعان ما اتخذت كل قبيلة صنما تتقرب إليه، ترجوا خيره وتخشى ضرره، فتمرغت الجباه وسجدت وطافت لغير الله وخشعت، فلم توفق الديانتان: اليهودية والنصرانية لإدماج سكان الجزيرة العربية في سلك اليهودية والنصرانية إلا في أماكن محدودة، وبقيت فكرة الأصنام هي الدين المهيمن في الجزيرة العربية، تقدم لها القرابين، ويتوجه إليها بطلب الحاجات، ويستقسم عندها بالأزلام، مع وجود أصل الاعتقاد بوجود الله عندهم، {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} <sup>2</sup>، "وفي هذا الجو الملبد بالشرك، وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يرد الناس إلى التوحيد الخالص، ويدعوهم إلى دين الله الواحد، فهل فرط المشركون في مواريث الجاهلية واستجابوا لرسول انتظروه؟

<sup>1</sup> سورة البقرة، الآية: 128

<sup>2</sup> سورة الزمر، الآية: 3

{وَأَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنَ إِحْدَى الْأُمَمِ} <sup>1</sup>، فقد بلغ قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم، فقالوا: لعن الله اليهود والنصارى أتتهم الرسل فكذبوهم، فوالله لئن أتانا رسول لنكونن أهدى من إحدى الأمم: اليهود والنصارى وغيرهم <sup>2</sup>، فهل وفوا واستجابوا لدعوة محمد؟ وهل خلوا بينه وبين الناس ليختار هذا الدين من شاء كيف شاء؟ لم يفعلوا لأنهم وجدوا في التغيير الذي جاءت به رسالة محمد صلى الله عليه وسلم خطرا يهدد معتقداتهم، ويعمل على هدم موروثهم الشركي، كما تعتبر رسالة القرآن الكريم ثورة على التخلف الفكري والحيف الاجتماعي والفساد الاقتصادي، وكان من المفروض أن يترك شأنه من اختار واعتنق الدين الجديد، مادام ذلك مقتصرًا على أمره الشخصي، فقد كان البعض منهم قبل الإسلام يتحنف، ويتخلى عن الشرك ويبحث عن الحق، ربما تنصروا، وبقي البعض منهم حائرا حتى شمله نور الرسالة الخاتمة، ولم يكن هؤلاء المتحنفون يتعرضون للمضايقة، ولم يصبهم عباد الأصنام بسوء، ولم يلحقهم منهم أذى، لكن رسالة التغيير: القرآن الكريم على عكس ذلك، أرادوها عليها حربا، فلم تغن معهم الحجج العقلية، ولا البراهين المنطقية شيئا، لأن القضية لم تكن قضية اقتناع أو حجة، ولكنها مكابرة وجحود وأنانية، ونكران وعناد وعصبية، قال الله تعالى: {فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ} <sup>3</sup>.

<sup>1</sup> سورة فاطر، الآية: 42

<sup>2</sup> تفسير أبي السعود (ت: 982هـ)، 156/7

<sup>3</sup> سورة الأنعام، الآية: 34

روي "أن الأحنس بن شريق قال لأبي جهل: يا أبا الحكم، أخبرني عن محمد: أصادق هو أم كاذب؟ فإنه ليس عندنا أحد غيرنا، فقال له: والله إن محمدا لصادق، وما كذب قط، ولكن إذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابه والنبوة، فماذا يكون لسائر قريش؟"<sup>1</sup>، ظنوا أن محمدا صلى الله عليه وسلم أرادها ملكا لنفسه ولبني هاشم، فحال بينهم وبين الاهتداء لدعوته التعصب والحق، فجادلهم صلى الله عليه وسلم بالحكمة، وبين لهم بجلاء ما هم فيه من ضلال، وقتل للعقول والفكر، وإهانة للإنسانية، فلم تزدتهم دعوته إلا عتوا وعنادا، ولم يؤمن إلا أفراد قليلون، فتعرضوا بمكة لأنواع من التعذيب وأشكال من الاضطهاد، كما حاولوا إغراءه بالجاه والمال، ولم ينالوا، وأنى لهم أن ينالوا ذلك؟ فقد أرسلوا إليه عتبة بن ربيعة فقال له: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من المكان في النسب، وقد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، فاسمع مني أعرض عليك أمورا لعلك تقبل بعضها، إن كنت تريد بهذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا، وإن كنت تريد تشريفا سودناك علينا فلا نقطع أمرا دونك، وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك رثيا (تابعنا من الجن) تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا حتى تبرأ منه، فلما فرغ من قوله تلا محمد عليه السلام عليه سورة السجدة وعتبة منصت يستمع إلى أحسن القول، ويرى أمامه رجلا لا مطمع له في مال ولا في تشريف ولا في ملك ولا هو بالمريض<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> تفسير الكشاف، 19/2

<sup>2</sup> ينظر سيرة ابن هشام (ت: 218هـ)، 1/293



فلما يئسوا من إغوائه وإغرائه بالملك والجاه والمال لجؤوا إلى الطعن فيه وفي دعوته بالسحر والجنون، وأن ما جاء به لا يعدو أن يكون كلام بشر، قال تعالى:

{إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُوثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ} <sup>1</sup>.

حاولوا إحراجه فطالبوه بالمعجزات، قال تعالى:

{وَقَالُوا لَسْ نُؤْمِنُ لَكَ حَتَّى تَفْجِرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ﴿٢٥﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٢٦﴾ أَوْ تُسْفِطَ السَّمَاءُ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ فَبَيِّنَا ﴿٢٧﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّنْ زُخْرٍ أَوْ تَرْفَىٰ فِي السَّمَاءِ وَلَسْ نُؤْمِنُ لِرَفِيِّكَ حَتَّى تُنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَّفْرُقُهُ، فَلِ سُبْحَنَ رَبِّيَ هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا} <sup>2</sup>، وليس هذا أسلوب من أراد البحث عن الحقيقة، ولكنه تحد وعناد ضد الدعوة وحاملها، وإلا فقد أتى الله نبيه من المعجزات والآيات ما على مثله آمن الناس، الدالة على نبوته، وفيها ما يغني ويقنع من همه الحجة والبرهان على صدق نبوته، فقد أوتي القرآن، فأعظم به من معجزة، وانشق له القمر، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة، وغيرها، تحدوا هذه الرسالة، وآذوا صاحبها محمدا صلى الله عليه وسلم ومن آمن معه، حاصروهم وعتوهم بأقبح الصفات، وأذاقوهم أشد العذاب، ولم يزدهم ذلك إلا ثباتا، ولم يزد دعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلا انتشارا، وكانت آخر مؤامرة دبروها ضده أن تأمروا على قتله بطريقة تجعل دمه مهذرا ومفرقا بين القبائل لا تقدر عشيرته على المطالبة به.

<sup>1</sup> سورة المدثر، الآية: 24 — 25

<sup>2</sup> سورة الإسراء، الآية: 90 — 93

## المصلب الثاني: علاقة المسلمين بالمشركين في القرآن العبيد

لما استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمهاجرون بالمدينة كونوا مجتمعاً وصار لهم كيان، والشرك قد بسط نفوذه في الجزيرة العربية، والمسلمون لازالوا قلة إن قورنوا بقوى الكفر، بيد أن هذه القلة استمدت من الحن قوة، ومن القرآن نورا، ومن إيمانها برها زادا، تبدد بكل ذلك ظلمات الحن والشدائد، وتعبد به الطريق، وكون هذه القلة في الزيادة كل يوم قض مضجع المخالفين وأثار غضبهم، وموقعة بدر دليل واضح على أن معسكر الشرك مصممون على إبادة هذه القلة المباركة، وقد تحداهم أبو جهل حتى بعد علمه بنجاة تجارة قريش، فقال: "والله لا نرجع حتى نرد بدرا فنقيم ثلاثا، ننحر الجزر، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب، فلا يزالون يهابوننا أبدا"<sup>1</sup>، فدارت الدائرة على حزب الكفر، ونصر الله أهله كما قال:

{وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّفَوْا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٦﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آَلَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنَزَّلِينَ ﴿١٢٧﴾ بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمِدِّكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آَلَفٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٨﴾ وَمَا جَعَلَ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ فَلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ }<sup>2</sup>، أما غزوة أحد فقد تلقى فيها المسلمون درسا لا ينسى، ولا ينبغي أن ينسى، فقد حاقت بالمسلمين

<sup>1</sup> سيرة ابن هشام (ت: 218هـ)، 619/1

<sup>2</sup> سورة آل عمران، الآية: 123 — 126

فيها هزيمة نتيجة مخالفتهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخطيطه، وفي الوقت نفسه محص الله بتلك الهزيمة حق المسلمين، فامتاز أهل النفاق عن المؤمنين.

أما غزوة الأحزاب فقد خرجت فيها الحشود من كل قبيلة رغبة في القضاء على الرسالة المحمدية، وذلك بتخطيط اليهود وتدبيرهم وتحريضهم كما سبق.

هكذا "كانت العداوة سافرة بين المسلمين ومشركي قريش لا يكتمها المشركون، ولا يوارون فيها ولا يخفون أنهم عقدوا النية على الإيقاع لمحمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه وفض العرب من حوله، وإيذاء كل من يدخل منهم دينه، فلم تكن بين المسلمين والمشركين حالة غير حالة العرب، إلا في أيام صلح الحديبية، ثم عادت الحرب سجالات بين الفريقين حتى تم فتح مكة، وانتقلت الحرب من قتال سافر بين المسلمين والمشركين، إلى قتال بالدس والمكيدة بين هؤلاء وزمرة المنافقين"<sup>1</sup>، أما غيرهم من العرب فقد كانوا ينتظرون ما سيؤول إليه أمر محمد وأصحابه، وكان صلى الله عليه وسلم يسالم كل من مالوا إلى المسالمة

{وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}<sup>2</sup>، فلما من الله بفتح مكة سقط معقل الوثنية، وسلم أهل مكة أمرهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفي العام التاسع للهجرة خرج أبو بكر يحج بالناس والمسلمون والمشركون حول البيت، للمسلمين شعائرهم، وللمشركين تقاليدهم وعاداتهم، وعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الوفاء بكل العهود، والمشركون واليهود يأبون إلا الغدر، فهم إن

<sup>1</sup> حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، للعقاد (ت: 1383هـ)، ص: 167

<sup>2</sup> سورة الأنفال، الآية: 62

هادنوا "لا يهادنون إلا لتأليب العدو من الخصوم والأحلاف، لذا أرسل النبي صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب على إثر أبي بكر ليلحق به في الموسم، ويقرأ على الناس ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما اجتمعوا بمضى نادى فيهم علي وبجانبه أبو هريرة، فتلا عليهم من أول سورة براءة إلى قوله تعالى:

{... وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} <sup>1</sup>، ومما ختم به علي رضي الله عنه كلامه: "أيها الناس إنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يخرج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو إلى مدته" <sup>2</sup>، هكذا حددت سورة التوبة الموقف النهائي في علاقة المسلمين بالمشركين، حسب ما تقتضيه طبيعة المجتمع الإسلامي الناشئ، بعدما ثبتت دعائمه، واستقرت أركانه، واعترف به المجتمع الدولي <sup>3</sup> آنذاك، كقوة تفرض نفسها في الجزيرة العربية، فلا شك أن المشركين هم الذين بدأوا الحرب، ويأبون في كل مرة إلا إشعال فتيلها، والمسلمون لم يزالوا يميلون إلى السلم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا، فلما قويت شوكة المسلمين، وعلم المشركون بذلك أخذت القبائل تتوافد على المدينة يعلنون إسلامهم

{يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا} <sup>4</sup>، وفي العام العاشر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحجة الوداع وهم زهاء أربعة عشر ومائة ألف، وقيل: تسعون ألفا، فخطب فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبته المعروفة (حجة الوداع)، ضمنها أهم

<sup>1</sup> سورة التوبة، الآيات: 1 — 36

<sup>2</sup> سيرة ابن هشام، 545/2

<sup>3</sup> وذلك منذ صلح الحديبية حيث تم الاعتراف بمحمد وأصحابه كطرف فرض وجوده على مستوى الحوار السياسي، وإبرام الصلح، ثم بعد فتح مكة فرض نفسه كقوة مادية يعتادها وعدتها كدولة قائمة بنفسها.

<sup>4</sup> سورة النصر، الآية: 2

المبادئ الرئيسة التي جاء بها الإسلام، وأعلن إكمال الدين وإتمام النعمة، {إِلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} <sup>1</sup>، فتضمنت الخطبة أهم ما تحتاجه الأمة من تعاليم وتوجيهات في دينها، كما حملت مؤشرات تؤذن بقرب رحيل المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم إلى ربه عز وجل.

### المصلب الثالث: تحقيق السلام العالمي في القرآن البصيص

نص القرآن الكريم على دعوة الإنسانية إلى السلام العالمي دون فرق في ذلك بين المسلمين وغير المسلمين، ومن الآيات الدالة على ذلك قول الله تعالى:

{لَا يَنْهَيْكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُفْتَلَوْكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} <sup>2</sup>، وفي حديث أسماء بنت أبي بكر، رضي الله عنهما، قالت: "قدمت علي أمي وهي مشركة في هدنة قريش، فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، قدمت علي أمي وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: (نعم، صلي أمك). قال ابن عيينة: فأنزل الله تعالى فيها: {لَا يَنْهَيْكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ} <sup>3</sup>، وقيل: إن الآية منسوخة بآيات القتال، لكن الذي عليه أغلب المفسرين: أن الآية محكمة غير منسوخة <sup>4</sup>. وأن البر بغير المسلمين

<sup>1</sup> سورة المائدة، الآية: 4

<sup>2</sup> سورة الممتحنة، الآية: 8

<sup>3</sup> صحيح البخاري (ت: 256هـ)، كتاب الهبة وفضلها والتحريض عليها، باب الهدية للمشركين، الحديث رقم: 2620، وصحيح مسلم (ت: 261هـ)، كتاب الزكاة، باب فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد، والوالدين ولو كانوا مشركين، الحديث رقم: 1003

<sup>4</sup> ينظر جامع البيان، للطبري (ت: 310هـ)، 611/25

والإحسان إليهم لا يستلزم محبتهم وودهم، فقد قال الحافظ ابن حجر: "ثم البر والصلة والإحسان لا يستلزم التحاب والتوادد المنهي عنه في قوله تعالى:

{لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} <sup>1</sup>، فإنها عامة في حق من قاتل ومن لم يقاتل. والله أعلم" <sup>2</sup>.

وواضح أن المحبة المنهي عنها هي المحبة الدينية، أما محبته لأنه من أقربائه، أو أنه ممن يشاركه في أمر دينوي، فلا بأس بها بين المسلم وغير المسلم المسالم؛ فإن مثل ذلك مما ليس في مقدور الإنسان دفعه، ومنه مودة النبي صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب حرصاً على هدايته بشكل خاص، قبل نزول قول الله تعالى:

{إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَئِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} <sup>3</sup>، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: "رأى عمر حلة سيرة تبع، فقال: يا رسول الله، ابتع هذه والبسها يوم الجمعة، وإذا جاءك الوفود. قال: (إنما يلبس هذه من لا خلاق له)، فأتي النبي صلى الله عليه وسلم منها بحلل، فأرسل إلى عمر بحلة، فقال: كيف ألبسها وقد قلت فيها ما قلت؟ قال: (إني لم أعطكها لتلبسها، ولكن تبيعها أو تكسوها). فأرسل بها عمر إلى أخ له من أهل مكة قبل أن يسلم" <sup>4</sup>، ومنه حديث: عن أنس رضي الله عنه قال: كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم، فمرض، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده، فقعد عند رأسه، فقال له: أسلم، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم صلى

<sup>1</sup> سورة المجادلة، الآية: 21

<sup>2</sup> فتح الباري، لابن حجر (ت: 852هـ)، 233/5

<sup>3</sup> سورة القصص، الآية: 56

<sup>4</sup> صحيح البخاري (ت: 256هـ)، كتاب الهبة، باب الهدية للمشركين، الحديث رقم: 2619، وكتاب الأدب، باب صلة الأخ المشرك، الحديث رقم: 5981

الله عليه وسلم، فأسلم، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم من عنده — وهو يقول  
— : "الحمد لله الذي أنقذه من النار"<sup>1</sup>. قال ابن الجوزي معلقا على الحديث: "في  
هذا الحديث جواز استخدام اليهودي، وجواز عيادته، وتواضع رسول الله صلى الله  
عليه وسلم، ومبالغته في النصيح"<sup>2</sup>.

ومن مظاهر السلام العالمي في القرآن الكريم:

## 1 تقديم السلم على الحرب

قال الله تعالى: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ}<sup>3</sup>، قال ابن  
كثير مفسرا معنى السلم في الآية: "أي: المسالمة والمصالحة والمهادنة"<sup>4</sup>، وعند ابن جرير  
الطبري: "وإن مال غير المسلمين إلى مسالمتك ومتاركتك الحرب، إما بالدخول في  
الإسلام، وإما بإعطاء الجزية، وإما بموادعة، ونحو ذلك من أسباب السلم والصلح، فمل  
أنت أيضا إليها، وابذل لهم ما مالوا إليه من ذلك وسألوكه. وتوكل على الله وفوض  
أمرك إليه فهو وحده الذي يستطيع أن ينصرك ويحفظك من خياناتهم، على أن يقترن  
ذلك بالحدز منهم"<sup>5</sup>.

وقال ابن حبيب عن مالك: "تجوز مهادنة المشركين السنة والسنتين والثلاث، وإلى  
غير مدة"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> صحيح، البخاري (ت: 256هـ)، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، الحديث رقم: 1356

<sup>2</sup> كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي (ت: 597هـ)، 3/1667/285

<sup>3</sup> سورة الأنفال، الآية: 62

<sup>4</sup> تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (ت: 774هـ)، 83/4

<sup>5</sup> جامع البيان للطبري (ت: 310هـ)، 40/14

<sup>6</sup> الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، 65/10

## 2 دعوة غير المسلمين إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة

قال تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} <sup>1</sup>، والحكمة المقالة المحكمة الصحيحة، وهي الدليل الموضح للحق، المزيل للشبهة، والموعظة الحسنة: الترغيب والترهيب، وهو أنه لا يخفى عليهم أنك تناصحهم، وتقصد ما ينفعهم. وجادلهم بالتي هي أحسن أي: بالطريقة التي هي أحسن طرق المجادلة: من الرفق واللين، من غير فظاظة، ولا تعنيف <sup>2</sup>.

## 3 تأليف قلوب غير المسلمين

أمر الله تعالى بمعاملة غير المسلمين بما يحب إليهم الإسلام ويؤلف قلوبهم ويرغبهم في الدين، وذلك قول الله تعالى: {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا} <sup>3</sup>، فأطلق القرآن الكريم بلفظ الناس العام في المسلمين وغيرهم، بل يطلق في القرآن الكريم ويراد به كثيرا غير المسلمين، قال عطاء بن أبي رباح في تفسير هذه الآية: "لناس كلهم" <sup>4</sup>، وقال تعالى: {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} <sup>5</sup>، كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم أمته بالخلق الحسن مع كل الناس، فعن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعا: "اتق الله حيثما كنت،

<sup>1</sup> سورة النحل، الآية: 125

<sup>2</sup> ينظر لباب التأويل للخازن (ت: 741هـ)، 107/3

<sup>3</sup> سورة البقرة، الآية: 82

<sup>4</sup> جامع البيان، 297/2

<sup>5</sup> سورة الإسراء، الآية: 53



وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن"<sup>1</sup>، فلم يكن كفر الكافر في منهج القرآن الكريم مسوغا لمعاملة الكافر معاملة تتنافى مع الاحترام الآدمي والتقدير الإنساني.

#### 4 لا إكراه في الدين

نهى القرآن الكريم عن إكراه أحد على التدين بدين الإسلام، وفي ذلك شرف واعتبار للإنسان ككائن عاقل، ميزه الله عن سائر المخلوقات بنعمة العقل والتمييز والإدراك، فقال تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} <sup>2</sup>، قال ابن كثير: "لا تكرهوا أحدا على الدخول في دين الإسلام، فإنه بين واضح، جلي دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام، وشرح صدره، ونور بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره، فإنه لا يفيد الدخول في الدين مكرها مقسورا"<sup>3</sup>، وقال تعالى: {أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ} <sup>4</sup>،

ومن العلماء من قال بنسخ مثل هذه الآيات، ورجح آخرون عدم النسخ، وحكموا بصحته، ومنهم ابن الجوزي، فقد قال رحمه الله: "والصحيح أنه ليس ها هنا نسخ؛ لأن الإكراه على الإيمان لا يصح؛ لأنه عمل القلب"<sup>5</sup>، أما عن مشروعية الجهاد والمغزى منه — طالما أن القرآن الكريم نص على عدم مشروعية إكراه أحد على الدين — فقد ذكر رشيد رضا أن الإسلام أمر بالدعوة إليه أولا "بالحجة والبرهان، لا بالسيف

<sup>1</sup> سنن الترمذي (ت: 279هـ)، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في معاشره الناس، الحديث رقم: 1987، وقال: هذا حديث

حسن صحيح، ومسنده أحمد (ت: 241هـ)، حديث أبي ذر الغفاري، الحديث رقم: 21354

<sup>2</sup> سورة البقرة، الآية: 255

<sup>3</sup> تفسير القرآن العظيم، لابن كثير (ت: 774هـ)، 682/1

<sup>4</sup> سورة يونس، الآية: 99

<sup>5</sup> زاد المسير، لابن الجوزي (ت: 597هـ)، 352/2

والسنان، فإذا منعنا من الدعوة بالقوة، بأن هدد الداعي أو قتل، فعلينا أن نقاتل لحماية الدعوة، ونشر الدعوة، لا للإكراه على الدين... وإذا لم يوجد من يمنع الدعوة، ويؤذي الدعوة، أو يقتلهم، أو يهدد الأمن ويعتدي على المؤمنين، فالله تعالى لا يفرض علينا القتال؛ لأجل سفك الدماء وإزهاق الأرواح، ولا لأجل الطمع في الكسب...<sup>1</sup>.

## 5 البشرية من أصل واحد

مما يحمل الإنسان على نبذ النعرات الجاهلية، ويبعده عن التفاخر بالآباء بالأنساب، والتعصب للقبائل والأنساب شعوره بأن أفراد الإنسانية جميعاً من أصل واحد، قال الله تعالى: {يَتَأْتِيهَا النَّاسُ بِتَفْؤُا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً}<sup>2</sup>، قال ابن جرير الطبري في تفسير هذه الآية: "وصف تعالى ذكره نفسه بأنه المتوحد بخلق جميع الأنام من شخص واحد، معرفاً عباده كيف كان مبتدأ إنشائه ذلك من النفس الواحدة، ومنبهم بذلك على أن جميعهم بنو رجل واحد وأم واحدة، وأن بعضهم من بعض، وأن حق بعضهم على بعض واجب وجوب حق الأخ على أخيه؛ لاجتماعهم في النسب إلى أب واحد وأم واحدة، وأن الذي يلزمهم من رعاية بعضهم حق بعض — وإن بعد التلاقي في النسب إلى الأب الجامع بينهم — مثل الذي يلزمهم من ذلك في النسب"<sup>3</sup>، والاختلاف الذي جعله الله بين أفراد الإنسانية؛ من ذكورية وأنوثة، وشعوب وقبائل، إنما هو لحصول التعارف وليس للقتال والتقاطع، قال الله تعالى: {يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ

<sup>1</sup> تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا (ت: 1354هـ)، 173/2 — 174

<sup>2</sup> سورة النساء، الآية: 1

<sup>3</sup> جامع البيان للطبري (ت: 310هـ)، 513/7

لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىكُمْ<sup>1</sup> إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ<sup>1</sup>، وفي الحديث: "يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمري على أسود، ولا أسود على أحمري، إلا بالتقوى"<sup>2</sup>.

## 6 رحمة من في الأرض جميعا والرفق بهم

قال الله تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}<sup>3</sup> هذه الرحمة عامة للمسلمين وغير المسلمين، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال عن هذه الآية: "هو عام في حق من آمن ومن لم يؤمن، فمن آمن فهو رحمة له في الدنيا والآخرة، ومن لم يؤمن فهو رحمة له في الدنيا"<sup>4</sup>. وقيل إن ذلك خاص بالمؤمنين دون غيرهم، قال الطبري: "وأولى القولين في ذلك بالصواب. القول الذي روي عن ابن عباس، وهو أن الله أرسل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع العالم، مؤمنهم وكافرهم"<sup>5</sup>. وغير خاف أن القول الأول بالصواب ما صوبه ورجحه الطبري، وهو المناسب لرحمة الإسلام وشموليته، المتناغم مع مبادئه وتسامحه، فنبينا محمد صلى الله عليه وسلم قد بعث رحمة للناس أجمعين، ويؤيد هذا حديث أبي هريرة قال: قيل: يا رسول الله، ادع على المشركين، قال: "إني لم أبعث لعانا، وإنما بعثت رحمة"<sup>6</sup>. وكثيرة هي الأحاديث التي دعا فيها صاحبها صلى الله عليه وسلم إلى الرحمة بجميع من في الأرض، منها:

<sup>1</sup> سورة الحجرات، الآية: 13

<sup>2</sup> مسند الإمام أحمد (ت: 241هـ)، حديث رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، الحديث رقم: 23489. ، والمعجم الأوسط للطبراني (ت: 360هـ)، من اسمه عبد الرحمان، الحديث رقم: 4749

<sup>3</sup> سورة الأنبياء، الآية: 106

<sup>4</sup> "معالم التنزيل للبغوي (ت: 510هـ)، 320/3

<sup>5</sup> جامع البيان للطبري (ت: 310)، 351/19

<sup>6</sup> صحيح، مسلم (ت: 261هـ)، كتاب البر والصلة والآداب، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها، الحديث رقم: 2599. وسنن

أبي داود (ت: 275هـ)، كتاب اللباس، باب في لبس الشعر والصوف، الحديث رقم: 4032

- عن عبد الله بن عمرو، رضي الله عنهما مرفوعاً: "ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء"<sup>1</sup>، قال الطيبي: "أتى بصيغة العموم؛ ليشمل جميع أصناف الخلق، فيرحم البر والفاجر، والناطق والبهم، والوحوش والطيور"<sup>2</sup>.

- عن جرير بن عبد الله، رضي الله عنهما، مرفوعاً: "من لا يرحم لا يرحم"<sup>3</sup>. وفي رواية: "من لا يرحم الناس لا يرحمه الله عز وجل"<sup>4</sup>، قال ابن بطال: "في هذه الأحاديث الحض على استعمال الرحمة للخلق كلهم، كافرهم ومؤمنهم، ولجميع البهائم والرفق بها. وأن ذلك مما يغفر الله به الذنوب ويكفر به الخطايا، فينبغي لكل مؤمن عاقل أن يرغب في الأخذ بحظه من الرحمة، ويستعملها في أبناء جنسه وفي كل حيوان"<sup>5</sup>.

- عن عائشة، رضي الله عنها قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: السام عليكم، قالت عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السام واللعنة، قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله"<sup>6</sup>. قال النووي: "... وفيه حث على الرفق والصبر والحلم، وملاطفة الناس، ما لم تدع حاجة إلى المخاشنة"<sup>7</sup>، تلك أخلاق القرآن وأخلاق المسلمين؛ الرفق بالآخر حتى ولو كان ممن يخالفونك في الدين، فإن من تربية القرآن للمسلم أن يحب الخير للجميع، لدرجة أن يشفق على الكافر لكفره ويرجو له الهداية لدين الإسلام حتى يشملته فضل الله ورحمته.

<sup>1</sup> سنن الترمذي (ت: 279هـ)، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين، 1924. وسنن أبي داود، بلفظ: "ارحموا أهل الأرض"، باب في الرحمة، الحديث رقم: 4941

<sup>2</sup> مرقاة المفاتيح للقاري، 3113/8، الحديث رقم: 4969، ينظر تحفة الأحوذى، للمباركفوري 43/6

<sup>3</sup> صحيح البخاري (ت: 256هـ)، كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته، الحديث: 5997

<sup>4</sup> صحيح مسلم (ت: 241هـ)، كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك، 2319.

<sup>5</sup> فتح الباري، 40/10

<sup>6</sup> صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، الحديث رقم: 6024

<sup>7</sup> طرح التشريب في شرح التقريب، للحافظ عبد الرحيم العراقي، 111/8

# خاتمة

## خاتمة

وبالجملة فإن من أصدق تجليات خلود هذه الشريعة وحكمتها اشتغالها على أسس تستمد من نبعها الهداية، وتقتبس من نورها الحضارة والقوة، وكان للتغيير في كل زمان حبلان أساسيان: أحدهما: حبل الله المتين الذي يتجلى في منهج القرآن الكريم، والذي وضع له أسسا وأهدافا ومقاصد. ثانيهما: يتمثل في المنهج المادي الذي يهتم بتحصيل اللذة والمظهر.

وقبل أن يتم الله النعمة بإكمال الدين بتزول الكتاب الخاتم على الرسول الخاتم، كان الناس في جهل تام: تقرب للأصنام لا تضر ولا تنفع، تقاتل وتناحر وسفك للدماء، ونهب للأموال، وشرب الخمر وفعل المنكرات، فأنزل الله هذا الكتاب فغيرهم في وقت يسير على جميع المستويات: عقيدة وعبادة ومعاملة وسلوكا.

وإيماننا بأن القرآن الكريم المهيمن على ما أنزل قبله من الكتب هيمنة أزلية وأبدية، هيمنة أزلية لأنه تضمن ما في الكتب السماوية قبله، وهيمنة أبدية لأنه صالح لكل زمان ومكان، قلت: إيماننا بأنه كتاب تغيير على مر الزمان، جاء هذا البحث فعرض منهج التغيير: أسسه ومقاصده انطلاقا من هذا الكتاب، ولم يرسم القرآن الكريم مخططا لكل جزئيات موضوع التغيير، لكنه حدد أسسه ومنطلقاته ومساراته العامة، ثم حض على التمسك بها، فتتبع مواطن التغيير في القرآن المجيد، باحثا عن أسسه ومقاصده وفق المجالات الآتية:

\_\_\_\_\_ المجال الفكري والعقدي

\_\_\_\_\_ المجال السلوكي والأخلاقي

\_\_\_\_\_ المجال الاجتماعي

\_\_\_\_\_ المجال الاقتصادي

\_\_\_\_\_ المجال السياسي

ولأن القرآن المجيد آخر الكتب السماوية جاء كاملا وشاملا لحاجات الإنسان، مستجيبا لأغراضه الجسمية والروحية على وجه يسعد به في الدارين، دامغا شبهاً المنحرفين المحرفين متى ظهوروا، وفي أي مكان كانوا، فكان منطلق كل الرسائل السماوية التغيير العقدي والفكري، تغييرا من الشرك إلى التوحيد، ومن الكفر إلى الإيمان قبل غيره من باقي مجالات التغيير؛ كالتغيير الاجتماعي والاقتصادي والسياسي وغيرها؛ إذ التغيير العقدي والفكري أساس كل تغيير ومبناه، فما لم تنقد الإنسانية لخالقها بتغيير ما بالأنفس فمحال أن تنجح في أي تغيير وفي أي مجال.

والتغيير الإيجابي الذي دعا إليه القرآن الكريم تغيير منظم ومحكم، ومحكوم بالسنن الكونية التي وضعها الله للإنسان ليسير وفقها، والمتبع للسنن الكونية يلفيها في غاية من الاتساق والنظام؛ مما يشكل تصورا واضحا عن طبيعة الحياة، وكيف أراد لها الخالق أن تسير، وهذه السنن شملت كل مجالات الحياة، والآيات القرآنية دعت في غير ما موضع إلى النظر في الآيات الماثلة في الكون، فوصف القرآن الكريم من يعنون بهذا النظر، المؤهلين لخوض غماره بأولي الألباب، فهم — دون غيرهم — القادرون على سبر أغوار هذه السنن وإدراكها، ثم توظيفها فيما يسعف على السير نحو تغيير إيجابي يروم بناء مستقبل أفضل، وحضارة إنسانية شامخة.

ومنهج القرآن الكريم في التغيير الاجتماعي صناعة الفرد أولا من الداخل؛ عن طريق إصلاح قلبه وعقيدته وفكره، ليمثل شخصية قوية لا تهزمها الخطوب، ولا تضعف أمام الحوادث، ولا تقعد مستسلمة دون أن تهددي سبيلا، والقرآن الكريم إذ

ينهى المؤمن على سلوك مشين، أو موقف سلبى، إنما ينهى عن الاعتقاد الفاسد الذي يصدر عنه ذلك الموقف، أو ينتج عنه ذلك السلوك، فتتبع الآيات القرآنية تتزل خلال ثلاثة وعشرين عاما، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يربي ويبنى بالقرآن المجيد أفرادا أفذاذا هم نموذج وقدوة لمن بعدهم، يهتدى بهم ويسار وفق سيرهم؛ لأنهم هيئوا وفق منهج قرآنى متكامل، واضح المعالم.

أما الأسرة فقد أولاهما القرآن الكريم عناية خاصة، وأقام صرحها شامخا على أساس الوضوح ضمنا من أي تصدع أو اختلال، فالأسرة أساس البناء الاجتماعي، كما أن الفرد أساس بناء الأسرة.

وكما أن الإنسان اجتماعي بطبعه يحتاج إلى بني جنسه، ولا حياة له بدونهم، فحاجته الاجتماعية والطبيعية إليهم تضطره إلى مد يد التعامل معهم، والتعامل بين أفراد المجتمع على ما فيه من منافع، وهو أساس لبناء الحضارة وعمارة الأرض وغيرها، فهو أيضا من أكبر بواعث التزاع ودواعي التدابر، وبطش القوي بالضعيف، فجاء القرآن الكريم بهذا المنهج العاصم من سموم الخصومات الفاجرة، والاعتداءات الماكرة، وهو وحده الكفيل بتغيير أحوال النفوس وترويضها على الخير والقيم النبيلة، فوضع للمعاملات بين أفراد المجتمع منهجا محكما يهدف إلى عمارة الأرض، مع مراعاة حقوق الآخرين في الآن نفسه، كما يرمي إلى تحقيق مقصد الطهر الاجتماعي من مفسد الطغيان المادي.

فالتغيير الذي جاء به القرآن الكريم تغيير عالمي وشامل وجذري، تغيير للعقائد الفاسدة و الأفكار التائهة، و العادات السيئة و التقاليد الباطلة.



فتوصل البحث من خلال تتبع موضوع التغيير في القرآن الكريم إلى طائفة من النتائج التي يمكن إجمالها كآتي:

\_\_\_\_\_ أن لفظ التغيير في القرآن الكريم إنما عني به في أصله التغيير السلبي؛ من تبديل يصدر من الإنسان كتغيير خلق الله، وتغيير ما بالأنفس بترك شكر نعمه، لكن لا ضير أن يحمل على المعنى الإيجابي فيرادف الإصلاح والتجديد.

\_\_\_\_\_ أن في المنهج القرآني تولى صناعة الإنسان وبناء شخصيته كفرد أولاً، وبنى فيه الإيمان على القناعة حتى وجدت الشخصية المسلمة نفسها تتفانى في توحيد خالقها وعبادته،

\_\_\_\_\_ أن منهج القرآن الكريم في التغيير ليس نظرية تحفظ، ولا فلسفة بشرية تقلد، لكنه وحي متزل من عند خالق الإنسانية ليترجم إلى سلوك وعمل في واقعها المعيش، فكان به محمد صلى الله عليه وسلم القدوة النموذج للإنسان، ومن تنسم عبر سيرته العطرة أدرك ما فعله خلقه القرآني بأمة ماتت فأحيها بهذا الكتاب.

- أن التغيير في القرآن المجيد يبدأ بتغيير الفرد قبل الجماعة، وبتغيير العقيدة والفكر قبل غيرهما من المجالات.

\_\_\_\_\_ أن المجتمع الذي غيره القرآن الكريم تغييراً إيجابياً وتربى على مبادئه مجتمع لا يضاهيه مجتمع، ما لم يترب على مثل ما تربى عليه، مجتمع متميز في إحساسه ووعيه بقيمة الحرية بمعناها الصحيح، الحرية المستمدة من صحيح الاعتقاد، ومن معين القرآن المجيد، فلم ييغوا بمنهج القرآن بديلاً، ولم يرغبوا في سواه؛ لأنهم اعتنقوه عن حب وقناعة وعلم ويقين.

\_\_\_\_\_ أن القرآن المجيد كفيل بتغيير حال الإنسانية إذا أحسنت العودة إليه، وعملت بما جاء به على الوجه الأكمل؛ إذ كلما فصلت العقيدة عن الأخلاق والسلوك شوهت صورة التدين لدى الجاهلين بالإسلام وحتى لدى البسطاء من أمة القرآن المجيد، وكثيرة هي التجارب الإصلاحية التي باءت بالفشل نتيجة هذا الانفصال بين العقيدة والأخلاق.

\_\_\_\_\_ أن تحقيق التوحيد في دنيا الإنسانية مقصد رئيس من مقاصد التغيير الذي جاء القرآن المجيد.

\_\_\_\_\_ أن علاقة الأخلاق بالعقيدة في القرآن المجيد علاقة المقدمات بالنتائج، وعلاقة أسس بمقاصد على شكل تسلسلي، فكلما تخلق دعاة التغيير القرآني بأخلاق القرآن كانوا أنجح في عملية التغيير، وكان المدعوون إلى التغيير أكثر استجابة، فالعلاقة بين العقيدة والأخلاق علاقة لا تقبل الانفكاك بحال في منهج القرآن الكريم.

\_\_\_\_\_ أن العبادة \_\_\_\_\_ وإن كانت مقصدا في ذاتها \_\_\_\_\_ فهي أساس ووسيلة تتغى مقاصد أخرى، تتجلى في معالجة أمراض المجتمع وفساد القلوب وخبث النفوس، فهي واجبات إلهية فرضها الخالق على العباد ليتقربوا بها إليه، وليأخذوها وسيلة ومنهجاً لتغيير السلوك السلبي، وتعويضه بأخلاق حسنة وسلوك نبيل.

وصلّى الله على المبعوث رحمة للعالمين، والحمد لله رب العالمين.

## المصادر والمراجع:

- الإبانة الكبرى، لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان المعروف بابن بطة العكبري (ت: 387هـ)، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وأحمد التويجري، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض بدون تاريخ.
- أبيقور: مؤسس المدرسة الأبيقورية، للشيخ كامل محمد محمد عويضة، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1994م.
- الإتيقان في علوم القرآن، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة 1394هـ / 1974م.
- اجتماعنا: دروس من فكر السيد محمد باقر الصدر (ت: 1400هـ)، إعداد: مركز نون للتأليف والترجمة، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، الطبعة الأولى 2011م.
- الأجوبة الفاخرة، عن الأسئلة الفاجرة، في الرد على الملة الكافرة، لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمان القرافي (ت: 684هـ)، تحقيق مجدي محمد الشهاوي، عالم الكتب بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2005م.
- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان (ت: 354هـ)، للأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت: 739هـ)، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى 1408 هـ / 1988م.
- إحياء علوم الدين، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت: 505هـ)، دار المعرفة بيروت.

- الأخلاق والسير، أو رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق، والزهد في الرذائل، لأبي محمد علي بن أحمد ابن حزم (ت: 456م)، تحقيق: إيفا رياض، مراجعة وتقديم وتعليق: عبد الحق التركماني، دار ابن حزم، بدون تاريخ.
- أدب الدنيا والدين، تأليف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (ت: 450هـ)، دار مكتبة الحياة، تاريخ النشر: 1986م.
- الأدب المفرد، تأليف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (ت: 256هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية بيروت، الطبعة الثالثة 1989م.
- أديان الهند الكبرى: ( — الهندوسية، — الجينية، — البوذية)، لأحمد شلبي (ت: 2000م)، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الحادية عشرة 2000م.
- أركان الإسلام الخمسة وأثرها في حياة الأفراد والجماعات، ليحيى أحمد الدرديري (ت: 1956م)، المطبعة السلفية ومكتبتها، مصر 1950م.
- أسرار البلاغة، تأليف: أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: 471هـ)، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة،
- الإسلام عقيدة وشريعة، لمحمود شلتوت، (ت: 1963م)، دار الشروق، القاهرة، الطبعة الثامنة عشرة 2001م.
- الإسلام والعقل، لعبد الحليم محمود (ت: 1978م)، دار المعارف القاهرة، الطبعة الرابعة، بدون تاريخ.
- إشكالية النهضة في الفكر العربي الإسلامي مقارنة تحليلية نقدية، للأستاذ الدكتور حميد الصولي، المطبعة والوراقة الوطنية، الدوديات مراكش، الطبعة الأولى 2015م.

- الإصابة في تمييز الصحابة، تأليف: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت: 852هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1415هـ .
- إظهار الحق، لرحمة الله بن خليل الرحمان الهندي (ت: 1308هـ)، عني بطبعه ومراجعته: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الشؤون الدينية قطر، بدون تاريخ.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1411هـ / 1991م.
- الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت: 1396هـ)، دار العلم للملايين، الطبعة الخامسة عشرة 2002م.
- إغاثة اللفهان من مصايد الشيطان، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف الرياض، المملكة العربية السعودية.
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني (ت: 356هـ)، دار الكتب المصرية، الطبعة الأولى 1928م بدون تحقيق.
- إكمال المعلم بفوائد مسلم، لأبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت: 544هـ)، تحقيق: يحيى إسماعيل، الطبعة الأولى 1998م، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة.
- الأمثال في القرآن، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، مكتبة الصحابة، مصر، تحقيق: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، الطبعة الأولى 1406هـ.

- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1418هـ.
- الإنسان في القرآن، لعباس محمود العقاد (ت: 1383هـ)، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة 2005م.
- الإنسان وعدالة الله في الأرض، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي (ت: 1434هـ/2013م)، دار الفكر المعاصر دمشق، الطبعة الأولى 2020م.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البضاوي (ت: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى 1418هـ.
- البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت، الطبعة: 1420هـ.
- البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى 1408هـ/1988م.
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية لبنان بدون تاريخ.

- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، لحسن إبراهيم حسن، أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة القاهرة، دار الجيل بيروت، بشراكة مع مكتبة النهضة المصرية القاهرة، الطبعة الرابعة 1416هـ / 1996م.
- تاريخ الأمم الإسلامية، الدولة الأموية، لمحمد الحصري بك (ت: 1345هـ)، تحقيق: محمد العثماني، دار القلم بيروت، الطبعة الأولى 1986م.
- تاريخ الحروب الصليبية، لعلي سعود عطية، الشركة العربية المتحدة للتسويق والتوريدات، القاهرة، الطبعة الأولى 2010م.
- تاريخ الدولة العربية من ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية، للمستشرق الألماني: يوليوس فلهاوزن (julius wellhausen) (ت: 1918م)، ترجمة: محمد عبد الهادي أبو ريذة، مراجعة: حسين مؤنس، تقديم: مصطفى ليب عبد الغني، المركز القومي للترجمة، إشراف: جابر عصفور 2009م.
- تاريخ الديانة الزرادشتية، لأبي عبد الله مبلغي العبداني، ترجمة من الفارسية: وريا قانع، التعريب: عبد الستار قاسم كلهور، مؤسسة موكرياني للبحوث والنشر، الطبعة الأولى 2011م.
- تاريخ الطبري: تاريخ الرسل والملوك، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: 310هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف مصر، الطبعة الثانية، بدون تأريخ.
- تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، تأليف: أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري (ت: 442هـ)، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان القاهرة، الطبعة الثانية 1412هـ / 1992م.
- تاريخ الفلسفة الغربية، ل برتراند راسل، ترجمة: زكي نجيب محمود، مراجعة: أحمد أمين، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة 2010م.

- تاريخ بغداد، للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي: (ت:463هـ)، تحقيق ودراسة: مصطفى عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الثانية 2004م.
- التحرير والتنوير: (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت:1393هـ)، الدار التونسية للنشر تونس 1984هـ .
- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي، لأبي العلاء محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (ت: 1353هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1990م
- التدمرية: تحقيق الإثبات للأسماء والصفات، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (ت:728هـ)، تحقيق: محمد بن عودة، الطبعة الأولى 1985.
- التسهيل لعلوم التنزيل، تأليف: أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله ابن جزي الكلبي الغرناطي (ت:741هـ)، تحقيق: عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم بيروت، الطبعة الأولى 1416هـ.
- التغيير الاجتماعي في الفكر الإسلامي الحديث، لحنان محمد عبد المجيد، مكتبة مؤمن قريش، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، هيرندون فيرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، الطبعة الأولى 2011م.
- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، لأبي السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت:982هـ)، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- التفسير الحديث (مرتب حسب ترتيب التزول) لمحمد عزت دروزة (ت:1404هـ) دار الغرب الإسلامي، الطبعة الثانية 2000م.



- تفسير الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت:310هـ)، تحقيق وتعليق: محمود محمد شاكر، مراجعة: أحمد محمد شاكر، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، القاهرة، 2009م.
- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (ت:1354هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990م.
- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت:774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1420هـ/1999م.
- التفسير القيم، أو تفسير القرآن الكريم، لابن القيم، تأليف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين بن قيم الجوزية (ت:751هـ)، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال بيروت، الطبعة الأولى 1410هـ.
- تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي (ت:1371هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأولى 1365 هـ / 1946م.
- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، لوحة بن مصطفى الزحيلي (ت: 2015م)، دار الفكر المعاصر دمشق، الطبعة الثانية 1418هـ.
- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل)، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت:710هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة الأولى 1419هـ / 1998م.

- **تكملة معجم المؤلفين**، تأليف: محمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف (ت: 1415هـ)، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1418هـ/1997م.
- **تكملة معجم المؤلفين**، لمحمد خير بن رمضان بن إسماعيل يوسف (ت: 1415هـ)، دار ابن حزم، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1418هـ.
- **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، للحافظ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي (ت: 463هـ)، تحقيق وتعليق: مصطفى بن أحمد العلوي، مدير دار الحديث الحسنية، و محمد عبد الكبير البكري، و سعيد أعراب، و محمد التائب، و عبد الله بن الصديق، و محمد الفلاح، و مولاي مصطفى بن أحمد العلوي، و عمر الجيدي، و محمد بوخبزة، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بأمر من الملك الحسن الثاني رحمه الله، تاريخ الطبع: ما بين 1967م و 1992م.
- **تنظيم الأسرة وتنظيم النسل**، تأليف: محمد أبو زهرة (ت: 1394هـ)، دار الفكر العربي، الطبعة الأولى 1976م.
- **تنظيم الإسلام للمجتمع**، لمحمد أبو زهرة (ت: 1394هـ)، دار الفكر العربي القاهرة، بدون تاريخ.
- **تنظيم الإسلام للمجتمع**، محمد أبو زهرة (ت: 1394هـ)، دار الفكر العربي، القاهرة مصر، بدون تاريخ.
- **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، للحافظ جمال الدين يوسف المزي (ت: 742هـ)، تحقيق وتعليق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة الثانية 1403هـ/1983م.
- **جامع المسائل لابن تيمية**، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ)،

تحقيق: محمد عزيز شمس، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1422هـ.

■ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي (ت: 256هـ)، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى 1422هـ.

■ الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 2006م.

■ جهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري (ت: 395هـ)، تحقيق: — محمد أبو الفضل إبراهيم — عبد المجيد قطامش، دار الجيل بيروت، الطبعة الثانية 1988م.

■ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ)، تحقيق: علي بن حسن — عبد العزيز بن إبراهيم — حمدان بن محمد. دار العاصمة، السعودية، الطبعة الثانية 1419هـ/1999م

■ الحرية في الإسلام، لعلي عبد الواحد وافي (ت: 1412هـ)، دار المعارف مصر، 1968.

■ حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، لعباس محمود العقاد (ت: 1383هـ/1964م)، نخبة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الرابعة 2005م.

■ الخصائص الكبرى، لعبد الرحمان بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق وتعليق: — حمزة النشري — عبد الحفيظ فرغلي — عبد الحميد مصطفى، مكتبة الأهرام مصر بدون تأريخ.

- خلاصة تاريخ العرب، ل (لويس سيديو)، ترجمة: محمد أحمد عبد الرزاق، مراجعة: علي مبارك، مؤسسة هنداوي سي آي سي 2017م، المملكة المتحدة.
- درء تعارض العقل والنقل، أو موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية: 1411هـ/1991م.
- دراسات في تاريخ الشرق القديم: مصر — العراق — سوريا — اليمن — إيران: (مختارات من الوثائق التاريخية)، تأليف: أحمد فخري، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الثانية بدون تاريخ
- دلائل النبوة، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (ت: 458هـ)، تحقيق: عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، الطبعة الأولى 1408هـ/1988م.
- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، تأليف: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق وتعليق: أبو اسحق الحويني المصري، دار ابن عفان للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1416هـ / 1996م.
- ديوان دريد بن الصمة، تحقيق عمر عبد الرسول، دار المعارف القاهرة، بدون تاريخ.
- ديوان دريد بن الصمة، تحقيق: الدكتور عمر عبد الرسول، دار المعارف القاهرة، بتاريخ: 2009م.
- الرد على المنطقيين، لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني (ت: 728هـ)، مطبعة معارف لاهور، الطبعة الثالثة 1977م.
- الرسالة المحمدية، لسليمان الندوي (ت: 1373هـ)، ترجمه إلى العربية: محمد ناظم الندوي، تعليق: عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير دمشق، الطبعة الأولى 2002م.

- رسالة في الطريق إلى ثقافتنا، لمحمود شاكر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، بدون تاريخ.
- روح البيان، تأليف: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي، المولى أبو الفداء (ت: 1127هـ)، دار الفكر بيروت بدون تاريخ.
- زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت: 597هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الأولى 1422هـ.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية، (ت: 751هـ)، مؤسسة الرسالة، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الثالثة 1418هـ/1998م.
- سنن ابن ماجه، تأليف: أبو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه القزويني، (ت: 273هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي بدون تاريخ.
- سنن أبي داود، تأليف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (ت: 275هـ)، تحقيق: شعيب الأرناؤوط — محمد كامل قره بللي، دار الرسالة العالمية، الطبعة الأولى 1430هـ/2009م.
- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية، تأليف: عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة ناشرون بدون تاريخ.
- السنن الإلهية في الحياة الإنسانية، وأثر الإيمان بها في العقيدة والسلوك، لشريف الخطيب، جامعة أم القرى، 1987م، أطروحة جامعية.
- سنن الترمذي، تأليف: محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: 279هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي،

وإبراهيم عطوة عوض. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر، الطبعة الثانية 1395هـ / 1975م.

■ سنن الدارقطني، تأليف: أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهدي بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي الدارقطني (ت: 385هـ) تحقيق وتعليق: — شعيب الارنؤوط، — حسن عبد المنعم شلبي، — عبد اللطيف حرز الله، — أحمد برهوم، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1424هـ / 2004م.

■ السنن الكبرى، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني أبو بكر البيهقي (ت: 458هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الثالثة: 1424هـ / 2003م.

■ سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (ت: 748هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة 1405هـ / 1985م.

■ سيرة ابن هشام، لعبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبي محمد، جمال الدين (ت: 218هـ)، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية 1375هـ / 1955م.

■ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (ت: 418هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة السعودية، الطبعة الثامنة 1423هـ / 2003م.

■ شرح النووي على مسلم، لمحيي الدين يحيى بن شرف بن حسن بن حسين بن حزام النووي (ت: 676هـ)، اعتنى به سامح أحمد، الناشر: فضاء الفن والثقافة، المحمدية المملكة المغربية.

- شرح صحيح مسلم المسمى: إكمال المعلم بفوائد مسلم، للإمام الحافظ أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي (ت: 544هـ)، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، الطبعة الأولى 1998م.
- شرح مختصر خليل للخرشي، تأليف: محمد بن عبد الله الخرشي المالكي أبو عبد الله (ت: 1101هـ)، دار الفكر للطباعة بيروت بدون تاريخ.
- الشعر والشعراء، تأليف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: 276هـ)، دار الحديث القاهرة، 1423هـ.
- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، لعياض بن موسى بن عياض بن عمرو اليحصبي السبتي أبو الفضل (ت: 544هـ)، دار الفيحاء عمان، الطبعة الثانية 1407هـ.
- شمس العرب تسطع على الغرب ( أثر الحضارة العربية في أوروبا)، للمستشرق الألمانية: زيغريد هونكة (ت: 1999م)، ترجمة: فاروق بيضون و كمال دسوقي، راجعه ووضع حواشيه: مارون عيسى الخوري، دار الجليل بيروت لبنان، دار الآفاق الجديدة، بيروت لبنان، الطبعة الثامنة 1993م.
- صحيح ابن خزيمة، لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (ت: 311هـ)، تحقيق وتعليق وتقديم: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، الطبعة الثالثة 1424هـ / 2003م.
- صحيح قصص الأنبياء، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر ابن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: 774هـ)، بقلم أبي أسامة سليم بن عيد الهلالي، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 2002م.
- الصفدية، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن أبي القاسم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، طبع على نفقة خاصة عام 1406هـ، دون ذكر دار النشر.

- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني (ت:2021م)، دار القرآن الكريم بيروت، الطبعة الرابعة: 1981م.
- طبقات الأمم، للقاضي أبي القاسم صاعد بن أحمد ابن صاعد الأندلسي (ت: 462هـ)، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت 1912م.
- طبقات الحنابلة، تأليف: أبو الحسين بن أبي يعلى، محمد بن محمد (ت:526هـ) تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة بيروت، بدون تاريخ.
- طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت:771هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناحي — عبد الفتاح محمد الحلو. هجر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 1413هـ.
- طرح الشريب في شرح التقريب (المقصود بالتقريب: تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد)، تأليف: أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم العراقي (ت:806هـ)، أكمله ابنه: أحمد بن عبد الرحيم بن الحسين الكردي الرازياني ثم المصري، أبو زرعة ولي الدين، ابن العراقي (ت:826هـ)، الطبعة المصرية القديمة، صورتها دور عدة منها: دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي.
- عبد الله عباس محمود العقاد (ت:1383هـ)، تعليق: هاشم صالح، دار الساقى بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1999م.
- العلم يدعو للإيمان، لكريسي موريسون، كاتب وعالم كيميائي أمريكي نصراني، (ت:1370هـ)، الطبعة الخامسة 1965م.
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لمحمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمرى الربيعي، أبو الفتح فتح الدين (ت: 734هـ)، تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم بيروت، الطبعة الأولى 1414هـ/1993م.



- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت: 850هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1416هـ.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، تأليف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي (ت: 852هـ)، ترقيم وتبويب: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة بيروت، 1379هـ، تخريج وتصحيح وإشراف على الطبع: محب الدين الخطيب، تعليق: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
- فتح القدير، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت: 1250هـ)، دار ابن كثير — دار الكلم الطيب، الطبعة الأولى 1414 هـ.
- فجر الإسلام، لأحمد أمين (ت: 1954م)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م .
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم الأندلسي (ت: 456هـ)، تحقيق: د محمد إبراهيم نصر، ود عبد الرحمان عميرة، دار الجيل بيروت، الطبعة الثانية 1416 هـ / 1996م.
- الفكر الإسلامي والتطور لمحمد فتحي عثمان (ت: 2010م)، الدار الكويتية للطباعة والنشر، الطبعة الثانية 1969م.
- الفكر الإسلامي: قراءة علمية، لمحمد أركون (ت: 2010م)، ترجمة: هاشم صالح، مركز الإنماء القومي، الطبعة الثانية 1996م.
- الفكر الأصولي واستحالة التأصيل نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، لمحمد أركون (ت: 2010م)، نهضة مصر، الطبعة الرابعة 2005م.
- الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإسلامي: (العقليون والذوقيون، أو النظر والعمل). لأحمد محمود صبحي (ت: 2004م)، دار المعارف القاهرة، الطبعة الثانية، بدون تاريخ

- الفلسفة القرآنية، لعباس محمود العقاد، (ت: 1383هـ/1964م)، نخضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الثانية: 2006م.
- في ظلال القرآن، لسيد قطب (ت: 1966م)، دار الشروق، الطبعة الثانية والثلاثون، 2003م.
- فيض القدير شرح الجامع الصغير، تأليف: زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (ت: 1031هـ)، وهو شرح للجامع الصغير لجلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، المكتبة التجارية الكبرى مصر، الطبعة الأولى 1356هـ.
- قصص الأنبياء، لعبد الوهاب النجار، مطبعة النصر مصر، الطبعة الثانية 1936م.
- قيام الدولة العربية الإسلامية في حياة محمد صلى الله عليه وسلم، لمحمد جمال الدين سرور، دار الفكر العربي 1946م.
- الكامل في التاريخ، لابن الأثير (ت: 630هـ)، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1407هـ/1987م.
- كتاب الأصنام، لابن الكلبي (ت: 204هـ أو 206هـ)، تحقيق: أحمد زكي باشا، دار الكتب المصرية، الطبعة الثالثة 1995م.
- الكشف عن حقائق غوامض التزليل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (ت: 538هـ)، دار الكتاب العربي بيروت، الطبعة الثالثة 1407هـ.
- كشف المشكل من حديث الصحيحين، لأبي الفرج عبد الرحمان بن الجوزي (ت: 597هـ)، تحقيق: علي حسين البواب، دار الوطن الرياض، 1997م.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، لأحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت: 427هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1422هـ / 2002م.

- الكليات: (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، تأليف: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت:1094هـ) تحقيق: عدنان درويش و محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية 1998م.
- لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيعي أبي الحسن، المعروف بالخازن (ت:741هـ)، تحقيق وتصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1415هـ.
- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي أبي الفضل جمال الدين بن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت:711هـ)، دار صادر بيروت، الطبعة الثالثة 1414هـ.
- ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، لعلي أبي الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين الندوي (ت:1420هـ)، مكتبة الإيمان، المنصورة مصر، بدون تاريخ .
- المجتمع الإسلامي، لأحمد شلبي (ت: 2000م)، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الثانية 1990م.
- مجلة لغة العرب العراقية - مجلة شهرية أدبية علمية تاريخية، صاحب امتيازها: أنستاس ماري الألياوي الكرمللي بطرس بن جبرائيل يوسف عواد (ت:1366هـ)، المدير المسؤول: كاظم الدجيلي، وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية، مديرية الثقافة العامة، مطبعة الآداب بغداد، بدون تاريخ.
- مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني (ت:518هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة السنة الحمديّة 1955م.
- مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (ت: 728هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م.

- مجموعة الرسائل الكبرى، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ)، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، بدون تحقيق، وبدون تاريخ الطبع.
- محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة الأموية)، للشيخ محمد الخضري بك (ت: 1345هـ)، تحقيق: محمد العثماني، دار القلم بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1986م.
- المحاور الخمسة للقرآن الكريم، لمحمد الغزالي (ت: 1416هـ)، دار الشروق بدون تاريخ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1422هـ.
- المحصول في أصول الفقه، لفخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي، (ت: 606هـ)، دراسة وتحقيق: د طه جابر العلواني، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية 1412هـ/1992م.
- المدرسة الإسلامية، لمحمد باقر الصدر (ت: 1400هـ)، دار الكتاب المصري القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت 2011م.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تأليف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: 1014هـ)، دار الفكر، بيروت لبنان، الطبعة الأولى: 1422هـ/2002م.
- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1990م.
- مستقبل الثقافة في مصر، لطفه حسين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، 2012م.

- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت: 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1421هـ/2001م.
- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (ت: 292هـ)، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، (حقق الأجزاء: من 1 إلى 9)، وعادل بن سعد (حقق الأجزاء من: 10 إلى 17)، وصبري عبد الخالق الشافعي (حقق الجزء 18)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، بدأت 1988م، وانتهت 2009م.
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمسلم بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- المسيحية، لأحمد شلبي (ت: 2000)، الطبعة العاشرة 1998م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، تأليف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو 770هـ)، المكتبة العلمية بيروت.
- المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواسي العبسي، (ت: 235هـ)، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد الرياض، الطبعة الأولى 1409هـ.
- مع الأنبياء في القرآن الكريم، لعفيف عبد الفتاح طبارة (ت: 2022م)، دار الملايين بيروت لبنان، الطبعة الخامسة عشرة 1985م.
- معالم التزليل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: 510هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي بيروت، الطبعة الأولى 1420هـ.

- المعجم الأوسط لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: 360هـ)، تحقيق: — طارق بن عوض الله بن محمد، — عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني. دار الحرمين القاهرة، بدون تاريخ.
- المعجم الصغير، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: 360هـ)، تحقيق: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي، دار عمار، بيروت، الطبعة الأولى 1405هـ/1985.
- المعجم الكبير، لسليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: 360هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية القاهرة، الطبعة الأولى 1415هـ/1994م).
- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب المصرية القاهرة، 1364هـ.
- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبي الحسين (ت: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: 1399هـ/1979م.
- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، تأليف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي التيمي الملقب بفخر الدين الرازي، (ت: 606هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة 1420هـ.
- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة، للإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، دار الكتب العلمية بيروت، بدون تاريخ
- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت: 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم الدار الشامية، دمشق بيروت، الطبعة الأولى 1412هـ.

- مفهوم الإصلاح في القرآن الكريم دراسة في أسبابه ومظاهره، للأستاذ الدكتور إسماعيل الحسني، أستاذ التعليم العالي بجامعة القاضي عياض مراكش، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش، الطبعة الأولى 2015.
- مقارنة الأديان: المسيحية، لأحمد شلي (ت: 2000م)، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، الطبعة العاشرة 1998م.
- مقارنة الأديان، محمد أبو زهرة (ت: 1394هـ)، دار الفكر العربي، بدون تاريخ.
- مقدمة ابن خلدون (ت: 808هـ)، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: خليل شحادة، مراجعة: سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2001م.
- مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، لأحمد إبراهيم الشريف، أستاذ التاريخ في الجامعات العربية، دار الفكر العربي بدون تاريخ.
- الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت: 548هـ)، تصحيح وتعليق: أحمد فهمي محمد، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الثانية 1992م.
- المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، (وهو مختصر منهاج السنة لابن تيمية، (ت: 728هـ)، اختصره الحافظ أبو عبد الله محمد بن عثمان الذهبي (ت: 748هـ)، تحقيق وتعليق: محب الدين الخطيب، الرئاسة العامة لإدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، وكالة الطباعة والترجمة الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة 1413هـ.
- منهاج الانقلاب الإسلامي، لأبي الأعلى المودودي (ت: 1399هـ)، دار العروبة للدعوة الإسلامية باكستان، بدون تاريخ.
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، تأليف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي

الدمشقي (ت: 728هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة الأولى 1406هـ / 1986م.

■ المنهاج القرآني في التشريع (بحث أكاديمي)، لعبد الستار فتح الله سعيد، الطبعة الأولى 1992م.

■ منهج القرآن في بناء المجتمع، لمحمود شلتوت (ت: 1963م)، دار الكتاب العربي مصر.

■ موجز تاريخ العالم ل هربرت جورج ويلز، كاتب ومؤرخ وصحفي بريطاني (ت: 1946م)، ترجمة: عبد العزيز توفيق، مراجعة: محمد مامون، مكتبة النهضة المصرية، بدون تأريخ.

■ موطأ الإمام مالك، لمالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت: 179هـ)، تصحيح وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، 1985م.

■ النبوات، لتقي الدين أبي العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (ت: 728هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان. أضواء السلف الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1420هـ / 2000م.

■ نشأة الدولة الإسلامية، لأمين سعيد (ت: 1967م)، بدون تاريخ.

■ نظام الأسرة وحل مشكلاتها في ضوء الإسلام، لعبد الرحمان الصابوني (ت: 2019م)، دار الفكر دمشق سوريا، الطبعة الثالثة: 2005م

■ نظام الحكم في الإسلام، لمحمد يوسف موسى (ت: 1383هـ)، مراجعة وتحقيق: حسين يوسف موسى. دار الفكر العربي القاهرة، بدون تاريخ.



- نظام الحياة في الإسلام، لأبي الأعلى المودودي (ت: 1399هـ/1979م)، ترجمه من الأردنية إلى العربية: محمد عاصم حداد، دار العروبة للدعوة الإسلامية، الطبعة الثانية 1958م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد المقرئ التلمساني (ت: 1041هـ)، تحقيق: إحسان عباس. دار صادر بيروت، الطبعة الأولى ما بين 1900 إلى 1997م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، تأليف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت: 606هـ)، تحقيق: ——— طاهر أحمد الزاوي ——— محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية بيروت 1399هـ/1979م.
- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، من أحاديث سيد الأخيار، لمحمد بن علي الشوكاني (ت: 1250هـ)، تقديم وتعريف: وهبة الزحيلي، دار ابن الهيثم القاهرة، 2004م.
- هذا ديننا، لمحمد الغزالي (ت: 1416هـ)، دار الشروق، الطبعة الخامسة 2001م.
- الوافي بالوفيات، تأليف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: 764هـ) تحقيق: ——— أحمد الأرناؤوط ——— تركي مصطفى. دار إحياء التراث بيروت، 1420هـ/2000م.
- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت: 468هـ)، تحقيق وتعليق: ——— الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، ——— الشيخ علي محمد معوض، ——— الشيخ أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1415هـ/1994م.

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلكان البرمكي الإربلي (ت: 681هـ) تحقيق: إحسان عباس، دار صادر بيروت، الطبعة: ما بين 1900م و 1994م.

الفهارس التقنية:

– فهرس الآيات القرآنية

– فهرس الأحاديث والآثار

– فهرس الأعلام المترجمون

– فهرس الموضوعات

# فهرس الآيات القرآنية

| الآية                                                                              | السورة   | رقمها   | الصفحة           |
|------------------------------------------------------------------------------------|----------|---------|------------------|
| {طه مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْفُرْعَانَ لِيَتَشَفَّى}                             | طه       | 1       | 8                |
| {كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ}              | إبراهيم  | 2-1     | 8                |
| {وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا}                 | النحل    | 59 – 58 | 9                |
| {لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ}                | فصلت     | 41      | 9                |
| {وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}                  | الحشر    | 9       | 10               |
| {يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ}            | الرعد    | 23      | 10               |
| {وَاللِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ}               | النساء   | 7       | 10               |
| {إِنِ اللَّهُ لَا يَغَيِّرُ مَا بَفَوْهُمْ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} | الرعد    | 12      | -30-14<br>169-33 |
| {وَأَلْمَرْنَهُمْ فَلْيَغَيِّرَنَّ خَلْقَ اللَّهِ}                                 | النساء   | 118     | 32-29            |
| {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَّاءٍ}      | محمد     | 16      | 30               |
| {ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً}                            | الأنفال  | 54      | 32-30            |
| {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}                                     | آل عمران | 110     | 31               |
| {وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا}                               | الأعراف  | 55      | 34               |
| {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً}         | البقرة   | 29      | 203-35           |
| {أَفَعَيَيْنَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ}   | ق        | 15      | 36               |
| {إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ}                                | إبراهيم  | 22      | 36               |
| {أَذًا كُنَّا تُرَابًا إِنَّا لَهُمْ خَلْقٌ جَدِيدٌ}                               | الرعد    | 5       | 36               |



|    |           |           |                                                                                       |
|----|-----------|-----------|---------------------------------------------------------------------------------------|
| 52 | 138       | الأنعام   | {وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ}              |
| 53 | 15        | النمل     | {وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا}                                    |
| 53 | 24 — 22   | النمل     | {... أَحْطَتْ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِءَ وَجِئْتُكَ}                                    |
| 53 | 80 — 77   | الأنعام   | {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَجَا كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي}                |
| 55 | 16        | سبا       | {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ}                                           |
| 56 | 43-42     | فاطر      | {وَأَفْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَذِيرٌ}                 |
| 56 | 23        | الحجاثية  | {مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا}                             |
| 56 | 66        | آل عمران  | {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا}      |
| 56 | 120       | النحل     | {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا}                          |
| 58 | 34        | الأنعام   | {فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ}                              |
| 59 | 24        | السجدة    | {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا}                 |
| 59 | 46        | البقرة    | {يَبْنِي إِسْرَآءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ}                       |
| 60 | 78        | البقرة    | {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ}                            |
| 60 | 187       | آل عمران  | {وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ ءَاثَرُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ}      |
| 60 | 112       | آل عمران، | {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَفَقَّهُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ} |
| 61 | 152-148   | الأعراف   | {وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا}            |
| 61 | 89        | طه        | {يَقُولُ إِنَّمَا بُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ}                      |
| 62 | 167 — 166 | الأعراف   | {فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا فِرْدَةً حَاسِيِينَ}  |
| 63 | 157 — 156 | النساء    | {وَمَا فَتَلَوْهُ وَمَا صَلَّبُوهُ وَلَئِنْ شِئْتُمْ لَهُمْ}                          |

|    |       |          |                                                                                          |
|----|-------|----------|------------------------------------------------------------------------------------------|
| 64 | 31    | التوبة   | {إِتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ}                |
| 70 | 39    | الأنعام  | {مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}                                              |
| 70 | 84    | آل عمران | {وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ}                      |
| 87 | 20    | الروم    | {وَمِنْ-آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا}          |
| 87 | 92    | المائدة  | {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ}       |
| 90 | 164   | النساء   | {لَيْلَا يَكُونَنَّ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}                    |
| 90 | 15    | الإسراء  | {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا}                                     |
| 90 | 1     | الانفطار | {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ}                                                           |
| 91 | 1     | الانشقاق | {إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ}                                                             |
| 92 | 172   | الأعراف  | {أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ}                                                    |
| 93 | 54-53 | النحل    | {وَمَا بِكُمْ مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ}                                              |
| 93 | 90-85 | المؤمنون | {فَلِئِمَّا يَلِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}                      |
| 93 | 61    | العنكبوت | {وَلَيْسَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ}                             |
| 94 | 44    | الإسراء  | {يُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ}                      |
| 94 | 40    | النور    | {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ} |
| 94 | 26-22 | النمل    | {اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ}                              |
| 95 | 33    | الطور    | {أَمْ خُلِفُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِفُونَ}                               |
| 95 | 39    | الأنعام  | {مَا قَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}                                              |
| 96 | 21    | الذاريات | {وَوَيْحَ أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ}                                              |

|     |         |          |                                                                                            |
|-----|---------|----------|--------------------------------------------------------------------------------------------|
| 96  | 52      | فصلت،    | {سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَقْبَابِ وَيَجْ أَنْفُسِهِمْ}                             |
| 96  | 7-5     | الطارق   | {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِيٍّ}                   |
| 97  | 2-1     | الإنسان  | {هَلْ آتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا}                    |
| 97  | 16-12   | المؤمنون | {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ}                                 |
| 97  | 7       | الزمر    | {يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ}                       |
| 97  | 78      | النحل    | {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا}               |
| 98  | 4       | النحل    | {خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِن تُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ}                           |
| 98  | 77      | يس       | {وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْفَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ}                   |
| 99  | 4 - 3   | الملك    | {الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ}              |
| 100 | 6       | ق        | {أَبَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا}       |
| 100 | 1       | البروج   | {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ}                                                            |
| 100 | 1       | الطارق   | {وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ}                                                                |
| 100 | 5       | الشمس    | {وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَيْنَاهَا}                                                          |
| 100 | 11      | الطارق   | {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ}                                                             |
| 100 | 79-78   | الواقعة  | {فَلَا أَفْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٨﴾ وَإِنَّهُ لَفَسَّمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ} |
| 100 | 41      | فاطر     | {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا}                            |
| 101 | 191-190 | آل عمران | {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ}            |
| 101 | 32      | الأنبياء | {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَفْهًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ}             |
| 102 | 20      | الذاريات | {وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ}                                                  |



|     |       |          |                                                                                           |
|-----|-------|----------|-------------------------------------------------------------------------------------------|
| 103 | 63    | النمل    | {أَمْسَ جَعَلَ الْأَرْضَ فَرَارًا وَجَعَلَ خِلَافَهَا أَنْهَرًا}                          |
| 103 | 64    | غافر     | {اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ فَرَارًا}                                        |
| 104 | 10-9  | لقمان    | {خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْفُجَى فِي الْأَرْضِ}                |
| 104 | 163   | البقرة   | {إِنْ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ}            |
| 104 | 6-5   | يونس     | {هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً}                                                   |
| 105 | 81    | المؤمنون | {وَهُوَ الَّذِي يُخَيِّئُ وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ}             |
| 105 | 72-71 | القصص    | {فَلْآرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا}                      |
| 106 | 36    | فصلت     | {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ}                          |
| 106 | 98    | الأنعام  | {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا}                              |
| 107 | 12    | النحل    | {وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ}            |
| 107 | 16    | النحل    | {وَعَلَّمَتْ بِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ}                                                |
| 107 | 79-78 | الواقعة  | {فَلَا أَفْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٨﴾ وَإِنَّهُ لَفَسَّمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ} |
| 107 | 3-1   | الطارق   | {وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾}                        |
| 108 | 56    | الأعراف  | {وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ نُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ}                     |
| 108 | 14-12 | الرعد    | {هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَشِّئُ السَّحَابَ}               |
| 109 | 49-47 | الروم    | {اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ}      |
| 109 | 32-30 | الشورى   | {وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ}                                 |
| 110 | 96    | الأنعام  | {إِنَّ اللَّهَ قَلِيلُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ}             |
| 110 | 3     | الرعد    | {وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَرًا}                    |

|     |         |          |                                                                                        |
|-----|---------|----------|----------------------------------------------------------------------------------------|
| 111 | 4       | الرعد    | {وَفِي الْأَرْضِ فِطْعٌ مُتَتَّحِرَاتٌ وَجَنَّتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ}                      |
| 112 | 39      | الأنعام  | {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ}                |
| 112 | 79      | النحل    | {أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْاءِ السَّمَاءِ}                   |
| 113 | 69-68   | النحل    | {وَأَوْجِبِي رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا}          |
| 113 | 18      | النمل    | {قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ}                       |
| 113 | 43      | النور    | {وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّنْ مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ} |
| 113 | 8-5     | النحل    | {وَالْأَنْعَمَ خَلَفَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنْبَعٌ مِنْهَا تَاكُلُونَ}           |
| 114 | 66      | النحل    | {وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَمِ لَعِبْرَةً نَّتَفِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ}          |
| 116 | 17      | الإسراء  | {وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ}                                 |
| 116 | 31      | المؤمنون | {ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا - آخِرِينَ}                                 |
| 117 | 19      | آل عمران | {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ}                                           |
| 117 | 24 _ 23 | نوح      | {وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا}            |
| 118 | 59      | الأعراف  | {إِنَّا لَنُرِيكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}                                                |
| 119 | 65      | الأعراف  | {قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرِيكَ فِي سَبَاهَةٍ}      |
| 119 | 61-60   | الأعراف  | {يَقْفُومٌ لَيْسَ بِهٍ ضَلَالَةٌ وَلَكِنَّهُ رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ}        |
| 119 | 9-5     | نوح      | {قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا}                               |
| 120 | 4-2     | نوح      | {قَالَ يَقْفُومُ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ عِبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ} |
| 120 | 11-10   | نوح      | {قِفْلْتُ! سْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا}                             |
| 120 | 117-105 | الشعراء  | {كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٥﴾}                                           |

|     |         |          |                                                                                       |
|-----|---------|----------|---------------------------------------------------------------------------------------|
| 121 | 32      | هود      | {يَنُوحُ قَدْ جَدَلْتَنَا بِأَكْثَرِ جَدَلِنَا}                                       |
| 121 | 20-13   | نوح      | {مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا}                                          |
| 121 | 40      | هود      | {مَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ}                                                   |
| 121 | 118-117 | الشعراء  | {قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَابْتَحَ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ قُتْحًا}   |
| 122 | 29-28   | نوح      | {رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضَ مِنَ الْكُفَرِيِّ دَيْارًا}                       |
| 122 | 39-36   | هود      | {وَأَوْحَىٰ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ} |
| 122 | 41-40   | هود      | {حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَبَارَ التَّنُورُ}                                    |
| 123 | 16-9    | القمر    | {كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا}                             |
| 123 | 44      | هود      | {وَفِيلَ يَتَّزِضُ بِبُلْعَىٰ مَاءٍ ۖ وَيَسْمَاءُ أَفْلَحَىٰ}                         |
| 124 | 80      | الأنعام  | {إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلذِّمَىٰ فَطَرْتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا}     |
| 124 | 45-40   | مریم     | {وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٤٠﴾ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا}         |
| 125 | 46      | مریم     | {أَرَاغِبَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي إِبْرَاهِيمَ}                                         |
| 125 | 47      | مریم     | {سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا}              |
| 125 | 115     | التوبة   | {وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا}   |
| 126 | 17-15   | العنكبوت | {وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ}                              |
| 127 | 52      | الأنبياء | {مَا هَذِهِ إِلَّا تَمَائِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ}                      |
| 127 | 86      | الصفات   | {أَيُّفَكَآ - إِلَهَاتُ دُونِ اللَّهِ تُرِيدُونَ}                                     |
| 127 | 57      | الأنبياء | {وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ}            |
| 127 | 89      | الصفات   | {إِنِّي سَقِيمٌ}                                                                      |
| 127 | 92-91   | الصفات   | {أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَنْطِفُونَ}                                  |

|         |         |          |                                                                                          |
|---------|---------|----------|------------------------------------------------------------------------------------------|
| 127     | 58      | الأنبياء | {فَجَعَلَهُمْ جُودًا إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ}            |
| 128     | 65- 59  | الأنبياء | {مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ}                            |
| 128     | 66      | الأنبياء | {أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْبَغُكُمْ شَيْئًا}                          |
| 128     | 67      | الأنبياء | {قَالُوا حَرِّفُوهُ وَانْصُرُوا آلَ الْهَتَكُمُ ۖ إِنْ كُنْتُمْ فَعِلِينَ}               |
| 128     | 69-68   | الأنبياء | {فَلَنَّا يَنَارُ كُونِهِ بَزْدًا وَسَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ}                         |
| 129     | 38      | القصص    | {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ}                                                 |
| 130-129 | 257     | البقرة   | {فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ}     |
| 131     | 84-76   | الأنعام  | {فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رءَا كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي}                    |
| 131     | 41      | إبراهيم  | {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ}                      |
| 132     | 85-84   | الأنبياء | {وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ}                    |
| 132     | 101     | الصفات   | {بِغُلَامٍ حَلِيمٍ}                                                                      |
| 132     | 55-54   | مریم     | {وَإِذْ كَرِهَ الْكَتَبِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ}                   |
| 132     | 47      | ص        | {وَإِذْ كَرِهَ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ}                                 |
| 133     | 107-102 | الصفات   | {فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٢﴾ وَنَدَيْنَاهُ}                           |
| 133     | 124     | البقرة   | {وَعَهْدَنَّا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِعِينَ} |
| 133     | 128-126 | البقرة   | {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ}                |
| 134     | 6       | الصف     | {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنَّنِي رَسُولُ اللَّهِ}        |
| 134     | 40-39   | يوسف     | {ءَاَرْبَابٌ مُتَّبِعُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}                    |
| 135     | 34      | غافر     | {وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ}        |

|     |         |          |                                                                                            |
|-----|---------|----------|--------------------------------------------------------------------------------------------|
| 136 | 38      | القصص    | { مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِّنْ إِلَهِ غَيْرِ }                                                |
| 136 | 43      | طه       | { بَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّئِنَّا لَعَلَّهُ، يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى }                   |
| 136 | 82      | البقرة   | { وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ }             |
| 137 | 13      | المائدة  | { وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ } |
| 137 | 54-50   | الزخرف   | { وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ، قَالَ يَلْفُومُ آلِيَّسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ }          |
| 137 | 92-90   | يونس     | { وَجَوْرْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ }        |
| 137 | 68-65   | الشعراء  | { وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَّعَهُ أَجْمَعِينَ }                                        |
| 138 | 140-138 | الأعراف  | { وَجَوْرْنَا بِبَنِي إِسْرَءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ }          |
| 139 | 83      | طه       | { قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ }        |
| 139 | 95      | طه       | { لَنَحْرِقَنَّهُ، ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا }                            |
| 140 | 49      | آل عمران | { وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَا حِلَّ لَكُمْ }                 |
| 140 | 72      | المائدة  | { وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ }                              |
| 140 | 65-63   | الزخرف   | { وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ }              |
| 141 | 35-29   | مریم     | { قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَيْنِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا }                 |
| 141 | 157-156 | النساء   | { وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ }         |
| 141 | 54      | آل عمران | { إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ }                            |
| 143 | 20      | الأنعام  | { قُلْ أَيْ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ }          |
| 143 | 145     | البقرة   | { الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ }      |
| 144 | 157-156 | الأعراف  | { وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ }                |

|         |         |          |                                                                                             |
|---------|---------|----------|---------------------------------------------------------------------------------------------|
| 144     | 197     | الشعراء  | {أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ ءَايَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ، عَلَّمُوا بَنِي إِسْرَءِيلَ}               |
| 144     | 88      | البقرة   | {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ}                  |
| 145     | 6       | الصف     | {وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ}             |
| 147     | 213     | الشعراء  | {وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}                                                      |
| 147     | 2-1     | المسد    | {تَبَّ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ، وَمَا كَسَبَ}            |
| 148     | 33      | المائدة، | {أَعَجَزْتَ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ}                                           |
| 149     | 32      | الطور    | {فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ ۚ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ}                                |
| 149     | 49      | القصص    | {فُلْ يَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ}           |
| 150     | 14-13   | هود      | {إِسْتَطَعْتُمْ مَنَ وَادْعُوا مُفْتَرِي مِثْلِهِ ۚ سُورٍ بِعَشْرِ قَاتُوا فُلْ}            |
| 150     | 38      | يونس     | {أَمْ يَقُولُونَ افْتَرِيهِ ۚ فُلْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ}                          |
| 150     | 23 - 22 | البقرة   | {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَأْتُوا بِسُورَةٍ}         |
| 151     | 77      | الإسراء  | {سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا}                                      |
| 152     | 137     | آل عمران | {فَدَخَلْتُ مِّنْ قَبْلِكُمْ سُنَّ}                                                         |
| 156-155 | 44 - 43 | فاطر     | {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} |
| 155     | 23      | الأنبياء | {لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ}                                           |
| 156     | 62      | الأحزاب  | {وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا}                                                 |
| 158     | 53      | النور    | {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}                       |
| 158     | 47      | آل عمران | {إِذَا فَضَضَ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ، كُنْ فَيَكُونُ}                              |
| 159     | 5       | الروم    | {وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ}                                              |

|     |              |         |                                                                                   |
|-----|--------------|---------|-----------------------------------------------------------------------------------|
| 159 | 9-8          | الزلزلة | {بِمَنْ يَّعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ}                               |
| 160 | — 122<br>123 | النساء  | {لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ}                          |
| 162 | 15           | الملك   | {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}                         |
| 164 | 83           | الكهف   | {إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا}    |
| 165 | 24           | مرم     | {وَهَزَّزْ إِلَىٰ بَجْدَعِ النَّخْلَةِ تَسْفُطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا}        |
| 167 | 12           | الرعد   | {إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ} |
| 167 | 117          | هود     | {وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِإِلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ}       |
| 169 | 25           | الأنفال | {وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً}            |
| 170 | 38           | الحج    | {وَلَوْلَا دِفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهَدَمْتُ صَوَامِعُ}     |
| 171 | 43           | الأنفال | {لِيُهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيِيَ مَنْ حَيَّىٰ عَنْ بَيِّنَةٍ}    |
| 175 | 29           | البقرة  | {أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ}                    |
| 175 | 29           | البقرة  | {إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيقَةً}                                          |
| 176 | 6            | التحریم | {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ}              |
| 176 | 259          | البقرة  | {بَلَىٰ وَلَئِنْ لِّيُطْمِئِنَّ قُلُوبُ}                                          |
| 177 | 47- 45       | هود     | {وَنَادَىٰ نُوحٌ رَبَّهُ، فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي}                |
| 177 | 45           | هود     | {رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ}                       |
| 177 | 46           | هود     | {يَنُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ}              |
| 178 | 143          | الأعراف | {وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ، قَالَ رَبِّ أَرِنِي}   |
| 178 | 11- 10       | الأعراف | {وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ}                                     |

|     |       |          |                                                                                   |
|-----|-------|----------|-----------------------------------------------------------------------------------|
| 178 | 61    | الإسراء  | {وَادْفُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِادَمَ بَسْجَدُوا}                          |
| 179 | 13    | الأنعام  | {فَلِئَمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَلِئَلَّهِ}                           |
| 179 | 75-72 | القصص    | {فَلِأَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا}            |
| 181 | 40-39 | يوسف     | {ءَأَرْبَابٌ مُتَّبِعُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ}             |
| 182 | 61    | النمل    | {فَلِالْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَبَى}              |
| 183 | 66-62 | النمل    | {أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} |
| 185 | 26    | الزمر    | {وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ}             |
| 185 | 36    | الرعد    | {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ}                                  |
| 186 | 9.    | الشورى   | {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}                           |
| 187 | 43    | العنكبوت | {وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ}                                      |
| 188 | 41    | العنكبوت | {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ}                      |
| 189 | 71    | الحج     | {يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاستَمِعُوا لَهُ}                             |
| 190 | 27    | الروم    | {ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَّكُمْ}                           |
| 191 | 28    | الزمر    | {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ}                  |
| 192 | 76-75 | النحل    | {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ}            |
| 192 | 74-73 | النحل    | {وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا}                |
| 194 | 125   | النحل    | {وَجَدِلْهُمْ بِالتَّيِّهِ أَحْسَنُ}                                              |
| 194 | 46    | العنكبوت | {وَلَا تُجَدِّلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالتَّيِّهِ أَحْسَنُ}                |
| 194 | 73    | هود      | {فَلَمَّا ذَهَبَ عَنِ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى}              |



|     |       |          |                                                                                  |
|-----|-------|----------|----------------------------------------------------------------------------------|
| 194 | 29    | البقرة   | {وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكِ إِنَّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيقَةً}         |
| 194 | 1     | المجادلة | {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ}                                 |
| 195 | 4     | غافر     | {وَجَدَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ}                             |
| 195 | 22    | الأنبياء | {لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا}                       |
| 196 | 92    | المؤمنون | {مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ}                |
| 196 | 42    | الإسراء  | {فَلَوْ كَانَ مَعَهُ ءَالِهَةٌ كَمَا تَقُولُونَ}                                 |
| 197 | 23-19 | النجم    | {{ أَقْرَأْتُمْ آلَتَ وَالْعُرَى ﴿١٩﴾ وَمَنُوءَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى }}       |
| 198 | 49    | الأنعام  | {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ}                 |
| 198 | 56    | الذاريات | {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}                       |
| 199 | 21-20 | البقرة   | {يَأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ}                     |
| 199 | 109   | البقرة   | {وَأَفِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ}      |
| 199 | 45    | العنكبوت | {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ}                       |
| 200 | 104   | التوبة   | {خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا}            |
| 200 | 50    | الزمر    | {فَلْيَعْبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ}                        |
| 201 | 8     | التحريم  | {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا}       |
| 201 | 6     | الملك    | {وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}        |
| 201 | 36    | إبراهيم  | {وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنْ إِلَّا نَسْ}              |
| 202 | 12-11 | الفرقان  | {بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا} |
| 202 | 92    | النساء   | {وَمَنْ يَفْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فِجْزَآؤُهُ جَهَنَّمَ}                   |

|     |         |           |                                                                                      |
|-----|---------|-----------|--------------------------------------------------------------------------------------|
| 205 | 4       | ن         | {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلْيٍ عَظِيمٍ}                                                  |
| 206 | 72      | التوبة    | {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ}                    |
| 207 | 164     | النساء    | {رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ}                                                 |
| 207 | 29      | الزمر     | {ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ}                      |
| 208 | 71      | الأنعام،  | {قُلْ أَدْعُوا مِ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْبَغُنَا وَلَا يَضُرُّنَا}                |
| 210 | 9       | الإسراء   | {يَهْدِي لِلتي هِيَ أَفْوَءٌ}                                                        |
| 213 | 4       | المائدة   | {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي}            |
| 214 | 4       | سورة ن    | {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلْيٍ عَظِيمٍ}                                                  |
| 214 | 5 _ 1   | العلق     | {إِفْرَا بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}                                             |
| 215 | 45      | العنكبوت، | {إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ}                          |
| 216 | 23 _ 19 | المعارج   | {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا}                                                 |
| 217 | 46      | يس        | {وَإِذَا فِيلَ لَهُمْ أَنْبِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ}                          |
| 218 | 104     | التوبة    | {خُذْ مِ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا}                  |
| 218 | 18      | النازعات  | {فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَىٰ أَنْ تَرْجِي}                                              |
| 218 | 45      | الكهف     | {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}                                |
| 219 | 10      | الحجرات   | {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ}                                                   |
| 219 | 9       | الحشر     | {وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَإِنَّهُ يَكُ مِمَّا الْمُقْلِحُونَ}                   |
| 219 | 39      | سبأ       | {وَمَا أَنْبَقْتُمْ مِ شَيْءٍ بِهِوَ يُخْلِيقُهُ}                                    |
| 220 | 184     | البقرة    | {شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْفُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ} |

|     |          |          |                                                                                     |
|-----|----------|----------|-------------------------------------------------------------------------------------|
| 221 | 182      | البقرة   | {يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ}                       |
| 222 | 39       | إبراهيم  | {رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ}             |
| 223 | 196      | البقرة   | {الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَتٌ}                                                     |
| 224 | 23       | الحج     | {وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ}                                          |
| 225 | 26-25    | الحج     | {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا}                              |
| 225 | 24.      | الحج     | {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا} |
| 226 | 58- 56   | الذاريات | {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}                          |
| 227 | 26       | الحج     | {لِيَشْهَدُوا مَنَاجِعَ لَهُمْ}                                                     |
| 228 | 15       | الملك    | {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}                           |
| 229 | 125      | الأنعام  | {إِلَّهِ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ}                                      |
| 232 | 4        | القلم    | {وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلْيِ عَظِيمٍ}                                                 |
| 232 | 21       | الأحزاب  | {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ حَسَنَةٌ}                         |
| 233 | 4        | المائدة  | {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي}           |
| 234 | 280      | البقرة   | {وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ}                                |
| 235 | 18- 8    | البلد    | {أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ}                       |
| 235 | 180- 179 | الأعراف  | {لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا}                                              |
| 235 | 44       | الفرقان  | {إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا}                        |
| 235 | 2        | الإنسان  | {إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْقَةٍ أَمْشَاجٍ}                             |
| 236 | 41- 40   | فصلت     | {وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ}                         |

|     |        |          |                                                                                           |
|-----|--------|----------|-------------------------------------------------------------------------------------------|
| 237 | 147    | النساء   | {لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلِمَ}               |
| 237 | 123    | الأنعام  | {أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا}                         |
| 238 | 6      | التحریم  | {يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَوْأَ أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا}                  |
| 238 | 131    | طه       | {وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ}                     |
| 239 | 131    | البقرة   | {فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ}                                           |
| 245 | 29     | فصلت     | {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَفْهَمُوا تَتَنَزَّلُ الْمَلَكُيْكَه} |
| 245 | 17     | لقمان    | {وَلَا تُصَلِّعْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا}                    |
| 246 | 9      | الإسراء  | {إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ}                                 |
| 247 | 162.   | البقرة   | {وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ}               |
| 247 | 127    | الأنعام  | {وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ}                          |
| 247 | 19     | آل عمران | {إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَاسْلَمَ}                                                |
| 247 | 154    | الأنعام  | {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ}                                        |
| 247 | 22     | الجاثية  | {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ}            |
| 247 | 41     | العنكبوت | {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ}                               |
| 248 | 123    | الأنعام  | {أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا}                         |
| 248 | 49     | الشورى   | {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا}                                  |
| 248 | 10 - 7 | الشمس    | {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا ﴿٧﴾}                                                        |
| 249 | 24     | الأنفال  | {يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا بِسَبْحٍ مَّرْجُومٍ}                                      |
| 249 | 69-68  | يس       | {إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَفُزَّاءٌ مَّيِّسٌ}                                             |

|     |       |           |                                                                                            |
|-----|-------|-----------|--------------------------------------------------------------------------------------------|
| 249 | 164   | آل عمران  | {يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ}                                            |
| 250 | 28    | سبا       | {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا}                       |
| 250 | 64    | الأنفال   | {لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلْفَتْ بِينَ قُلُوبِهِمْ}                |
| 250 | 21    | الحشر     | {لَوْ أَنزَلْنَاهَا هَٰذَا الْفُرْقَانُ أَلَّا عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا}       |
| 252 | 2     | الجمعة    | {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ} |
| 254 | 14    | الأحقاف   | {وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَرْهًا}                |
| 255 | 36    | النساء    | {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا}                                        |
| 255 | 20    | الروم     | {وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا}                         |
| 255 | 72    | النحل     | {وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا}                                    |
| 256 | 64    | الأنفال   | {لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا}                                                |
| 256 | 23-24 | محمد      | {فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ}                       |
| 257 | 36    | النساء    | {وَبِذِهِ الْقُرْآنِ وَالْيَتِيمِ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ}               |
| 258 | 191   | آل عمران: | {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيمَا وَفُودًا}                                            |
| 259 | 52    | فصلت      | {سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَقَاوِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ}     |
| 260 | 59    | الأحزاب   | {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ}          |
| 260 | 33    | النور     | {وَلَيْسَتْ عَلَيْهُ الَّذِينَ لَا يُجِدُونَ نِكَاحًا}                                     |
| 260 | 26    | النساء    | {قَبْلِكُمْ مِنَ الَّذِينَ سَنَّوْا يَهْدِيَكُمْ لَكُمْ لِيُبَيِّنَ اللَّهُ يُرِيدُ}       |
| 263 | 20    | الروم     | {وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا}                         |
| 264 | 23    | النساء    | {حَرَّمَ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ}                                          |

|     |         |          |                                                                              |
|-----|---------|----------|------------------------------------------------------------------------------|
| 265 | 21      | النساء   | {وَقَدْ أَفْضَيْ بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ}                                    |
| 265 | 82      | البقرة   | {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ} |
| 266 | 64      | العنكبوت | {وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ}                            |
| 266 | 2 - 1   | البقرة   | {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ}                   |
| 266 | 24      | الأعراف  | {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غَلٍّ}                                |
| 267 | 19      | النساء   | {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ}                      |
| 267 | 1       | النساء   | {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ}                |
| 268 | 25      | الرعد    | {جَنَّتْ عَدُوٌّ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ - آبَائِهِمْ}             |
| 268 | 19      | الطور    | {وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ}           |
| 269 | 35 - 34 | النساء   | {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ}                                    |
| 269 | 127     | النساء   | {وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا}                           |
| 273 | 227     | البقرة   | {الطَّلَاقُ مَرَّتَيْنِ فَإِمْسَاكٌ}                                         |
| 273 | 228     | البقرة   | {فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ}                            |
| 273 | 1       | الطلاق   | {لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا}                 |
| 274 | 229     | البقرة   | {وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ}                      |
| 274 | 234     | البقرة   | {وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَى الْمَوْسِعِ قَدْرَهُ، وَعَلَى الْمُفْتِرِ قَدْرَهُ}   |
| 275 | 22      | الفجر    | {وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا}                                        |
| 276 | 45      | الكهف    | {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}                        |
| 276 | 34      | الكهف    | {أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا}                             |

|     |        |           |                                                                                       |
|-----|--------|-----------|---------------------------------------------------------------------------------------|
| 276 | 6      | الإسراء   | {وَأَمَدَدْنَكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ}                                              |
| 276 | 28     | الأنفال   | {وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ} |
| 276 | 9      | المنافقون | {يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ ءَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَدُكُمْ}      |
| 277 | 78     | القصص     | {إِنَّمَا ءُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي}                                           |
| 277 | 7      | الحديد    | {ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا}                                        |
| 278 | 16     | الملك     | {فَبَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ}                                 |
| 278 | 9      | الجمعة    | {يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ}                                        |
| 279 | 87.    | هود       | {فَالُوا يَشْعِيبُ أَصْلَوْتُكُمْ}                                                    |
| 280 | 90.-88 | هود       | {فَالَ يَفْقَوْمَ ءَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي}             |
| 280 | 37-36  | العنكبوت  | {وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَفْقَوْمَ ءَعْبُدُوا اللَّهَ}         |
| 280 | 35     | الإسراء   | {وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقُسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ}        |
| 280 | 6. -1  | المطففين  | {وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ}                                                            |
| 281 | 49     | المائدة   | {وَلِيَحْكَمْ أَهْلُ ٱلْأَنْجِيلِ بِمَا أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ}                        |
| 282 | 13-10  | سبأ       | {وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا}                                          |
| 283 | 46-45  | النمل     | {فِيلٌ لَهَا ءَدْخُلٌ ٱلصَّرْحُ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً}                 |
| 283 | 24     | الحديد    | {لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَاتِ}                                        |
| 283 | 34     | إبراهيم   | {وَسَحَّرَ لَكُمْ ٱلْفُلُكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ}                                 |
| 284 | 5-1    | قريش      | {لَإِيْلَافٍ فُرَيْشٍ ﴿١﴾ ءِيلَٰهُمْ}                                                 |
| 284 | 32-24  | عبس       | {فَلْيَنْظُرِ ٱلْإِنْسَ ٓ إِلَىٰ طَعَامِهِ ۖ ﴿٢٤﴾}                                    |

|     |         |          |                                                                                       |
|-----|---------|----------|---------------------------------------------------------------------------------------|
| 285 | 105-104 | الأنبياء | {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ}                             |
| 286 | 187     | البقرة   | {وَلَا تَاْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ}                              |
| 288 | 278-277 | البقرة   | {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا} |
| 288 | 130     | آل عمران | {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَاْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا}                 |
| 289 | 37- 36  | النور    | {فِي بُيُوتِ آذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ}         |
| 290 | 76      | آل عمران | {إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا}       |
| 292 | 17 -15  | فاطر     | {يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ}                           |
| 293 | 255     | البقرة   | {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}                                                          |
| 293 | 99      | يونس     | {أَبَانتُ تَكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}                             |
| 294 | 25-24   | المؤمنون | {مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَّبِعُضَلَّ}                      |
| 294 | 63      | الأعراف  | {فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ}                       |
| 294 | 44      | المؤمنون | {كُلِّ مَا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ}                                      |
| 294 | 40      | العنكبوت | {فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُمْ مَن أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا}           |
| 295 | 98-96   | النساء   | {إِنَّ الَّذِينَ تَوَقَّعْتُمْ أَلْمَلِكَةَ ظَالِمٌ أَنْفُسِهِمْ}                     |
| 295 | 56      | العنكبوت | {يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ}                              |
| 295 | 44      | إبراهيم  | {وَلَا تَحْسِبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ}                    |
| 296 | 107     | الإسراء  | {فَل- اْمِنُوا بِهِ ؕ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا}                                            |
| 296 | 29      | الكهف    | {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ}                            |
| 296 | 6       | التوبة   | {وَإِنَّ أَحَدًا مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ}        |



|     |         |          |                                                                                   |
|-----|---------|----------|-----------------------------------------------------------------------------------|
| 296 | 46      | العنكبوت | {وَلَا تُجَدِّلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}              |
| 297 | 66      | النمل    | {قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ}                              |
| 297 | 149     | الأنعام  | {هَلْ عِنْدَكُمْ مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا}                                |
| 297 | 24      | سبأ      | {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ}              |
| 299 | 21 - 20 | النساء   | {وَإِن آرَدْتُمْ لِإِسْتِبْدَالِ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ}                          |
| 299 | 4       | النساء   | {وَعَاثُوا النِّسَاءَ صَدَقْتِهِنَّ نِحْلَةً}                                     |
| 302 | 33      | النور    | {فَكَاتِبُوهُمْ إِن عِلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا}                                   |
| 302 | 91      | النساء   | {وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ}                 |
| 302 | 91      | المائدة  | {لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ}                         |
| 302 | 3       | المجادلة | {وَالَّذِينَ يَظَاهَرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا}        |
| 303 | 60      | التوبة   | {إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا}      |
| 303 | 12 - 11 | البلد    | {فَلَا يَفْتَحَمْ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ}               |
| 304 | 32      | النور    | {وَأَنكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنكُمُ وَالصَّالِحِينَ}                                 |
| 305 | 36      | النساء   | {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا} |
| 307 | 4       | محمد     | {فَإِذَا لَفِئَتُهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ}                     |
| 308 | 15      | الملك    | {أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ}                         |
| 309 | 57      | النساء   | {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا}        |
| 309 | 25      | ص        | {يَلِدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ}                          |
| 310 | 90      | النحل    | {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ}                               |

|     |       |           |                                                                                    |
|-----|-------|-----------|------------------------------------------------------------------------------------|
| 310 | 24    | الحديد    | {لَفَدَ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ}                                     |
| 311 | 153   | الأنعام   | {وَإِذَا قُلْتُمْ بِاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ}                           |
| 311 | 134   | النساء    | {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْفِسْطِ شُهَدَاءَ}       |
| 311 | 9     | المائدة   | {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ}           |
| 312 | 35    | الشورى    | {وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ} |
| 312 | 159   | آل عمران  | {بَاعِفْ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ}                |
| 314 | 104   | آل عمران، | {وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ ءِمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ}                            |
| 314 | 214   | الشعراء   | {وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}                        |
| 315 | 59    | النساء    | {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ}        |
| 319 | 158   | الأعراف   | {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا}            |
| 320 | 39-37 | الحج      | {إِذْ لِلَّذِينَ يُفْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا}                                 |
| 320 | 62    | الأنفال   | {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ}             |
| 321 | 38    | الحج      | {وَلَوْلَا دِفْعُ اللَّهِ إِلَيْنَا بَعْضُ بَعْضٍ لَّهَدَمْتُ صَوَامِعَ}           |
| 321 | 189   | البقرة    | {وَفَتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُفْتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا}        |
| 321 | 36    | التوبة    | {وَفَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُفْتِلُونَكُمْ كَآفَّةً}                |
| 321 | 29    | التوبة    | {فَتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ}          |
| 322 | 255   | البقرة    | {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ}                                                       |
| 322 | 99    | يونس      | {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ ءَلَامَسَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا}              |
| 325 | 18    | الفتح     | {لَفَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ} |

|         |         |          |                                                                                          |
|---------|---------|----------|------------------------------------------------------------------------------------------|
| 326     | 91      | النحل    | {وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ}                                          |
| 326     | 34      | الإسراء  | {وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا}                                |
| 326     | 21 — 22 | الرعد    | {إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَؤُلَا الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾ الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ} |
| 326     | 7       | التوبة   | {فَمَا اسْتَفْمُوا لَكُمْ فَاسْتَفِيمُوا لَهُمْ}                                         |
| 326     | 12 — 13 | التوبة   | {وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ}          |
| 326     | 59      | الأأنفال | {وَإِنَّمَا تَخَافْنَ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً قَانِئِدِ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ}          |
| 328     | 46      | المائدة  | {التَّوْرِيَّةِ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ}                       |
| 328     | 48      | المائدة  | {مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرِيَّةِ وَءَاتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ}       |
| 328     | 24      | السجدة،  | {وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا}                     |
| 328     | 80      | المائدة  | {لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ}                 |
| 328     | 167     | الأعراف  | {وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْفَيْمَةِ}                |
| 328     | 157     | الأعراف  | {يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَجِلُّ لَهُمْ}            |
| 329     | 6       | الصف     | {يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنَّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا}                       |
| 330     | 64      | آل عمران | {فُلْ يَتَأَهَّلِ الْكِتَابُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ}                          |
| 330     | 139     | البقرة   | {أَمْ يَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ}                          |
| 330     | 77      | المائدة  | {مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ}       |
| 330     | 46      | العنكبوت | {وَلَا تُجَدِّلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}                     |
| 332—331 | 88      | البقرة   | {وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ}                |
| 333     | 113—115 | آل عمران | {لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ}                             |

|         |          |          |                                                                                  |
|---------|----------|----------|----------------------------------------------------------------------------------|
| 333     | 197      | الشعراء  | {أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ ءَايَةٌ أَنْ يَعْلَمَهُ، عُلَمَؤُا۟ بَنِي إِسْرَءِيلَ}   |
| 333     | 44       | الرعد    | {قُلْ كَبِىْ بِاللّٰهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ}                            |
| 333     | 6        | المائدة  | {الْيَوْمَ أَجِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَتَّ وَطَعَامَ الَّذِينَ ؤُتُوا۟ الْكِتَٰبِ}  |
| 334     | 71       | آل عمران | {وَقَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟}                         |
| 334     | 181      | آل عمران | {لَّفَدَ سَمِيعُ اللّٰهِ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا۟ إِنَّ اللّٰهَ بَفِيرٌ}        |
| 335     | 52- 51   | المائدة  | {وَأَنَّكُمْ بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّٰهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ}      |
| 335     | 141      | البقرة   | {سَيَقُولُ السُّبُهَاءُ مِّنَ النَّاسِ مَا وَلَّيَهُمْ عَن فِئَلَتِهِمْ}         |
| 336     | 50       | النساء   | {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ ؤُتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَٰبِ}                  |
| 337     | 27_26    | الأحزاب  | {وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَٰبِ مِّنْ صِيَاصِيهِمْ}     |
| 339     | 55 _ 52  | القصص    | {الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَٰبَ مِّن قَبْلِهِ هُمْ بِهِ ءُيُومِنُونَ}        |
| 340     | 62 -60   | آل عمران | {فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ الْعِلْمِ}                   |
| 341-340 | 87_85    | المائدة  | {وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَا أَنزَلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنُهُمْ}             |
| 344     | 42       | فاطر     | {وَأَفْسَمُوا۟ بِاللّٰهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ}            |
| 345     | 34       | الأنعام  | {فَبِإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ}                       |
| 346     | 25 _ 24  | المدثر   | {إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ}    |
| 346     | 93 - 90  | الإسراء  | {وَقَالُوا لَسْ نُؤْمِنُ لَكَ حَتَّىٰ تُفَجِّرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا} |
| 347     | 126 -123 | آل عمران | {وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللّٰهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ ءَٰذِلَّةٌ}                     |
| 348     | 62       | الأنفال  | {وَإِنْ جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّٰهِ}          |
| 349     | 36— 1    | التوبة   | {... وَاعْلَمُوا۟ أَنَّ اللّٰهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ}                              |

|     |     |          |                                                                              |
|-----|-----|----------|------------------------------------------------------------------------------|
| 349 | 2   | النصر    | {يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا}                                   |
| 350 | 8   | المتحنة  | {لَا يَنْهَيْكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُفْتِلَوْكُمْ فِي الدِّينِ}   |
| 351 | 21  | المجادلة | {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ}  |
| 351 | 56  | القصص    | {إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} |
| 353 | 125 | النحل    | {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ}      |
| 353 | 82  | البقرة   | {وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا}                                                |
| 353 | 53  | الإسراء  | {وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}                          |
| 354 | 255 | البقرة   | {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}          |
| 354 | 99  | يونس     | {أَبَانتُ تَكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ}                    |
| 355 | 1   | النساء   | {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ}                |
| 356 | 13  | الحجرات  | {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى}           |
| 356 | 106 | الأنبياء | {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ}                        |

## فهرس الأحميث والأثار

| الرقم | الحديث                                                                                                                                                                                  | الصفحة |
|-------|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|--------|
| 1     | "فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم".                                                                                 | 6      |
| 2     | "أيها الملك، كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، .....، ورجونا أن لا نظلم عندك ..."                                                                                                      | 9      |
| 3     | "كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله"                                                                                                   | 10     |
| 4     | "إن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء: منها نكاح الناس اليوم: يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ..... ودعي ابنه لا يمتنع من ذلك".                                                      | 44     |
| 5     | "إني خلقت عبادي حنفاء"                                                                                                                                                                  | 91     |
| 6     | "كل مولود يولد على الفطرة"                                                                                                                                                              | 95-91  |
| 7     | "إن الله يقول لأهل النار عذابا: لو أن لك ما في الأرض من ..... أن لا تشرك بي، فأبيت إلا الشرك"                                                                                           | 92     |
| 8     | "خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء أقوام تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته، قال إبراهيم: وكانوا يضربوننا على الشهادة والعهد" وفي رواية بزيادة: "ونحن صغار." | 116    |
| 9     | "أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عبت". | 117    |
| 10    | "إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك، دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات النبيين ترين                                 | 133    |

|    |                                                                                                                                            |         |
|----|--------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|---------|
| 11 | "إن لي أسماء، أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب"،                | 145     |
| 12 | "أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم،<br>..... لم ينشب ورقة أن توفي".                              | 145     |
| 13 | وقد كنت أعلم أنه خارج (نبي) ، ولم أكن أظنه منكم، ولو أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه، وليلغن ملكه ما تحت قدمي | 146     |
| 14 | صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا، فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي،.....فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟             | 147     |
| 15 | قال هرقل: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال أبو سفيان لا "                                                                   | 147     |
| 16 | "فوالله ما يكذب محمد إذا حدث"                                                                                                              | 148     |
| 17 | "ما من الأنبياء إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة".        | 148     |
| 18 | "أنا خاتم النبيين في أم الكتاب، وإن آدم لمنجدل في طينته"                                                                                   | 193     |
| 19 | "اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن".                                                                     | 353-206 |
| 20 | "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"                                                                                                            | 214     |
| 21 | وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أخبر عن امرأة تقوم الليل، فإذا أصبحت آذت جيرانها، قال: "هي في النار".                                | 215     |
| 22 | "الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهن إن اجتنبت الكبائر"                                                    | 220     |
| 23 | "من حج لله فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه"                                                                                           | 223     |
| 24 | "كان خلقه القرآن"                                                                                                                          | 230     |
| 25 | "أفلا أكون عبدا شكورا؟"                                                                                                                    | 230     |
| 26 | "إنما كنا إذا حمي البأس واشتد واحمرت الحدق اتقينا برسول الله صلى الله عليه                                                                 | 230     |

|     |                                                                                                                                                                            |    |
|-----|----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----|
|     | وسلم، .....وكان من أشد الناس بأسا".                                                                                                                                        |    |
| 231 | "أفرتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: لكن .....والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: "أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب".                                    | 27 |
| 232 | "كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم، فمرض فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم .....، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم من عنده وهو يقول: "الحمد لله الذي أنقذه من النار". | 28 |
| 239 | "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس خلقا، فأرسلني يوما لحاجة فقلت.....: يا أنيس؛ أذهبت حيث أمرتك؟ قال: قلت: نعم أنا أذهب يا رسول الله".                        | 29 |
| 240 | "كان يصلي وهو حامل أمانة بنت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأبي العاص بن الربيع بن عبد شمس، فإذا سجد وضعها، وإذا قام حملها".                                     | 30 |
| 240 | "خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدى صلاتي العشي: الظهر أو العصر.....: كل ذلك لم يكن، ولكن ابني ارتحلني فكرهت أن أعجله حتى يقضي حاجته".                         | 31 |
| 246 | "إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد"                                                                                                                      | 32 |
| 247 | "إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة"                                                                                                              | 33 |
| 248 | "مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت"                                                                                                                      | 34 |
| 251 | "كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع، فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأتاه فمسح يده عليه"                                                                      | 35 |
| 257 | "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره"                                                                                                                               | 36 |
| 268 | "كان إسرائيل في بني رجل قتل تسعة وتسعين إنسانا، ثم خرج يسأل، فأتى راهبا فسأله فقال .....وقال: قيسوا ما بينهما، فوجد إلى هذه أقرب بشير، فغفر له".                           | 37 |



|     |                                                                                                                                    |    |
|-----|------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----|
| 260 | "إذا دخل الرجل الجنة، سأل عن أبويه و زوجته وولده، فيقال: إنهم لم يبلغوا درجتك وعملك، فيقول: يا رب إني عملت لي ولهم، فيؤمر بإلحاقهم | 38 |
| 269 | "لا يفر كن مؤمن مؤمنة، إن كره منها خلقا رضي منها غيره"                                                                             | 39 |
| 271 | "... ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن ..."                                                               | 40 |
| 271 | "ولن يضرب خياركم"                                                                                                                  | 41 |
| 271 | "يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد، فلعله يضاجعها من آخر يومه"                                                                     | 42 |
| 286 | "من غش فليس مني"                                                                                                                   | 43 |
| 290 | "البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما"                                | 44 |
| 298 | "من ظلم معاهدا أو انتقصه حقه فأنا خصمه يوم القيامة"                                                                                | 45 |
| 301 | "أعتقها ولدها"                                                                                                                     | 46 |
| 301 | "أم الولد لا تباع ولا توهب وهي حرة من جميع المال"                                                                                  | 47 |
| 303 | "... ومن سقى مسلما شربة من ماء حيث يوجد الماء، فكأنما أعتق رقبة ..."                                                               | 48 |
| 305 | "المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم"                                                                                       | 49 |
| 314 | "اللهم من ولي من أمي شيئا فشق عليهم فاشقق عليه، ومن ولي من أمي شيئا فرفق بهم فافرق به"                                             | 50 |
| 314 | "من ولاه الله شيئا من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم فقرهم إلا احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره يوم القيامة"               | 51 |
| 315 | "الدين النصيحة، قلنا: لمن؛ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم"                                                       | 52 |
| 315 | "النصيحة لأئمة المسلمين معاونتهم على الحق وطاعتهم فيه، وأمرهم به،<br>..... وأن يدعى لهم بالصلاح"                                   | 53 |
| 315 | "اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله تعالى"                                             | 54 |

|     |                                                                                                                                                                                             |    |
|-----|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|----|
| 320 | "لا تتمنوا لقاء العدو، وسلوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا ... "                                                                                                                      | 55 |
| 324 | "إنا لم نجئ لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين"                                                                                                                                                   | 56 |
| 329 | عن عطاء بن يسار: "لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم .....، قال عطاء: ثم لقيت كعبا فسألته عن ذلك، فما اختلفا حرفاً"                            | 57 |
| 342 | "أن رجلاً من المسلمين قتل رجلاً من أهل الذمة، فرفع ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: أنا أكرم من وفي بدمته ثم أمر به فقتل"                                                         | 58 |
| 350 | "قدمت علي أمي وهي مشركة في هدنة قريش، فاستفتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، قدمت علي أمي وهي راغبة، أفأصل أمي؟ قال: (نعم، صلي أمك).                                    | 59 |
| 357 | "(إني لم أعطكها لتلبسها، ولكن تبيعها أو تكسوها). فأرسل بها عمر إلى أخ له من أهل مكة قبل أن يسلم"                                                                                            | 60 |
| 351 | "يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى".                                        | 61 |
| 356 | "إني لم أبعث لَعَنًا، وإنما بعثت رحمة"                                                                                                                                                      | 62 |
| 357 | "ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء"،                                                                                                                                                   | 63 |
| 357 | "من لا يرحم لا يرحم".                                                                                                                                                                       | 46 |
| 357 | "من لا يرحم الناس لا يرحمه الله عز وجل"                                                                                                                                                     | 65 |
| 357 | دخل رهط من اليهود على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: السام عليكم، قالت عائشة: ففهمتها فقلت: ..... فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مهلا يا عائشة، إن الله يحب الرفق في الأمر كله" | 66 |

## فهرس الأعلام المترجميز

- ابن الأنباري: أبو البركات عبد الرحمان بن أبي الوفاء محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد محمد بن الحسن بن سليمان الأنباري النحوي (ت577هـ)
- ابن الكلبي: أبو المنذر هشام بن أبي النضر محمد بن السائب بن بشر بن عمرو، الكلبي النسابة الكوفيتوفي سنة 204هـ،
- ابن حمدين أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين الأندلسي المالكي، توفي سنة 508هـ
- ابن عقيل: أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن عبد الله البغدادي الحنبلي المتكلم (ت513هـ)
- أبو البيان نبأ بن محمد بن محفوظ القرشي الدمشقي الشافعي. توفي سنة 551هـ
- أبو هلال العسكري: الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران أبو هلال اللغوي العسكري، كان حيا سنة خمس وتسعين وثلاثمائة، ينظر
- برتراند راسل: فيلسوف ومؤرخ ورياضي وناقد اجتماعي إنجليزي، توفي سنة 1970م
- الجرجاني: عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي، مات سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، وقيل أربع وسبعين وأربعمائة.
- جودت بن سعيد بن محمد، مفكر سوري توفي بإستنبول بتركيا بداية سنة 2022م.
- جون ستيوارت ميل: فيلسوف واقتصادي بريطاني توفي سنة 1873م بفرنسا
- خساء: هي خنساء بنت عمرو بن الشريد بن ثعلبة بن عصىة بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم، السلمية، الشاعرة المشهورة، اسمها: ثُماضر
- دريد هو دريد بن الصّمة، من جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان. ويكنى أبا قرّة. قتل يوم حنين في من قتل من المشركين،

- ديفيد هيوم: فيلسوف ومؤرخ وكاتب اسكتلندي، اشتهر بشكوكه الفلسفية الراديكالية، توفي سنة 1776م.
- زيجفرد هونكه: مستشرق ألمانية تكتب عن الأديان، توفيت سنة 1999م
- الطرطوشي: أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري الأندلسي الطرطوشي توفي سنة 520هـ—
- عبدوس بن مالك أبو محمد العطار، (ت: 526هـ)،
- عمرو بن لحي بن حارثة بن عمرو ابن عامر الأزدي، من قحطان 84/5 — 85
- الفيومي: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس توفي نحو 770هـ
- القشيري: أبو نصر عبد الرحيم بن الإمام شيخ الصوفية أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري توفي سنة 514هـ—
- كريسي موريسون: كاتب وعالم كيميائي أمريكي نصراني، (ت1370هـ).
- الكفوي: أبو البقاء صاحب (الكليات)، توفي بأستنبول عام 1094هـ—.
- كونفشيوس فيلسوف صيني أقام مذهبا يتضمن التقاليد الصينية، في المجالين: الاجتماعي والأخلاقي،
- (لويس سيديو) هذا مستشرق فرنسي،
- المازري: أبو عبد الله محمد بن علي التميمي المازري المالكي (ت536هـ)
- المبرد: أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عمير بن حسان بن سليم بن سعد المبرد، من مشاهير النحو توفي عام 286هـ
- محمد باقر الصدر: من كبار علماء الشيعة الإمامية، (ت: 1400هـ/1983م)
- المرغيناني: أبو الحسن علي بن أبي بكر بن عبد الجليل الفرغاني المرغيناني، وتوفي سنة 593 هـ—
- الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت518هـ)،
- نمرود: ملك بابل نمرود بن كنعان بن كوش بن سام بن نوح، ويقال: نمرود بن فالخ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح.

# فهرس الموضوعات

|         |                                                                                         |
|---------|-----------------------------------------------------------------------------------------|
| 5.....  | مقدمة.....                                                                              |
| 27..... | المدخل التمهيدى.....                                                                    |
| 29..... | المبحث الأول: مفهوم التغير فى القرآن المجىء.....                                        |
| 29..... | المطلب الأول: التغير ومدلوله اللغوى والاصطلاحى.....                                     |
| 31..... | المطلب الثانى: التغير واشتقاقاته فى القرآن الكرىم.....                                  |
| 34..... | المطلب الثالث: التغير والإصلاح فى القرآن الكرىم.....                                    |
| 35..... | المطلب الرابع: التغير والتجديد فى القرآن الكرىم.....                                    |
| 38..... | المطلب الخامس: التغير وعلاقته بالتبديل فى القرآن الكرىم.....                            |
| 40..... | المبحث الثانى: حاجة البشرية إلى التغير بالقرآن المجىء.....                              |
| 40..... | المطلب الأول: حال العرب قبل نزول القرآن الكرىم.....                                     |
| 59..... | المطلب الثانى: حال الأمم غير العربىة قبل نزول القرآن الكرىم.....                        |
| 69..... | المطلب الثالث: العصر الحاضر وسؤال التغير بالقرآن الكرىم.....                            |
|         | المبحث الثالث: المنهج المستمد من القرآن الكرىم وعلاقته بالمنهجىن: الأرسطى والتجربى..... |
| 76..... |                                                                                         |

|                                                                                       |     |
|---------------------------------------------------------------------------------------|-----|
| المطلب الأول: المنهج الإسلامي وموقفه من المنطق الأرسطي.....                           | 76  |
| المطلب الثاني: المنهج التجريبي وعلاقته بالمنهج الإسلامي.....                          | 84  |
| المطلب الثالث: مفهوم المقاصد في القرآن الكريم .....                                   | 86  |
| الفصل الأول: معالم التغيير الفكري والعقدي في القرآن الكريم، .....                     | 89  |
| المبحث الأول: أصالة التوحيد في الإنسان ودلائله في الأنفس والآفاق،.....                | 90  |
| المطلب الأول: التوحيد والنداء الفطري.....                                             | 90  |
| المطلب الثاني: آيات الله في خلق الإنسان .....                                         | 96  |
| المطلب الثالث: آيات الله في خلق الكون.....                                            | 99  |
| المطلب الرابع: آيات الله في خلق الحيوان.....                                          | 111 |
| المبحث الثاني: معالم التغيير الفكري والعقدي في الرسالات السماوية السابقة: نماذج...115 | 115 |
| المطلب الأول: منهج نوح عليه السلام في التغيير العقدي والفكري.....                     | 115 |
| المطلب الثاني: منهج إبراهيم عليه السلام في التغيير العقدي.....                        | 124 |
| المطلب الثالث: منهج يوسف عليه السلام في التغيير العقدي والفكري.....                   | 134 |
| المطلب الرابع: منهج موسى عليه السلام في التغيير العقدي والفكري.....                   | 136 |
| المطلب الخامس: منهج عيسى عليه السلام في التغيير العقدي والفكري.....                   | 139 |

- المبحث الثالث: معالم التغيير في منهج خاتم الرسل محمد صلى الله عليه وسلم.....142
- المطلب الأول: كيف أثبت القرآن المجيد صدق رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .....143
- المطلب الثاني: شهادة اليهود والنصارى لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة .....144
- المطلب الثالث: مشركوا العرب بين محاربة التغيير والشهادة بالصدق والأمانة.....146
- المطلب الرابع: الإعجاز البياني في الرسالة الخاتم.....148
- المبحث الرابع: التغيير في القرآن وعلاقته بالسنن الكونية.....151
- المطلب الأول: السنن الكونية وسؤال المفهوم والحقيقة.....152
- المطلب الثاني: خصائص السنن الكونية في القرآن الكريم.....155
- المطلب الثالث: السنن الكونية ودورها في التغيير .....161
- المطلب الرابع: سنة الأسباب والمسببات.....163
- المطلب الخامس: سنة التدافع والتغيير.....169
- المبحث الخامس: أساليب القرآن الكريم في الدعوة إلى التغيير الفكري والعقدي.....174
- المطلب الأول: أسلوب الحوار في القرآن المجيد.....174
- المطلب الثاني: أسلوب السؤال والجواب.....179
- المطلب الثالث: أسلوب عرض البراهين العقلية.....181

|                                                             |            |
|-------------------------------------------------------------|------------|
| المطلب الرابع: أسلوب ضرب المثل.....                         | 185        |
| المطلب الخامس: أسلوب الجدل.....                             | 193        |
| المطلب السادس: أسلوب الترغيب والترهيب.....                  | 197        |
| <b>الفصل الثاني: التغيير الأخلاقي في القرآن الكريم.....</b> | <b>204</b> |
| المبحث الأول: علاقة الأخلاق بالعقيدة في القرآن المجيد.....  | 205        |
| المطلب الأول: مكانة التغيير الأخلاقي في القرآن الكريم.....  | 205        |
| المطلب الثاني: أثر العقيدة في النفس قبل السلوك.....         | 207        |
| المطلب الثالث: صحة الاعتقاد وأثره في السلوك.....            | 209        |
| المطلب الرابع: بين العقيدة والأخلاق.....                    | 212        |
| المبحث الثاني: العبادات والتغيير الأخلاقي.....              | 214        |
| المطلب الأول: الصلاة والتغيير الأخلاقي.....                 | 215        |
| المطلب الثاني: الزكاة والطهارة النفسية.....                 | 217        |
| المطلب الثالث: الصيام وتقويم السلوك.....                    | 219        |
| المطلب الرابع: الحج مدرسة أخلاقية.....                      | 222        |
| المطلب الخامس: العبادات بين المقصد والوسيلة.....            | 226        |



|                                                                      |     |
|----------------------------------------------------------------------|-----|
| المبحث الثالث: التغيير بالقدوة في القرآن المجيد.....                 | 229 |
| المطلب الأول: أهمية القدوة في عملية التغيير.....                     | 229 |
| المطلب الثاني: محمد صلى الله عليه وسلم وإحياء الإنسانية بالقرآن..... | 233 |
| المطلب الثالث: محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم والأطفال.....       | 238 |
| الفصل الثالث: التغيير الاجتماعي في القرآن المجيد.....                | 243 |
| المبحث الأول: صناعة الإنسان الفرد في القرآن الكريم.....              | 245 |
| المطلب الأول: بناء الفرد في علاقته بربه في القرآن الكريم.....        | 246 |
| المطلب الثاني: بناء الفرد في علاقته بنفسه في القرآن المجيد.....      | 251 |
| المطلب الثالث: علاقة الفرد بأقاربه في القرآن المجيد.....             | 254 |
| المطلب الرابع: علاقة الفرد بالمجتمع في القرآن المجيد.....            | 257 |
| المطلب الخامس: علاقة الفرد بالكون والبيئة في القرآن الكريم.....      | 258 |
| المبحث الثاني: التغيير الأسري في القرآن المجيد.....                  | 262 |
| المطلب الأول: الزواج رحمة وبناء اجتماعي.....                         | 262 |
| المطلب الثاني: الزواج عهد وميثاق أم رغبة نفسية؟.....                 | 264 |
| المطلب الثالث: المعاشرة الزوجية في القرآن المجيد.....                | 266 |

|                                                                       |     |
|-----------------------------------------------------------------------|-----|
| المطلب الرابع: النشوز والطلاق وعلاقتها بالتحغير في القرآن الكريم..... | 268 |
| المبحث الثالث: القرآن الكريم والتغير الاقتصادي.....                   | 275 |
| المطلب الأول: مكانة المال في القرآن الكريم.....                       | 276 |
| المطلب الثاني: الاقتصاد في القرآن الكريم .....                        | 279 |
| المطلب الثالث: كسب المال وتنميته في القرآن المجيد.....                | 282 |
| المطلب الرابع: من معيقات التنمية: — الغش — الرشوة — الربا.....        | 286 |
| المطلب الخامس: التجارة والتغير الاقتصادي في القرآن المجيد.....        | 288 |
| المبحث الرابع: الحرية والتغير في القرآن المجيد.....                   | 292 |
| المطلب الأول: حرية الإنسان الاعتقادية في القرآن المجيد.....           | 293 |
| المطلب الثاني: الحرية المدنية والتغير في القرآن الكريم.....           | 298 |
| المطلب الثالث: الرق والتغير في القرآن المجيد.....                     | 299 |
| المطلب الرابع: منابع الرق قبل نزول القرآن الكريم.....                 | 305 |
| المبحث الخامس: التغير السياسي في القرآن المجيد.....                   | 308 |
| المطلب الأول: العدل ونظام الحكم في القرآن الكريم.....                 | 309 |
| المطلب الثاني: الشورى ونظام الحكم في القرآن المجيد.....               | 312 |

|                                                                  |     |
|------------------------------------------------------------------|-----|
| المطلب الثالث: مسؤولية الحاكم وطاعة الرعية في القرآن المجيد..... | 314 |
| الفصل الرابع: العلاقات الدولية والتغير في القرآن المجيد.....     | 318 |
| المبحث الأول: الكيان الدولي لأمة الإسلام في القرآن المجيد.....   | 319 |
| المطلب الأول: الجهاد علاقة سلام أم علاقة حرب؟.....               | 319 |
| المطلب الثاني: المعاهدات الدولية في القرآن المجيد.....           | 323 |
| المطلب الثالث: الوفاء في العلاقات الدولية في القرآن المجيد.....  | 325 |
| المبحث الثاني: القرآن الكريم وأهل الكتاب.....                    | 327 |
| المطلب الأول: منهج القرآن الكريم مع أهل الكتاب.....              | 327 |
| المطلب الثاني: موقف اليهود من القرآن باعتباره كتاب تغيير.....    | 331 |
| المطلب الثالث: موقف النصارى من القرآن باعتباره كتاب تغيير.....   | 337 |
| المطلب الرابع: حقوق أهل الكتاب وواجباتهم في ظل الإسلام.....      | 341 |
| المبحث الثالث: القرآن الكريم ومشركو العرب.....                   | 343 |
| المطلب الأول: مشركو العرب والإسلام في القرآن المجيد.....         | 343 |
| المطلب الثاني: علاقة المسلمين بالمشركين في القرآن المجيد.....    | 347 |
| المطلب الثالث: تحقيق السلام العالمي في القرآن المجيد.....        | 350 |

|          |                        |
|----------|------------------------|
| 358..... | خاتمة                  |
| 364..... | المصادر والمراجع       |
| 388..... | فهرس الآيات القرآنية   |
| 414..... | فهرس الأحاديث والآثار  |
| 419..... | فهرس الأعلام المترجمين |
| 421..... | فهرس الموضوعات         |